مجلة الشروق الهندي

مجلة سنوية بحثية محكمة في اللغة العربية وآدبها

العدد ١ المجلد ٣ ديسمبر ٢٠٢٠ م

رئيس التحرير: **أ.د. عبد الرزاق تاراييل**
المحرر التنفيذي: **أ.د. محمد بشير ك**
مساعد رئيس التحرير: **د. صابر نواس محمد**

تصدر عن:
قسم اللغة العربية لجامعة آسام
سيلتشار، آسام، الهند

All the correspondence to be addressed to:

Chief Editor,
Al- Shurooq Al- Hindi,
Department of Arabic,
Assam University, Silchar
Ph: +919435468757,
+919895586590
Email: arabicjournalaus@gmail.com

ISSN No: 2320-4451

cover & layout:
ziyad hudawi I 9747315372

Copyright rests with the authors of the respective papers, who alone are responsible for the contents and views expressed.

Punished by: Department of Arabic, Assam University, Silchar

مجلة الشروق الهندي

مجلة سنوية بحثية محكمة

العدد ١ المجلد ٣ ديسمبر ٢٠٢٠ م

رئيس التحرير: أ.د. عبد الرزاق تاراييل
المحرر التنفيذي: أ.د. محمد بشير ك
مساعد رئيس التحرير: د. صابر نواس محمد

أعضاء هيئة التحرير

د. مستفيض الرحمن ، د. نجم الإسلام باربهويا ، د. حضرة حسن الزمان

اللجنة التحكيمية والاستشارية

أ.د. رضوان الرحمن
رئيس مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهرلال نهرو بنيو دلهي

أ.د. حبيب الله خان
أستاذ بقسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي

أ.د. مظفر عالم
أستاذ بكلية الدراسات العربية بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدراباد

أ.د. أشفاق أحمد
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بنارس الهندوسية

أ.د نبيل عبد الرحمن المحيش
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة محمد بن سعود الأحساء، المملكة العربية السعودية

أ.د.أحمد علي إبراهيم الفلاحي
أستاذ الأدب بجامعة الفلوجة، العراق

أ. د. آمنة بلعلا
أستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة مولود معمري، الجزائر

أ.د. محسن الكندي
مدير مركز الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس، عمان

أ.د. محجوبة العوينة
أستاذة بأكاديمية طنجة تطوان الحسيمة، المملكة المغربية

أ. د. خلف عبد العظيم الميري
الرئيس السابق لقسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس، مصر

أ.د. علوي الهاشمي
أستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة البحرين

د. مريم الهاشمي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية بكليات التقنية العليا، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

د. دهام القحطاني
كاتب وناقد من الكويت

في هذا العدد

أدب الجائحة

أثر جائحة كورونا على الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط..... ٩
أمل الوزير

جائحة كورونا وتأثيرها على التعليم العالي في العالم..... ٢١
شباب أم.

أدب الأوبئة وما بعد كورونا في المنجز العربي ٤١
محمد توحيد عالم

الأدب الوبائي تحت مظلة كورونا؛ تمثلات جديدة لكتابة فيروسية فائقة..... ٥٧
هيبة عماري

تيمة الوباء في المنجز الشعري العربي مقاربة بين القديم والحديث..... ٧٠
خيرة بوخاري

علم اللغة واللسانيات

اللسانيات الحاسوبية مفهومها وتاريخها وأهم منجزاتها ٩١
عبد الرقيب كتاب الدين

المعالجة الآلية للغة العربية من منظور اللسانيات الحاسوبية..... ١٠١
علي العظيمي

جذاذات هندية في علم البلاغة والنقد..... ١١٧
د/عبد المجيد إي

مفهوم الاقتراض اللغوي ودوره في إثراء اللغة المليالمية..... ١٢٣
محمد رياض في في

اللسانيات الحاسوبية: مفهومها، تاريخها، وأهم منجزاتها..... ١٣٠
نادية عشاكي

مزايا العربية..... ١٤٧
أ.د. أحمد إبراهيم رحمة الله

أهمية علامات الترقيم في الكتابة العربية..... ١٥٣
أ.د. أشفاق أحمد

دراسات أدبية ونقدية

الخيال العلمي في الأدب ومرآته في الأدب العربي ١٥٩
د.مريم الهاشمي

الأعمال النثرية القديمة في الإمارات:دراسة تاريخية ١٦٢
د. صابر نواس محمد

دراسة أدبية وقيمية وروحية في ظلال الشعر الجاهلي.....١٦٨
د. محمد سليم محمد سلطان
السخرية في القصص المصرية الحديثة.....١٨٥
د. شفيق سي بي
القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني في الأفلام المصرية.....١٩٠
د. محمد رياض. ك. و
دراسة نموذجية عن المجلات العربية في الهند.....٢٠٠
د. أنيس آلنكادن
عائشة تيمورية : شاعرة ناشطة من مصر.....٢٠٦
فاطمة فوزية. م،

دراسات متنوعة

تدريس اللغة العربية في الهند باستخدام التكنولوجيا الحديثة.....٢١١
د. محمد أيوب تاج الدين الندوي
الأفكاروالتقاليد الصوفية في تشكيل أنماط حياة مسلمي كيرالا: نظرة عامة.....٢١٧
د. منير جي. بي
الدكتورمحي الدين الألوائي: عاشق متحمس للغة العربية من ولاية كيرالا.....٢٢٣
د. محمد حنيف. ب
اللغة العربية في "الهند" ...الواقع والتحديات.....٢٣٠
د. أحمد القاضي
إمكانيات اللغة العربية في العالم المعاصر.....٢٣٨
أ.د. محمد بشير كي
الأنشطة العربية في ولاية بيهار.....٢٤٤
د. مستفيض الرحمن
مظان المخطوط وتحقيقه الأسس والقواعد.....٢٥٦
أ.حاكمي نورة
التعليم عن بعد إيجابياته وسلبياته.....٢٧٨
مريم حسين السادة
كيرالا في رحلات العرب الحديثة: دراسة تحليلية.....٢٨٣
عبد اللطيف. وي

الكورونا والعالم المتغير

يجري العالم وما حوله في ظروف استثنائية صعبة بسبب انتشار جائحة كورونا.... مات الملايين ورحلوا بأرواحهم إلى الغياب بدون استئذان أحد من أهلهم وأقربائهم ... والذين لم يموتوا يعيشون كالسجناء في بيوتهم.. المساجد والمدارس غلقت أبوابها أمام العوام من الدارسين والعابدين... امتنعت أسباب المعيشة والارتزاق في حياة آلاف من الأسر والعائلات...لا يدري أحد منا متى ينتهي العالم من مضرات الفيروس وتعود الحياة كما كانت قبل فترة من الزمان.... حيث تبتسم الزهور على ندى الصباح ويملأ الأطفال قلوب الناس ببسماتهم البريئة ومحبتهم الخالصة.

رب ضارة نافعة كما يقول المثل العربي...التعليم عن بعد والمنصات الرقمية حلت محل الطرائق المألوفة التقليدية للإفادة والاستفادة ....أصبح العالم قرية صغيرة بمعنى الكلمة... اقتربت المسافات وتعارفت الثقافات وتلاقحت الحضارات.... أصبح الدارس يتلقى العلم متكئا على أريكته في عكر داره من المدرس البعيد الذي يعيش في إحدى دول العالم...

نحن بفضل الله وتوفيقه نجحنا في استخدام كل هذه الوسائل تقريبا في قسم اللغة العربية في جامعة آسام، ابتداء من رقمنة اختبارات القبول في مرحلة البكالوريوس والماجستير إلى عقد مؤتمرات وورش تدريبية في فترة هذه الجائحة.....قد قمنا باستضافة كوكبة من الأكاديميين والأساتذة من مختلف الجامعات الدولية حيث وجدنا إقبالا كبيرا من دارسي اللغة العربية ومدرسيها داخل الهند وخارجها....

هذه المجلة التي بين أيديكم محاولة متواضعة لإثراء اللغة العربية في ربوع الهند وتشجيع الباحثين والأكاديميين في مجال البحوث العلمية،أود أن أعبر في هذه اللحظة السعيدة أخلص التبريكات والتهاني لفريق التحرير للمجلة مع كل الشكر والامتنان، وفي طليعتهم سعادة الأستاذ الدكتور محمد بشير . ك الذي تولى مسؤولية إصدار هذه المجلة البحثية المحكمة بمحافظة جميع مقاييسها العالمية ومعاييرها العلمية، كما لا أنسى مجهودات مبذولة من طرف سعادة الدكتور صابر نواس محمد الذي ضحى أثمن أوقاته في تحقيق هذه الأمنية الغالية، وأسجل كل الشكر والامتنان لزملائي الكرام في القسم كل من أصحاب الفضيلة الدكتور مستفيض الرحمن والدكتور نجم الإسلام باربهويا والدكتور حضرة حسن الزمان لجهودهم المخلصة،فأخيرا ليس آخرا دعوني أشكر جميع أعضاء اللجنة الاستشارية والتحكيمية من كبار الأساتذة والأكاديمين والنقاد من مختلف قارات المعمورة الذين ساعدونا في تحقيق المواد، كما أشكر كل المساهمين في هذا العدد من الأساتذة والباحثين من داخل الهند وخارجها.

نتمنى لكم متعة القراءة والمطالعة

أخوكم في الله

أ.د. عبد الرزاق تارا ييل

رئيس التحرير ورئيس القسم

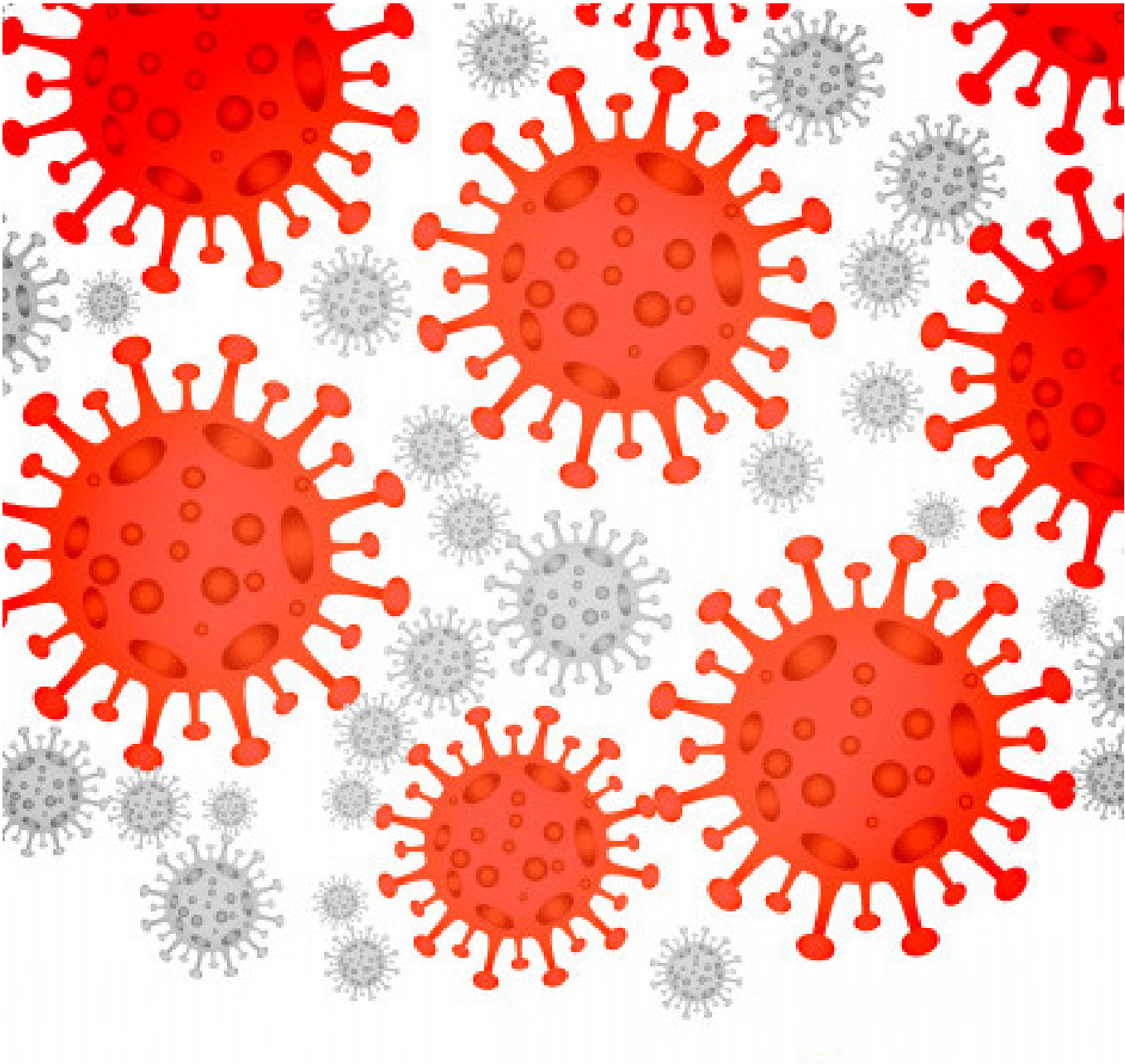

أدب الجائحة

أثر جائحة كورونا على الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط

أمل الوزير
باحثة فلسطينية في مرحلة الدكتوراه بجامعة عليجرا الإسلامية

ملخص الدراسة

تناول الدراسة أثر جائحة كورونا على الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط، واستعرضت الدراسة كيفية تعامل الأنظمة في المنطقة مع جائحة كورونا، ومدى تأثيرها على تلك الأنظمة، كما استعرضت الدراسة مستقبل الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط في ظل جائحة كورونا.

وتوصلت الدراسة الى العديد من النتائج من أهمها:

لا يزال من المبكر التكهن بالأثر الذى ستتركه جائحة كورونا على دول الشرق الاوسط والمنطقة العربية، ولكن توجد دلائل كافية على أنه سيكون هناك تكلفة عالية لتلك الجائحة، سوف يترتب العديد من التبيعيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

يمكن أن تكون أوضاع العالم العربية في حالة أسوأ عن ما قبل كورونا، وربما يدفع ذلك قادة النظام العربي إلى دعم آليات التعاون العربي ولخلق أوضاع اكثر قدرة على مواجهة تحديات ومتطلبات المرحلة القادمة.

إن الطريقة التي ستدير بها الدول في المنطقة الأزمة الحالية الناتجة عن جائحة كورونا ستحدد مستقبل الأنظمة السياسية في المنطقة وسيكون لها آثار قوية سواء بالسلب أو الايجاب.

الكلمات المفتاحية: فيروس كورونا، كوفيد 19، الأنظمة السياسية، الشرق الأوسط.

Abstract

The study examined the impact of the Corona virus "Covid-19" pandemic on political regimes in the Middle East region. Also, the study reviewed how regimes in the region deal with the Corona pandemic, and the extent of its impact on those regimes. Moreover, the study reviewed the future of political regimes in the Middle East region in light of the Coronavirus pandemic. The study used in the methodology descriptive approach and its depend on the literature view &The study reached many results, the most important of which are: It is still too early to predict the impact of the Coronavirus pandemic will have on the countries of the Middle East and the Arab region, but there is sufficient evidence that there will be a high cost to that pandemic, and many social, economic and political repercussions will ensure.

- The conditions of the Arab world could be in a worse state than before Corona pandemic, and this may push the leaders of the Arab political regimes to support the mechanisms of Arab cooperation and to create conditions more capable of facing the challenges and requirements of the next stage.
- The way in which countries in the region will manage the current crisis resulting from the Corona pandemic will determine the future of the political regimes in the region and will have powerful effects, whether positive or negative.

Key Words: Coronavirus, Covid - 19, Political regimes, Middle East.

مقدمة

شهد العالم في بداية سنة ٢٠٢٠ انتشار كبير للفيروس التاجي(كورونا) أطلق عليه كوفيد Covid١٩، الذى تم اكتشافه في ديسمبر ٢٠١٩م في مدينة ووهان الصينية، وتم تصنيفه كجائحة من قبل منظمة الصحة العالمية بتاريخ ١١ مارس ٢٠٢٠، وعلى أثر انتشاره سارعت الدول إلى اتخاذ إجراءات حجر لم يشهد لها التاريخ مثل ذلك، فقد تم حجر مئات الملايين من الأشخاص في بيوتهم، وتوقفت جميع مناحي الحياة. ومع الارتفاع المقلق في أعداد الإصابات بالمرض، وعدد الوفيات والتداعيات السياسية والاقتصادية والصحية الهائلة باتت العديد من الأنظمة أمام تحديات لم تكن في الحسبان، وباتت الآثار السلبية المرتبة على انتشار فايروس كورونا المستجد، تتخطي الخسائر البشرية المباشرة في شكل الأعداد المتزايدة من الوفيات والاصابات بالفيروس، لتمتد لتشمل العديد من الآثار الاقتصادية والسياسية الوخيمة والتى تنذر بإمكانية حدوث تحول

كبير في الأنظمة السياسية في الكثير من بلدان العالم، نتيجة تأثير الفايروس على كافة المجالات الحيوية في الدول المختلفة وإحداثه لآثار كارثية.

الإطار النظري

شكلت جائحة كورونا أحد أهم القضايا التي تصدرت المشهد الدولي في الفترة الاخيرة، وقد اجتاح الوباء جميع أقطار العالم في فترة قياسية محدودة، وقد أكدت تقارير دولية فشل النظام الدولي في التصدي لهذا الوباء الخطير الذي حصد من البشرية الآلاف وأصاب ما يزيد عن مليونين من سكان العالم من جميع الأجناس والأعمار، كما أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الفايروس «وباء عالمي» وهذا يستدعي تكامل وتضافر الجهود الدولية لإنقاذ البشرية، كما أنه أوقف الحركة فيما يزيد عن ٧٠٪ من سكان الأرض، وأودى بخسائر اقتصادية فادحة، وترهل في الأنظمة السياسية والصحية الدولية والعربية، كما بدّل ثقافات مجتمعية تجذرت منذ قرون بين الأعراق، والأجناس، والطبقات وصولاً للعائلة الواحدة والبيت الواحد والفرد الواحد.

لقد ساهمت تلك المتغيرات في تسليط الضوء على مؤثرات وباء كورونا على الحالة السياسية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط كونها تعد من أهم المناطق حساسية بسبب الأوضاع السياسية السائدة بها والصراعات السياسة المنتشرة، والتي يمكن أن يكون تأثير الوباء بها أكثر شدة عن غيرها من الدول.

أولا: المحور الأول: نبذة عن فايروس كورونا

ظهر الفايروس والذى عُرف بإسم كورونا، ثم بإسم كوفيد ١٩- في ديسمبر ٢٠١٩ في منطقة (ووهان Wuhan) بالصين، وقد ذكر أن مصدر الوباء يعود إلى السوق العمومي للأسمال، حيث تناولت سيدة في التاسعة والأربعين من عمرها حساء الوطواط (bat soup)، فأصيب بأعراض مرض فتاك لم تعرف حقيقته في أول الأمر، إلا أن أحد الاطباء الشباب، دكتور (ونليانق Wenliang L) استطاع في الثالث والعشرين من ديسمبر ٢٠١٩، أن يتعرف على الفيروس القاتل، فقام على الفور بنشر تحذير صارم لزملائه الأطباء على صفحته الخاصة، ولكن سرعان ما تم استعداؤه الى مكتب الأمن العام ووجه له اتهام بأنه ينشر معلومات كاذبة تضر بالنظام الاجتماعي، وطلب منه سحب الإعلان، وبعد أيام قليلة أصيب الدكتور (لى) نفسه بأعراض المرض فأخذ الى المستشفى حيث قام للمرة الثانية بنشر صورته وهو على سرير الموت، يتنفس من خلال الاجهزة الصناعية، وكان

ذلك هو المشهد الذى أرعب العالم كله، أما اعلان وفاته فقد أثار موجة من الغضب العارم في الوسائط الاجتماعية في الصين، مطالبة الحكومة المحلية بالاعتذار، ومطالبة الحكومة المركزي بحرية الكلام، ولم تصبح وفاة الدكتور (لى) كارثة سياسية للرئيس الصيني، وإنما أصبحت كارثة عالمية.

انتشر الفايروس في كل أقطار العالم تقريبا خلال أشهر من التعرف عليه، وفي أقل من أربعة أشهر بلغ عدد المصابين في أنحاء العالم نحو مليوني مصاب، وبلغ عدد الوفيات نحو مئة ألف نسمة، وأصيب ألاف الملايين من البشر بحالة من الرعب، وقد أجبرتهم السلطات على البقاء في المنازل، ومنع التجول إلا عند الضرورة القصوى، وترتبت على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي، من توقف للصناعات، وانهيار في أسواق المال العالمية، وانخفاض غير مسبوق في أسعار النفط، وفقدان الملايين الوظائف في القطاعين العام والخاص، وبينما كانت الأزمة تتفاقم يوماً بعد يوم، صار الأطباء والممرضون يتعرضون هم أنفسهم للخطر في المستشفيات، وذلك نسبة للنقص الشديد في المعدات الطبية والأقنعة الواقية من المرض وبينما كان العلماء والباحثون يعكفون في مختبراتهم ليلاً ونهاراً للتعرف على طبيعة الفايروس القاتل، وكيفية مواجهته، كان السياسيون وقادة الدول يعلنون الحرب على عدو غير معروف لديهم وبأسلحة غير متوفرة في مخازنهم، وبناء على هذا فقد أصيبت كثير من الدول بالعجز التام عن أى فعل يوقف الكارثة، وانحصر دور السياسيين في اصدار التعليمات بمنع السفر، والدعوة إلى التباعد الاجتماعي، والبقاء في المنازل إلى مدة غير معلومة١.

يُشتق اسم «coronavirus" (عربياً: فيروس كورونا. اختصاراً CoV) من (باللاتينية: corona) وتعني التاج أو الهالة، حيثُ يُشير الاسم إلى المظهر المميز لجزيئات الفيروس (الفريونات) والذي يظهر عبر المجهر الإلكتروني، حيث تمتلك خُمَلا من البروزات السطحية، مما يُظهرها على شكل تاج الملك أو الهالة الشمسية٢.

وغالباً ما يستخدم مصطلحا فيروس كورونا وكوفيد١٩ للإشارة إلى ذات العدوى، إلا أن فيروسات كورونا في الحقيقة عائلة من الفيروسات، يسبب بعضها أمراضاً للإنسان، في حين لا يتسبب البعض الآخر في ذلك، والفيروس الذي يثير قلقاً بالغاً في

١ ملكاوي، أسماء وأخرون (٢٠٢٠) أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، قطر.

٢ عبيد، على (٢٠٢٠) وباء كورونا بين الترهيب واللامبالاة، شبكة النبأ للمعلومات، https://annabaa. org/arabic/annabaaarticles٢٢٥٦٦

الوقت الحالي يسمي: « SARS-COV ٢" أو فيروس كورونا، المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة، والشديدة من النوع الثاني؛ ولا يجب الخلط بينه وبين فيروس مرض السارس، الذي كان الجميع متخوف منه عام ٢٠٠٣، إذ أن فيروس هو الذي يسبب مرض الكوفيد ١٩؛ وهذا الأخير هو الاسم الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية في ١١ فبراير ٢٠٢٠، على المرض الذي يسببه فيروس كورونا، ويكون مصحوبا في العادة بالحمى، العياء والسعال الحاد والجاف، إضافة الى مشاكل تنفسية أخرى، وقد تكون بعض الحالات المصابة به شديدة، تؤدي إلى الوفاة، وقد تم إضافة الرقم ١٩ إشارة إلى العام الذي اكتشفت فيه أول إصابة بالفيروس، وقد توصلت منظمة الصحة العالمية، إلى هذا التوصيف بناء على عمليات التشخيص التي باشرتها الفرق الطبية المتخصصة التابعة للمنظمة، والتي تضمنت معالجة فنية وتقنية للمعلومات التي تحصلت عليها تلك الفرق حول طبيعة هذا المرض، والعوامل المسببة له، وطرق معالجته والوقاية منه٣ .

ثانياً: المحور الثاني: تأثير كورونا على الأنظمة السياسية

مع انتشار وباء كورونا، كانت الأنظمة السياسية المختلفة تواجه أزمات كبيرة سابقة على الوباء، ودار جدل كبير حول دور الدولة في الاقتصاد، وضعف آليات الديمقراطية التمثيلية، وأدوار الجيوش وأجهزة الأمن وعلاقة الجيوش بالسياسة، ومع تداعيات أزمة كورونا ثارت تساؤلات حول شرعية ومستقبل النظم السياسية، بل وحول طبيعة السياسة ومفاهيمها، باعتبارها عملية للتخصيص السلطوي للقيم، وهل هذا التخصيص كان عادلا؟

تراجع دور الدولة في الصحة وتزايد السخط والنقد على الانظمة الحالية

فمع تفشي الوباء وفشل عديد الأنظمة الصحية حول العالم لم تستطيع نظم الحكم تبرير هذا الفشل وتسويغه. ففي العديد من التجارب الأوروبية التى تزايدت فيها حدة الوباء بمؤشر عدد الوفيات ونسبتهم من الاصابات مثل ايطاليا والمملكة المتحدة وإسبانيا وفرنسا فإن النقد كان موجهاً بشكل مباشر للسياسات الاقتصادية التى انطلقت من مفاهيم دولة الحد الادني وقلصت النفقات الصحية مطمئنة الى ما أنجزته في السابق في المجال الصحي. حيث كشف الأزمة ضعف أنظمة الرعاية الصحية والحماية

٣ بوزيدة، عادل، وبلغيث رؤي (٢٠٢٠) أثر جائحة كورونا في توجيه السياسة الجزائية في التشريع الجزائري، حوليات جامعة الجزائر، مج٣٤، عدد خاصة، ٧٢٢-٧٣٧.

الاجتماعية التي لطالما عيرت الأنظمة المستبدة شعوبها بها وبالانجازات المحدود فيها.

وفى دول الشرق الأوسط فإن إنشار الفايروس كشف ضعف تلك الانظمة عن مواجهة الوباء، فالسياسات في تلك الدول ضعيفة للغاية وتواجه تحديديات جمة حيث اقتصاد مثقل بالديون وإنتشار للصراعات السياسية التى تساهم في ضعف قدرة الدولة على مواجهة الوباء، كما أن السياسات المرتبطة بالوباء أثرت وستؤثر على المدى البعيد على هيكل القوة وتوزيعها وعلاقاتها في المجتمع فبطالة أكبر وعمالة عائدة أكثر تعني مزيداً من الاضطرابات الاجتماعية والضغوط الاحتجاجية على النظم السياسية على المدى المتوسط ومزيداً من الحاجة لدولة تكفل هذه الفئات وتيسر لها سبل العيش ولو بالحدود الدنيا بشكل عاجل[٤].

تسيس أزمة كورونا

مع مرور الوقت وانتشار الوباء في دول العالم تبلور الاستخدام السياسي للوباء من قبل العديد من الأنظمة والقوى السياسية حول العالم، فكما استخدم الرئيس ترامب الوباء في محاولة النيل من الصين سواء بإتهامها بتصنيع ونشر الوباء أو التواطؤ مع منظمة الصحة العالمية لاخفاء بيانات، ومن ثم تخفيض الانفاق الأمريكي على أنشطة خارجية ووقف دعم بلاده للمنظمة وبغض النظر عن مدي صحة هذا الإدعاء فإنه أيضاً حاول شراء الحقوق الحصرية لانتاج مصل للوباء من شركة ألمانية لاستغلاله في الدعاية الانتخابية له بإعتباره من جلب الدواء للأمريكيين حتى يمحو الصور السلبية التى تصدرت عنه بداية الوباء كرجل أعمال يقدم الاقتصاد على صحة المواطنين الأمريكيين، وبذلك يكون الوباء قد شكل اختبار صعباً للقيادات اليمينية الشعبوية لمراكز النظام النيوليبرالي السائد عالمياً رغم اعتبار أنفسهم في حالة حرب حقيقية ضد الوباء[٥].

وأصبح تدخل الجيوش وقوى الأمن أكثر مقبولية في العديد من النظم رغم فداحة هذا التدخل في بعض الدول، فقد رأي العالم مشهد رجال الجيش والامن الهنود والبنغال وهم يجلدون ظهور الناس في الشوارع والأحياء الشعبية لفرض الحجر الصحي، بما يطرح سؤالاً مهما هنا حول حدود تدخل الدولة وضوابطها باسم المصلحة العامة، وما هي ضمانات عدم تماديها في استخدام هذه الأساليب التدخلية في تهديد الحياة

٤ عمر، سمير (٢٠٢٠) أزمة كورونا والجدل حول مفهوم وأدوار الدولة، المعهد المصري للدراسات، مصر.

٥ الشرقاوي، محمد (٢٠٢٠) التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية- (الجزء١)، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٣، https://bit.ly/2AjLcrM.

الشخصية والمدنية في الصميم[٦] .

استغلت بعض الانظمة في الشرق الأوسط أزمة الوباء من أجل تعزيز قبضتها الامنية، ففي مصر على سبيل المثال استغل النظام الأزمة في تعزيز قيضته الأمنية من خلال إجراء تعديلات على قانون الطوارىء الذى تعيش فيه البلاد منذ يوليو ٢٠١٣، أو بإعطاء حق الضبطية القضائية لضباط القوات المسلحة ورغم الحملة الدعائية التى خاضها المجتمع المدني والقوى السياسية المناوئة للنظام في الداخل والخارج سواء للإفراج عن السجناء على غرار ما فعلته العديد من الانظمة السياسية في المغرب وإيران وتركيا، فإن النظام استمر بحملات القيض العشوائي على ناقديه في المواقع الصحفية والتضييق على الاطباء والعاملين بالقطاع الصحي.

كما وفر الوباء مخرجاً للعديد من الأنظمة السياسة لتهدىء من حدة الاستقطاب السياسي وتخرج آلاف السجناء السياسيين لسبب موضوعي بحث دون أن يقال أن هذا تم بضغط من القوى المعارضة، ففى المقابل فإن السلطة في مصر ارتأت أن تهتم معارضيها والناشطين الحقوقيين المطالبين بالإفراج الفوري عن السجناء من كافة التيارات ولو بصيغة مشروطة، أو بتعزيز أجور الأطباء ووسائل حمايتهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية ومساواتهم بشهداء الجيش والشرطة، اتهموا بأنهم يستخدمون الوباء لأغراض سياسية وراح الإعلام يروج لهذه السردية، في حين أن دولاً وأنظمة أكثر قمعاً اتخذت اجراءات مماثلة وأطلقت سراح معتقليها وسجنائها حتى لا تصبح مسئولة عنهم حال تردى الأوضاع بالسجون[٧] .

أي أن الوباء فرض على النظم السياسية ومؤسسات الدولة أن تتخذ قرارات خارجة عن المألوف بالنسبة لها، بعضها استجاب بطريقة تعزز العلاقة والثقة بين الدولة والمجتمع والبعض الآخر تصرف بطرق تهدم فكرة الدولة المسئولة عن حماية مواطنيها الذين يقبعون تحت المسئولية المباشرة لها، واستغلت الديكتاتوريات في أكثر من بلد الوباء لتعظيم فرصها للاستمرار، إذ شكلت فرصة للتجاوز الدولة في العراق ولبناء وايران والجزائر، وهونج كونج والبرازيل.

حيث كانت هناك احتجاجات مندلعة وقت تفشي الوباء، واستغلتها الأنظمة في

---

٦ عبد السلام، رفيق (٢٠٢٠) أزمة كورونا وإعادة انتشار الدولة، العربي الجديد، بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٢٤، https://bit.ly/٢ZA٥OVZ.

٧ عمر، سمير (٢٠٢٠) أزمة كورونا والجدل حول مفهوم وأدوار الدولة، المعهد المصري للدراسات، مصر.

اضعاف حركات المجتمع الاحتجاجية تلك مما يثير عديد الأسئلة حول الديكتاتورية والديمقراطية باعتبارها تصنيفات تلتصق بالدولة بقدر التصاقها بالأنظمة السياسية أيضاً[٨].

وإذا كان التأثير الفوري لفيروس كورونا هو اخماد كل أشكال الاضطرابات والاحتجاجات، بحيث تجبر الحكومات بنوعيها الديمقراطية والسلطوية سكانها على الالتزام بالحجر الصحي، فإن خلف أسوار المنازل والسجون ومخيمات اللاجئين يوجد أناس يُعانون حتى قبل تفشي الفيروس، وتتفاقم أوضاعهم وتتعاظم مأساتهم، وتتولد الصدمات، مما يؤدي إلى احتمالية انفجار هذه الضغوط، ومن ثم خروج الاحتجاجات الشعبية لاسقاط أي نظام يرون فيه عدوهم[٩].

نحن إذن أمام سياق خوف يسمح بنمو خطاب شعبوي يتمحور حول الفرد الحاكم وأهميته على حساب مفاهيم الدولة وأدوارها، ويتم التعتيم عمدا على أية إنجازات وجهود للمجتمع في مواجهة الوباء، بل وأحياناً هدمها كما حصل لمستشفي ميداني أقامه أهالي البحيرة في مصر بجهودهم الذاتية، في تغييب متعمد من قبل السلطة الحاكمة لأي محاولة مجتمعية جادة للقضاء على الوباء[١٠].

وتحرص السلطات على أن ينسب فضل في مواجهة الوباء لغيرها وغير سياساتها وهو ما يهدم فكرة الدولة كإقليم وشعب وسيادة وأدوار اقتصادية واجتماعية لصالح فكرة الدولة كسلطة ما يخلق كراهية لفكرة الدولة ذاتها ويجعلها فكرة سلطوية بالأساس يساند هذا الخطاب سياق يصعد فيه اليمين المعادي للمؤسسات والصحافة والمجتمع. كما أن وسائل التواصل الاجتماعي جعلت من هذا الخطاب الشعبوي وقت الأزمة مثاراً للسخرية والاحتجاج، فقد كانت سياسات الرؤساء والحكومات الشعبوية تتعامل مع الوباء بإستخفاف شديد في البداية، وبعضها قال بمناعة القطيع تحت وطأة التأثر الاقتصادي الشديد، ثم تراجع عنه تحت وطأة أزمة انهيار الانظمة الصحية[١١].

ويسود النقاش في دول الشرق الأوسط حول وباء فيروس كورونا طابع المكايدات

8 The Economist,Autocrats see opportunity in disaster, 23/4/2020, https://econ.st/2WpCI9Q

9 Andreas Kluth, This Pandemic Will Lead to Social Revolutions, Bloomberg, 11/4/2020, https://bloom.bg/3a73wRg.

١٠ عمر، سمير (٢٠٢٠) أزمة كورونا والجدل حول مفهوم وأدوار الدولة، المعهد المصري للدراسات، مصر.

11 The Economist, Covid-19 and America's political system, 2/4/2020, https://econ.st/39OK4Zb

السياسية، ويتسم بالاستقطاب الذي يسيطر على النقاش العام ويغطي على إمكانية بدء حوار جاد حول مستقبل الانظمة في تلك الدول فيما بعد كورونا. فالتصدي للفيروس ينضوي على تحريك عجلة الاقتصاد، بما يتطلبه ذلك من إدارة للنظام الصحي وتقويته، والاقتصاد، والمجتمع وتحديات الأمن القومي، مع توفير الشروط الضرورية لمعالجة الأزمة السياسية. وهي معارك مؤجلة حول الدولة ورؤيتنا لها ولأدوارها وعلاقات القوة بينها وبين المجتمع والنظام السياسي[١٢] .

أزمة شرعية

تحاول الأنظمة العربية الشرق الأوسط إدارة أزمة جائحة كورونا بشكل يجعل شعوبها أقل نقمة عليها في مرحلة ما بعد انتهاء الوباء؛ الذي تشير أغلب المعطيات إلى أن تداعياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية لن توفر أحدا، ولن تكون عابرة وبسيطة، وستترك آثارها على مدى سنين إن لم تكن عقوداً كاملة. ومن أهم ما يمكن أن تواجهه الأنظمة هو أزمة شرعية السلطة السياسية نتيجة لعدم تعاملها بالشكل الأمثل مع الجائحة، بحيث أن الاداء لم يكن مناسباً لحجم الأزمة[١٣].

لقد تعرضت جميع الأنظمة السياسية التي ظهرت بها حالات إصابة بفيروس كورونا لأزمة الشرعية، وخاصة في المنطقة العربية. وذلك لأن مفهوم الدولة في حالة ظهور لأوبئة يقع في تعريفها بأنها المسئولة عن الموت والحياة، وبالتالي يقع الاختبار الحقيقي للدولة في مدى مواكبتها واستجابتها لتهديد الوباء واتخاذ الاجراءات بشأنه والتقييم بشفافية للوضع[١٤].

النتائج

كانت أغلب الدول العربية، قبل جائحة كورونا تعاني من عدة أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وصحية، تجعلها لا تقف على أرضية صلبة أمام الجائحة العالمية، ويجعل قدرتها على الاستجابة لتحديات هذا الوباء ضعيفة. والعرب كمجموعة

١٢ جعفر، هشام (٢٠٢٠) الجمهور في زمن كورونا، مدى مصر، بتاريخ ٢٠٢٠/٦/٢٣، https://bit. ٢VL٠MnE/ly.

١٣ دحمان، غازي (٢٠٢٠) هل تُشعل كورونا الثورات العربية من جديد؟، عربي ٢١، ٢٠٢٠/٤/١٧، tps:// ١٢٦٢٠٠٨/com/story.arabi٢١.

١٤ منظور، بلال (٢٠٢٠) التأثير السياسي لفيروس "كورونا" على المستويين الإقليمي والدولي، المرصد المصري، ٢٠٢٠/٣/٧، https://marsad.ecsstudies.com/٢٢٢٩٥.

يواجهون بدورهم تحديات مجتمعة على كافة المستويات الداخلية والاقليمية، مع قدرة متواضعة للتصدي لهذه التحديات. فالنظام العربي أصبح في مفترق الطريق بين مزيد من الاضمحلال والنهوض، وهذا يعني أن هناك فرصا متساوية أمام هذا النهوض والاضمحلال. ومن خلال ما سبق يمكن الخروج بالنتائج التالية:

لا يزال من المبكر التكهن بالأثر الذى ستتركه جائحة كورونا على دول الشرق الاوسط والمنطقة العربية، ولكن توجد دلائل كافية على أنه سيكون هناك تكلفة عالية لتلك الجائحة، سوف يترتب العديد من التبيعيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وسوف تواجه دول المنطقة معضلة كبيرة: إما أن تخفف من تدابير الوقاية التى لها تكلفة اجتماعية واقتصادية عالية، مما يفتح الباب لمزيد من الإصابات والوفيات، أو أن تحافظ على هذه التدابير بينما يتدهور الاقتصاد وتزداد الاضطرابات الاجتماعية في انعدام آليات المشاركة السياسية من قبل المواطنين ومسائلة من هم في السلطة فإن إدارة هذه المرحلة الطارئة قد تزيد من تردي العلاقة بين الدولة والمجتمع.

نرى أنه وبعد كورونا يمكن أن تكون أوضاع العالم العربية في حالة أسوأ عن ما قبل كورونا، وربما يدفع ذلك قادة النظام العربي إلى دعم آليات التعاون العربي ولخلق أوضاع اكثر قدرة على مواجهة تحديات ومتطلبات المرحلة القادمة، ونعتقد أن هذا التحول سيتطلب وقتاً ليس بالقصير لتحقيقه. فالنظام الاقليمي العربي ما زال يعيش عصر الأزمة المفتوحة، وتطوره يرتبط بتطور أنظمة الحكم العربية ووعيها بخطورة الموقف الراهن.

إن التحديات التى تواجه الأنظمة العربية سوف تتضاعف بسبب جائحة كورونا، وبخاصة في المناطق التى تشهد صراعات مسلحة، وخلافات اقليمية سياسية، واضطرابات داخلية بسبب التحديات الاقتصادية والاجتماعية. وما لا شك فيه أن آثار الجائحة ستكون أخطر، ولا سيما في المجتمعات الهشة التي تعاني الفقر، والبطالة، والحروب القائمة.

ويمكن القول أن الطريقة التى ستدير بها الدول العربية الأزمة الحالية الناتجة عن جائحة كورونا ستحدد مستقبل الأنظمة السياسية في المنطقة وسيكون لها آثار قوية، فإذا استطاعت الأنظمة في المنطقة من إدارة هذه الأزمة بدرجة مقبولة من النجاح، فسيمكن لها أن تخرج معززة من هذا الوضع. وعلى العكس من ذلك إذا لجأت هذه الانظمة الى التكتيكات المعتادة في المنطقة عند التعامل مع الكوارث كإنكار الادلة،

والاستجابة بطريقة غير منسقة ومتأخرة، والبحث عن اللوم في الخارج واطلاق العنان لطابعها الاستبدادي، وقتها سيكون بمقدور فيروس كورونا أن يعمق الشروخ وأن يفاقم المشاكل التى تعانيها الانظمة السياسية في المنطقة، مما سيخلق حالة من عدم الاستقرار لها.

التوصيات

تفعيل آليات التعاون والتنسيق والتضامن بين دول المنطقة لتحقيق مواجهة جماعية للأزمة بما يعزز القدرة على التكيف مع تداعياتها في المجالات المختلفة.

وضع استراتيجية موحدة لمواجهة الوباء تقوم على تحقيق التوازن بين دول المنطقة وخاصة التي انتشر بها الوباء وهي الأعلم بمستويات وصول الوباء وبقدراتها الذاتية والتي لجأت لها معظم الدول، وبين المستوي الجماعي لدول المنطقة الذى يسمح بتجميع القوة وتوجيهها والاستفادة من الامكانات المتوفرة.

اعتبار الخيار الصحي وحماية الإنسان على رأس الأولويات لمواجهة الأزمة بهدف السيطرة على وباء ومنع انتشاره والتقليل من الخسائر البشرية وتخفيف حدة الأزمة في دول المنطقة كمنظومة واحد بوصف الانسان هو جوهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والركن الأساسي في قيام الدول واستقرارها وديمومتها.

احتواء الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من الفقر والجوع والصراعات الطبقية والسياسية بهدف منع الفوضى والعنف والجريمة في أن تتفشي في دول المنطقة.

تقديم رؤية شاملة للمجتمعات في دول المنطقة بهده توحيد صفوفه في تحقيق الاجماع الوطني وعدم إصابته بالذعر من الوباء ومخاطره، واستعادة الثقة في الانظمة السياسية بأجهزتها المختلفة والاتجاه نحو مشاركة الشعب في القرارات الحكومية وضمان وصيانة قضية الوحدة الوطنية وإزالة المخاوف من تحول الوطن العربي إلى دول فاشلة وسقوطها للوصول إلى حالة من الفوضى.

المصادروالمراجع

المراجع العربية

- عبيد، على (٢٠٢٠) وباء كورونا بين الترهيب واللامبالاة، شبكة النبأ للمعلومات، https://annabaa.org/arabic/annabaaarticles/٢٢٥٦٦.

- بوزيدة، عادل، وبلغيث رؤي (٢٠٢٠) أثر جائحة كورونا في توجيه السياسة الجزائية في التشريع الجزائري، حوليات جامعة الجزائر، مج٣٤، عدد خاصة، ٧٢٢-٧٣٧.
- عمر، سمير (٢٠٢٠) أزمة كورونا والجدل حول مفهوم وأدوار الدولة، المعهد المصري للدراسات، مصر.
- الشرقاوي، محمد (٢٠٢٠) التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية- (الجزء١)، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٣، ٢AjLcrM/https://bit.ly.
- عبد السلام، رفيق (٢٠٢٠) أزمة كورونا وإعادة انتشار الدولة، العربي الجديد، بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٢٤، ٢ZA٥OVZ/https://bit.ly.
- جعفر، هشام (٢٠٢٠) الجمهور في زمن كورونا، مدى مصر، بتاريخ ٢٠٢٠/٦/٢٣، https://bit. ٢VL٠MnE/ly.
- دحمان، غازي (٢٠٢٠) هل تُشعل كورونا الثورات العربية من جديد؟، عربي ٢١، ٢٠٢٠/٤/١٧، tps:// ١٢٦٢٠٠٨/com/story.arabi٢١.
- منظور، بلال (٢٠٢٠) التأثير السياسي لفيروس "كورونا" على المستويين الإقليمي والدولي، المرصد المصري، ٢٠٢٠/٣/٧، https://marsad.ecsstudies.com/٢٢٢٩٥.
- ملكاوي، أسماء وأخرون (٢٠٢٠) أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، قطر.
- كورت، ويسل (٢٠٢٠) وباء كورونا والنظام الدولي: الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، مجلة رؤية تركية، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية- ستا، ٩ (٣)، ٨٥-١٠١.
- ضوران، برهان الدين (٢٠٢٠) مستقبل تنافس القوى العظمي العالمية بعد كورونا، مجلة رؤية تركية، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية-ستا، ٩ (٣)، ٢١-٣٦.
- الكواكبي، سلام (٢٠٢٠) جائحة كونية وعلاقات دولية بين الثنائية والمتعددة: ما هو خيار المستقبل، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية- الأمانة العامة، (١٨٢)، ٤٧-٥٦.
- المسعيد، عبد المولي (٢٠٢٠) التدبير الحكومي لأزمة كورونا بناء على نظرية الظروف الطارئة وهاجس الحقوق والحريات، مجلة مسارات في الأبحاث والدراسات القانونية، (١١)، ٢٨٩-٣١٢.
- حسن، رخا أحمد (٢٠٢٠) تأثير انتشار وباء كورونا في إيران على سياساتها الخارجية وعلاقتها الدولية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية- الأمانة العامة، (١٨٢)، ٩٩-١١١.

المراجع الأجنبية

- The Economist,Autocrats see opportunity in disaster, 23/4/2020, https://econ.st/2WpCI9Q
- Andreas Kluth, This Pandemic Will Lead to Social Revolutions, Bloomberg, 11/4/2020, https://bloom.bg/3a73wRg.
- The Economist, Covid-19 and America's political system, 2/4/2020, https://econ.st/39OK4Zb

جائحة كورونا وتأثيرها على التعليم العالي في العالم

شباب أم.

باحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية بكلية فاروق، كاليكوت، كيرلا

ABSTRACT

Coronavirus disease 2019, known for short as Covid 19, is an infection of the respiratory system due to a new coronavirus, and the World Health Organization (WHO) officially declared this epidemic a global pandemic on March 11, 2020 AD. It is believed that the virus is of zoonotic origin, and as for its transmission from person to person, it has been shown to be widespread. Infection ranges from asymptomatic carriers of the virus to severe symptoms. They include fever, cough, and shortness of breath (in moderate to severe cases); The disease may progress within a week or more from moderate to severe. A large proportion of the pathological cases require intensive clinical care; The mortality rate among diagnosed cases is generally around 2% to 3%, but it varies

by country and the severity of the case Coronavirus disease (COVID-19) Get the latest information. There is no vaccine available to prevent this infection. Infection control measures remain the mainstay of prevention (ie hand washing and cough suppression, physical distancing of those caring for the sick in addition to the so-called social distancing between people). Knowledge of this disease is incomplete and develops over time. Moreover, it is known that coronaviruses mutate and coalesce frequently, and this represents an ongoing challenge to our understanding of disease and how to manage clinical cases.

With the continuing repercussions of the outbreak of pneumonia caused by the new Coronavirus (Covid-19), this public health crisis has affected more than 200 countries and regions in the world, with 23177829 confirmed cases and 804117 deaths from this disease recorded from the end of February to the end of February. Mid-July, according to information on the WHO website. The new Corona epidemic (Covid-19) has disrupted the world and the life we knew, it has led to heavy losses in lives and economic activities. Its rapid global spread also poses a threat to millions who already suffer from food insecurity, malnutrition and the impact of conflict and other disasters.

Higher education in India has indeed been in dire need of new directions, Corona or no Corona. But the arrival and continued presence of Covid-19 has added to these and also given new direction to the challenges themselves. Technology has emerged as a major aid and suddenly technology aided classes have become the norm not only in universities and colleges but also schools and even pre-schools in certain cases. It is safe to say that the present pandemic will not only affect the Economy adversely, but it will also affect the higher education sector adversely in India.

No one is sure how long it will take for the education sector to come out from the abnormal situation prevailing in the country at present. Moreover, education system is especially vulnerable since mass gathering cannot be avoided in our classrooms. Online classes are no substitutes for classroom lectures for a variety of reasons. The digital divide will only leads to discrimination and practical classes based on laboratories cannot be held online. The interaction between the teachers and the students is a crucial component of teaching and cannot be replicated in online classes. Research has been severely hampered due to the lockdown, and hence the sooner normalcy returns, the better.

جائحة كورونا

مرض الفيروس التاجي ٢٠١٩ المعروف اختصاراً بكوفيد ١٩ هو التهاب في الجهاز التنفسي بسبب فيروس تاجي جديد، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية (WHO) رسمياً أن هذا الوباء جائحة عالمية في ١١ مارس ٢٠٢٠م . ويظن أن الفيروس حيواني المنشأ في الأصل، وأما انتقاله من إنسان لآخر فقد ثبت أنه واسع الانتشار. وتتراوح العدوى بين حامل الفيروس من دون أعراض إلى أعراض شديدة. تشمل الحمى والسعال وضيق

التنفس (في الحالات المتوسطة إلى الشديدة)؛ قد يتطور المرض خلال أسبوع أو أكثر من معتدل إلى حاد. ونسبة كبيرة من الحالات المرضية تحتاج إلى عناية سريرية مركزة؛ ومعدل الوفيات بين الحالات المشخصة بشكل عام حوالي ٢٪ إلى ٣٪ ولكنها تختلف حسب البلد وشدة الحالة . ولا يوجد لقاح متاح لمنع هذه العدوى. وتبقى تدابير مكافحة العدوى هي الدعامة الأساسية للوقاية (أي غسل اليد وكظم السعال، والتباعد الجسدي للذين يعتنون بالمرضى بالإضافة إلى ما يسمى بالتباعد الاجتماعي بين الناس). والمعرفة بهذا المرض غير مكتملة وتتطور مع الوقت؛ علاوة على ذلك، فمن المعروف أن الفيروسات التاجية تتحول وتتجمع في كثير من الأحيان، وهذا يمثل تحد مستمر لفهمنا للمرض وكيفية تدبير الحالات السريرية.

مع استمرار تداعيات تفشي مرض الالتهاب الرئوي الناجم عن فيروس كورونا الجديد (كوفيد-١٩)، أثرت أزمة الصحة العامة هذه على أكثر من ٢٠٠ دولة ومنطقة في العالم، حيث تم تسجيل ٢٣١٧٧٨٢٩ حالة إصابة مؤكدة و ٨٠٤١١٧ حالة وفاة بهذا المرض حتى من آخر فبراير الى منتصف يوليو ، وفقا للمعلومات الواردة على موقع منظمة الصحة العالمية. تسبب وباء كورونا المستجد (كوفيد-١٩) في تعطيل العالم والحياة التي كنا نعرفها، فقد أدى إلى وقوع خسائر فادحة في الأرواح والأنشطة الاقتصادية. كما أن انتشاره السريع عالمياً يمثل تهديداً على الملايين الذين يعانون بالفعل من انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية وتأثير النزاعات والكوارث الأخرى.

كان التعليم العالي في الهند بالفعل في حاجة ماسة لاتجاهات جديدة ، كورونا أو لا كورونا. لكن وصول Covid-١٩ واستمرار وجوده قد أضاف إلى ذلك وأعطى أيضًا اتجاهًا جديدًا للتحديات نفسها. ظهرت التكنولوجيا كمساعدات رئيسية وفجأة أصبحت الفصول المدعومة بالتكنولوجيا هي القاعدة ليس فقط في الجامعات والكليات ولكن أيضًا في المدارس وحتى المدارس التمهيدية في بعض الحالات. من الآمن أن نقول إن الوباء الحالي لن يؤثر سلبًا على الاقتصاد فحسب ، بل سيؤثر أيضًا على قطاع التعليم العالي بشكل سلبي في الهند.

لا أحد متأكد من الوقت الذي سيستغرقه قطاع التعليم للخروج من الوضع الشاذ السائد في البلاد في الوقت الحاضر. علاوة على ذلك ، فإن نظام التعليم ضعيف بشكل خاص حيث لا يمكن تجنب التجمعات الجماعية في فصولنا الدراسية. لا تعد الفصول الدراسية عبر الإنترنت بدائل لمحاضرات الفصول الدراسية لأسباب متنوعة. ستؤدي

الفجوة الرقمية فقط إلى التمييز ولا يمكن عقد الفصول العملية القائمة على المختبرات عبر الإنترنت. يعد التفاعل بين المعلمين والطلاب[1]

أثرها على النشاطات الرياضية

سببت الجائحة أيضًا أكبر اضطراب في جدول النشاطات الرياضية الهندي، أُلغيت غالبية النشاطات الرياضية أو أُجلت، تضرر مجال الترفيه أيضًا نتيجة الجائحة، إذ أُجبرت فرق موسيقية عديدة على إلغاء جولاتها الموسيقية أو تأجيلها إلى أجل غير مسمى أوقفت مسارح عديدة نشاطاتها . جرب بعض الفنانين وسائل جديدة للاستمرار في الإنتاج ومشاركة أعمالهم عبر الإنترنت كبديل للعروض المباشرة التقليدية، إذ حاول الكثيرون التوجه إلى الدعابة والإلهاء وسط حالة القلق والشك السائدة.

أثرها على الصحافة

أزالت العديد من الصحف التي تتبع طريقة الجدار المأجور إلى التسويق المدفوع هذه الجدر من أجل بعض موادهم المتعلقة بوباء فيروس كورونا أو جميع هذه المواد. جعل العديد من الناشرين العلميين أوراقهم البحثية المتعلقة بالوباء ذات وصول مفتوح. اختار بعض العلماء مشاركة نتائجهم بسرعة على خوادم مختصة بنشر الأوراق الأولية في مرحلة ما قبل الطباعة .

أثرها على العلاقات الدولية

وبالإضافة إلى ذلك، أخذت العديد من الدول إجراءات احترازية لمنع انتشار الفيروس مثل إغلاق الحدود وتعليق الرحلات الدولية، لذا حذر بعض المحللين من تراجع الانفتاح والتبادلات في العلاقات الدولية على المدى القصير. لكن الوباء لا يمثل على الإطلاق نهاية الترابط بين الدول، لأنه يعد في حد ذاته دليلا على الترابط البشري. ومع ذلك، هناك الآن ميل إلى الانغلاق على الداخل في جميع البلدان من أجل السعي إلى الاستقلال الذاتي وسيطرة كل منها على مصيره.

1 World Health Organization – Report -19/03/2020, www.who.int, https://www.facebook.com/WHO, https://www.twitter.com/WHO, The Hindu Daily – 15/03/2020, www.thehindu.com

أثرها على التعليم في العالم

أثرت الجائحة على الأنظمة التعليمية عموم الهند ما أدى إلى إغلاق شبه تام للمدارس والجامعات والكليات. لا يؤثر إغلاق المدارس فقط على الطلاب والمعلمين والعائلات بل يتجاوز ذلك ليكون له عواقب اقتصادية واجتماعية. قد سلط إغلاق المدارس استجابة لكوفيد-١٩ الضوء على قضايا اقتصادية واجتماعية متنوعة بما فيها الديون الطلابية، والتعلم الرقمي، وانعدام الأمن الغذائي، والتشرد، بالإضافة إلى الوصول إلى رعاية الأطفال، والرعاية الصحية، والإسكان، والإنترنت، وخدمات الإعاقة. لقد كان الأثر أشد على الأطفال المحرومين وعائلاتهم ما أدى إلى انقطاع التعليم، والتغذية السيئة، ومشكلات رعاية الأطفال، وما يترتب على ذلك من تكلفة اقتصادية للأسر التي لم تستطيع العمل. استجابة لإغلاق المدارس، أوصت الحكومة الهندية باستخدام برامج التعلم عن بعد، وفتح التطبيقات والمنصات التعليمية المفتوحة التي يمكن للمدارس والكليات والجامعات والمعلمين استخدامها للوصول إلى المتعلمين عن بعد، والحد من انقطاع التعلم .

نظام التعليم العالي في العالم

نظام التعليم في الهند مؤسس ومنظم بشكل جيد ويغطي نطاقاً واسعاً من التخصصات، بشبكتها الواسعة والمتطورة من الجامعات والكليات فى مجالات الهندسة، تقنية المعلومات، التقنية الحيوية، الزراعة، الادارة، الطب، الصيدلة، الآداب، العلوم والتجارة الخ، ويرجع الفضل الكبير لتفوق الهند في مجال العلوم والتكنولوجيا إلى نظامها التعليمي ومؤسساتها التعليمية التي استطاعت أن تكتسب شهرة عالمية وبدأت تجذب آلافا من الطلبة من جميع أنحاء العالم . في عام ٢٠٢٠ يوجد في الهند ٥٣ من الجامعات المركزية(Central University) , و ٤١٢ من الجامعات الحكومية(State University), و ٣٥٦من الجامعات الخاصة (Private University)و١٢٤ تعتبرجامعات(Deemed University) وما يزيد عن ٣٩٩٠٠ مؤسسة تعليمية بمسمى كلية أو معهد . وتقدم هذه الجامعات الدراسة العالية على مستويات عالمية في برامج الحصول على الدبلوم، والماجستير في الدراسات العليا ودرجة الدكتوراه. يعد نظام التعليم العالي في الهند هو أكبر ثالث نظام احتياطي في العالم بعد الصين والولايات المتحدة

تأثير الجائحة على الإقتصاد

تمثل هذه الجائحة خطرًا كبيرًا على استقرار الاقتصاد العالم. وأن الضرر اللاحق بها قد يستمر حتى أعوام. تعتبر السياحة أحد أكثر القطاعات الاقتصادية تأثرًا بالجائحة نتيجة حظر السفر وإغلاق المرافق العامة ومن ضمنها الأماكن السياحية، إضافة إلى التوجيهات الحكومية المحذرة من السفر. ألغت العديد من الشركات رحلاتها الجوية بسبب نقص الطلب، تعرض مجال الرحلات البحرية السياحية لضرر كبير، وأُغلق عدد من محطات القطار ومرافئ العبارات أيضًا. تعرض قطاع تجارة التجزئة لخسائر كبيرة، إذ نقص عدد ساعات العمل في المتاجر وتعرضت للإغلاق بشكل مؤقت. عرقلت الجائحة عملية إنتاج الغذاء وتهدد بإحداث أزمة غذائية.

أثرها على الثقافة

تعرضت قطاعات الفنون الاستعراضية والإرث الثقافي إلى ضرر كبير نتيجة الجائحة، ما أدى إلى أذية مدراء المنظمات (Organization Directors) بالإضافة إلى الأشخاص الموظفين منهم والمستقلين على حد سواء عموم الهند. بحلول مارس من عام ٢٠٢٠، أُغلقت المتاحف والمكتبات ودور المسرح وبقية المؤسسات الثقافية إلى أجل غير مسمى مع إلغاء معارضها ونشاطاتها وعروضها أو تأجيلها.

دراسة: آلاف المتعافين من «كورونا» قد يموتون لهذا السبب

نبهت منظمة طبية في بريطانيا، أخيراً، من أن عدداً ممن أصيبوا بفايروس كورونا المستجد ثم تعافوا منه، قد يعانون اضطرابا صحيا خطيرا يصل إلى حد الوفاة.

ورجحت المنظمة البريطانية لمرض تعفن الدم UK Sepsis Trust، أن نحو ٢٠ ٪ ممن تعافوا من كورونا، قد يصابون بهذا المرض، في غضون سنة، بحسب موقع «سكاي نيوز».

ويحصل تعفن الدم لدى الإنسان حين يتفاعل الجسم بشكل مبالغ فيه مع العدوى، ما يؤدي إلى تفاعل مبالغ فيه للجهاز المناعي، وعندها يحصل إتلاف في النسيج وفشل الأعضاء، فضلا عن احتمال الوفاة.

وفي حال جرى رصد هذا الاضطراب بشكل سريع، يكون قابلا للعلاج من خلال المضادات الحيوية، أما إذا لم يتم الانتباه إليه، فيشهد الجسم ما يعرف في الوسط الطبي بـ«الحالة الإنتانية» وهي وضع خطير تصبح فيه الأعضاء عاجزة عن أداء وظيفتها.

وقال الباحث رون دانيلز، وهو مؤسس المنظمة، إن كل شخص أصيب بفايروس كورونا وتعافى منه عليه أن يكون واعيا بهذا المرض وأعراضه، وهذا الأمر ينطبق أيضا عن الأشخاص الذين ظهرت عليهم أعراض خفيفة فقط.

ويظهر اضطراب تعفن الدم من خلال عدة أعراض، أولها الشعور بنوع من التشويش مع صعوبة في الكلام، فضلا عن آلام شديدة. وتشمل الأعراض أيضا صعوبة في التنفس والإحساس بتدهور شديد أو التغيّر في لون الجلد.

وحثت المنظمة الحكومة البريطانية على ضخ استثمارات لتمويل حملات توعية، نظرا لاحتمال وفاة الكثيرين من جرّاء مضاعفات هذا الاضطراب.[٢]

ورجح الخبراء أن تتكبد هيئة الصحة العامة في بريطانيا أكثر من مليار جنيه إسترليني لعلاج المرضى من هذا الاضطراب.

ونبّه دانيلز إلى أن انتشار هذا الاضطراب بين من تعافوا من كورونا قد يؤدي إلى زيادة الضغط على المستشفيات التي تعرضت لإنهاك خلال أزمة فايروس كورونا.

أثر جائحة كورونا على التعليم العالي

وقد أدى هذا الوباء إلى تعطيل قطاع التعليم العالي إلى حد كبير ، وهو محدد حاسم للمستقبل الاقتصادي للبلد , في وقت ما من الأسبوع الثاني من شهر مارس ، بدأت حكومات الولايات في جميع أنحاء البلاد في إغلاق المدارس والكليات والجامعات مؤقتًا كإجراء لاحتواء انتشار الفيروس التاجي الجديد (١٢). إنها قريبة من ستة أشهر ،وليس هناك يقين متى سيتم إعادة فتحها. هذا هو وقت حاسم لقطاع التعليم - امتحانات المجلس ، والقبول في رياض الأطفال ، واختبارات القبول في الجامعات المختلفة والامتحانات التنافسية ، من بين أمور أخرى ، التي عقدت كلها خلال هذه الفترة.

يلتحق عدد كبير من الطلاب الهنود - في المرتبة الثانية بعد الصين - بالجامعات في الخارج ، خاصة في البلدان الأكثر تضرراً من الوباء والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأستراليا والصين (١٣). وقد مُنع العديد من هؤلاء الطلاب الآن من مغادرة هذه البلدان. إذا استمر الوضع على المدى الطويل ، فمن المتوقع انخفاض الطلب على التعليم العالي الدولي.

2 The Economic times – 23/03/2020, https://www.indianrailways.gov.in, https://www.cnbc.com.

لكن القلق الأكبر في أذهان الجميع هو تأثير المرض على معدل التوظيف. يخشى الخريجون الجدد في الهند سحب عروض العمل من الشركات بسبب الوضع الحالي. ارتفع معدل البطالة من ٨,٤٪في منتصف مارس إلى ٢٣ ٪ في أوائل مايو ومعدل البطالة في المناطق الحضرية إلى ٣٠,٩٪. ، وفقا للمعلومات الواردة على موقع مركز مراقبة تقديرات الاقتصاد الهندي (Centre for Monitoring Indian Economy- CMIE) (١٤) .

التعليم ما قبل جائحة كورونا

لسنوات عديدة ، اتبعت جميع المدارس والكليات في جميع أنحاء الهند أسلوب التدريس التقليدي القياسي. دور المعلم في أسلوب التدريس التقليدي هو محاضر حيث يقوم المعلمون فقط بإلقاء محاضرات طوال الفصل ، ويستمع الطلاب. ومع ذلك ، هذا هو أسلوب التدريس المفضل من قبل المعلمين والآباء على حد سواء لعدة أسباب.

دور المعلم ما قبل جائحة كورونا

المدرسة والكلية مثل المنزل الثاني للأطفال حيث يعتني المعلمون باليوم بأكمله. وهكذا في حالة الآباء العاملين ، يمكنهم ترك الطلاب في الفصل والذهاب إلى العمل بسلام. لذلك يشعر الآباء بأنهم في أيد أمينة. إن التركيز الأساسي للمعلمين هو جعل الطلاب يستعدون لامتحاناتهم. يقدم المعلمون مساعدة كبيرة لمختلف مستويات الطلاب. في حين أن البعض قد يكون مجتهدًا ، فإن البعض الآخر قد يحب التحديات أو قد يكون بعض الطلاب أيضًا مزعجين في اللحظة الأخيرة. يراقب المعلمون المهام بدقة. إنها ممارسة يتبعها جميع المعلمين في المدرسة لتقييم مستويات أداء الطلاب لضمان أداء جميع الطلاب على قدم المساواة. [٣]

دور المعلم ما بعد جائحة كورونا

لقد تغير الزمن ، إن التأثير الوبائي مرتفع للغاية لدرجة أنه أجبر العالم بأسره على التغيير ، وكذلك المؤسسات التعليمية. فإن الدراما الوبائية جعلت نظام التعلم يتغير بشكل كبير بحيث جعل المدارس تذهب إلى طريقة التعلم الإلكتروني في جميع أنحاء العالم .التعلم الإلكتروني إنه طريقة تعليمية للتدريس حيث لا يجب أن يكون الطلاب حاضرين في الفصل. (١٥) بدلاً من ذلك ، يقوم المعلمون بتدريس الدروس عبر الإنترنت.

3 https://yas.nic.in – 12/04/2020, https://cribuzz.com, https://similarweb.com

كما تعلم ، فإن مفهوم التعلم الإلكتروني أو التعلم عن بعد موجود منذ عدة سنوات ولكنه لم يكن شائعًا للغاية(١٦) . ولكن الآن ، مع إغلاق المدارس في جميع أنحاء العالم ، أصبح التعلم الإلكتروني إلزاميًا. يجب على المعلمين الذين يخشون التكنولوجيا أن يأخذوا الثور من قرونه. بالنسبة للعديد من المهرة في التخطيط والتدريس في الفصل الدراسي التقليدي ، يتطلب التخطيط لإعداد عبر الإنترنت بعض إعادة التعلم.

اتجاهات جديدة في التعليم العالي الهندي بعد جائحة كورونا

لقد مر حوالي خمسة أشهر منذ ١١ مارس ٢٠٢٠ عندما أعلنت منظمة الصحة العالمية أن COVID-١٩ هو وباء (١٧) . إن هذا الوباء ، كما ندرك بشكل متزايد ، لديه القدرة على تغيير النظام العالمي بأكمله. في بعض الأوساط ، يُنظر إلى هذا بالفعل على أنه فجوة تاريخية ،مثل قبل الميلاد (قبل كورونا) و AC (بعد كورونا) ، وقد تأثرت النظم التعليمية في جميع أنحاء العالم بشكل خطير حتى في هذه الفترة القصيرة من الزمن. وبحلول منتصف شهر مارس ، تم إغلاق جميع هذه الدورات، تم تعليق الفصول الدراسية ،والامتحانات ، والعمل البحثي ، واضطرت جميع التجارب المعملية تقريبًا للضغط على الإيقاف المؤقت.

على الرغم من أن لجنة المنح الجامعية والعديد من الجامعات قررت بسرعة إجراء دروس وامتحانات عبر الإنترنت ، إلا أن تنفيذها في البلاد ليس بالمهمة السهلة. لا يزال الوصول إلى الهواتف الذكية والإنترنت محدودًا للغاية. في الوقت نفسه ، لا يمكن إنكار أن التكنولوجيا يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في تقديم بدائل للأنشطة الأكاديمية المنتظمة ، لذلك قد يكون أحد آثار هذا الوباء هو إحداث تغييرات كبيرة في قطاع التعليم التقليدي فيما يتعلق باستخدام التكنولوجيا باعتبارها أداة للتعلم. كيفية استجابة المسؤولين والمعلمين لهذا الوقت العصيب سيقرر المستقبل.

وفي الختام ، أن قطاع التعليم يحتاج إلى حلول من جبهة الوصول وزاوية التدريس وجبهة تدريب المعلمين وزاوية التعاون لمعالجة مشكلة توفير التعليم من خلال التكنولوجيا بشكل فعال. هناك أيضًا حاجة إلى المزيد من المؤسسات التعليمية الماهرة بالتكنولوجيا من أجل التمسك بالمؤسسات التعليمية الأقل ذكاءً ، ووضع خطة عمل مناسبة للطلاب والمعلمين والمؤسسات بالإضافة إلى ضمان تدريب المعلمين على استخدام تكنولوجيا التعليم.

وهنا يجب أن نخرج بدروس ومقترحات من هذه الجائحة بما يخص التعليم العالي

مثل:

- التشريع للتعلم عن بعد وأدواته داخليا وخارجيا .
- لعودة إلى تمكين وتعزيز البنية التحتية لشبكات الإتصال والإنترنت والخوادم والأجهزة التي تمكن من تفعيل هذا النوع من التعليم.
- توفير تدريب وتأهيل للقوى البشرية الفنية والتدريسية والإدارية في جامعاتنا لإستخدام أدوات وبرامج التعليم عن بعد، أيا كانت رتبهم للمدرسين وأيا كانت مستوياتهم لسواهم.
- إدخال مساقات التعليم (Education Courses)عن بعد والتعليم الإلكتروني لكافة الجامعات .
- تغيير النمط التقليدي في التدريس الجامعي والإنتقال إلى التعليم المتمازج للمساقات المختلفة وحسب طبيعتها.
- تأسيس مركز وطني للباحثين، يتبنى جميع الأبحاث التي تقرها الجامعات أو صندوق البحث العلمي.
- إنشاء مركز وطني للتقييم عن بعد يتبنى جميع الإمتحانات الوطنية لمساقات التعليم عن بعد.
- ربط الجامعات والإستفادة المشتركة والتكاملية من سعات التخزين والخوادم وجميع الإمكانات الفنية من خلال شبكة الجامعات وقاعدة بيانات وطنية لجميع الإمكانات المتوفرة وبرمجة الإستغلال الأمثل لها.

نظام التعليم العالي في الهند ما بعد جائحة كورونا

من الضروري وجود استراتيجية متعددة الجوانب لإدارة الأزمة وبناء نظام تعليمي هندي مرن على المدى الطويل.

أولاً ، تعتبر الإجراءات الفورية ضرورية لضمان استمرارية التعلم في المدارس والجامعات الحكومية.

ثانيا ، يجب اعتماد حلول التعليم الرقمي مفتوحة المصدر وبرامج إدارة التعلم حتى يتمكن المعلمون من إجراء التدريس عبر الإنترنت. يمكن تعزيز منصة(National Digital Infrastructure for Teachers) DIKSHA (١٨)، التي تمتد عبر جميع الولايات في الهند ، لضمان وصول الطلاب إلى التعليم.[٤]

4 https://www.mhrd.gov.in, https://www.ugc.ac.in

ثالثًا ، الاستراتيجيات مطلوبة لإعداد قطاع التعليم العالي لاتجاهات العرض والطلب المتطورة في جميع أنحاء العالم - لا سيما تلك المتعلقة بالحراك العالمي للطلاب وأعضاء هيئة التدريس وتحسين جودة والطلب على الدراسات العليا في الهند.

رابعًا ، من المهم أيضًا إعادة النظر في طرق التسليم والطرق التربوية الحالية في المدرسة والتعليم العالي من خلال دمج التعلم في الفصول الدراسية بسهولة مع أوضاع التعلم الإلكتروني لبناء نظام تعليمي موحد.

خامساً ، المعرفة التقليدية الهندية معروفة جيداً في جميع أنحاء العالم بابتكاراتها العلمية وقيمها وفوائدها لتطوير تقنيات وأدوية مستدامة. يجب دمج الدورات التدريبية حول أنظمة المعرفة التقليدية الهندية في مجالات اليوغا (Yoga)، والأدوية الهندية (Indian Medicine)، والهندسة المعمارية(Architecture) ، والمكونات الهيدروليكية Hydraulic Components) (، وعلم النبات النباتي ، والتعدين (Mining)، والزراعة مع التعليم الجامعي السائد حاليًا لخدمة القضية الأكبر للإنسانية.

في هذا الوقت من الأزمة ، فإن الممارسة التعليمية الشاملة والفعالة هي ما يلزم لبناء قدرات العقول الشابة. ستطور المهارات التي ستؤدي إلى توظيفهم وإنتاجيتهم وصحتهم ورفاههم في العقود القادمة ، وضمان التقدم الشامل للهند. يجب أن يكون التعليم العالي في الهند أكثر دولية ، وأكثر مرونة (المناهج الدراسية) ، ويجب أن يكون مبتكرًا ويجب أن يكون مفتوحًا لمزيد من التعاون ، ويجب إعادة تصميم التعليم العالي. يجب أن تكون مرنة وأكثر ابتكارا وأكثر دولية ولكن أكثر ارتباطا محليا ومسؤولة اجتماعيا وأكثر تعاونية وأقل نفور من المخاطر. يجب إدخال نماذج مبتكرة. يمكن أن تكون الجامعات / المعاهد عبر الإنترنت - تقدم عروض مرنة على الإنترنت (جامعات مفتوحة) ؛ التعلم التقليدي بالعمل اليدوي ؛ التعاون مع المدارس الأخرى.

التعليم الإلكتروني(E-Learning)

إن العثور على منصة التدريس المناسبة عبر الإنترنت ليست سوى الخطوة الأولى(١٩). من المهم معرفة كيفية استخدام الميزات المختلفة بشكل صحيح. لكن استخدام منصة وخصائصها للتدريس بشكل فعال وضمان أن جميع الطلاب يتعلمون بالفعل أمر بالغ الأهمية. ولكن أكثر من أي شيء آخر ، أثارت الفصول الدراسية عبر الإنترنت قضايا إدارة الفصول الدراسية. إذا اعتقد المعلمون أن لديهم ما يكفي من المتاعب في ترتيب الفصول

الدراسية في وقت مبكر ، فهذا لا شيء مقارنة بمشاكل الفصول الدراسية البعيدة.

يرغب الكثير في تعلم تقنيات واستراتيجيات التدريس المناسبة عبر الإنترنت للحفاظ على تفاعل طلابهم. يريد الكثير معرفة أي منصة لاستخدامها. هل هو تكبير؟ ولكن أليس هناك قضايا خصوصية؟ ماذا عن Google Classrooms؟ هل هذا أفضل من Zoom لأنه LMS؟ ما هو LMS؟ ماذا عن Microsoft Teams؟ يريد الآخرون معرفة كيفية إبقاء الطلاب غير المدعوين ، والمشكلات ، خارج الفصول الدراسية عبر الإنترنت. هذه مجرد البداية. يجب على المدارس أيضًا التفكير بجدية في التخطيط وإجراء التقييمات عبر الإنترنت وتقييم الطلاب عبر الإنترنت. ازدياد فرص التواصل بين الطلبة والتفاعل فيما بينهم، وبالتالي التحفيز على المشاركة بالمواضع التعليمية المطروحة بكل سهولة وجرأة.

سليبات التعليم الإلكتروني

- الافتقار لبنية تحتية قوية مزويدة بوسائل التعليم الإلكتروني.
- انعدام الخبرة في أنظمة التعليم الإلكتروني.
- عدم وجود الخبرة الكافية لدى المعلمين في ارتياد التقنية الرقمية واستخدامها.
- احتمالية غياب العامل الإنساني في العملية التعليمية.
- تكلفة مادية مرتفعة.
- الصعوبة في التطوير على المعايير.
- غياب التغذية الراجعة من المعلم وتأخر الحصول عليها لوقت طويل يفقد العملية إيجابيات التعليم الإلكتروني.٥

التعليم عن بُعد (Distance Learning)

هو وسيلة تعليمية حديثة النشأة، تعتمد في مضمونها على اختلاف المكان، وبُعد المسافة بين المُتعلم والكتاب أو المعلم أو المجموعة الدراسية؛ وتكمن أهميتها في تقديم برنامج تعليمي من قلب الحرم التعليمي، ووضعه بين يدي المتعلم بالرغم من اختلاف المساحة الجغرافية؛ وذلك سعياً لاستقطاب الطلاب، وتحدّي الظروف الصعبة التي تواجههم للانضمام إلى برنامج التعليم التقليدي في الجامعات (٢٠) .

ظهرت فكرة التعليم عن بُعد في نهايات السبعينات من القرن الحالي بواسطة

5 https:// www.cnbc.com, https://timesofindia.indiatimes.com, The Hindu Daily – 10/03/2020, www.thehindu.com

الجامعات الأوروبية والأمريكية (٢١)؛ حيث كانت ترسل البرنامج التعليمي للطلبة بواسطة البريد، وكانت تتمثل حينها بالكتب، وشرائط التسجيل، والفيديوهات؛ لتقدم شرحاً وافياً حول المناهج التعليمية، وكان الطلبة يندمجون مع هذا النمط التعليمي، ويلتزمون بما يوكل إليهم من فروض وواجبات، ولكن تشترط الجامعات على طلبتها القدوم إلى الحرم الجامعي في موعد الاختبارات النهائية.[٦]

إيجابيات التعليم عن بعد

- يلعب التعليم عن بُعد دوراً فعالاً في رفع المستويات الثقافية، والعلمية، والاجتماعية بين الأفراد.
- يسد النقص الكبير في الهيئات التدريسية والأيدي المدربة المؤهلة في مختلف المجالات.
- يخفف من ضعف الإمكانيات التي تعاني منها بعض الجامعات.
- يُقلل من الفروقات الفردية بين المُتدربين.
- فتح الآفاق في الارتقاء الوظيفي لمن فاته قطار التعليم المنتظم من الموظفين، حيث يمكنه ذلك من الدراسة والعمل في آن واحد.
- يوفر الوقت والجهد.
- يحفز المتعلم على اكتساب أكبر قدر من المهارات والتحصيل العلمي، نظراً لتركيز العملية التعليمية فقط على الفحوى الدراسي دون التطلع إلى أي جوانب أخرى.
- يساعد الفرد على الاعتماد على نفسه كلياً، وذلك من خلال اختيار المصادر التي يستوحي منها معلوماته بذاته دون تأثير من الغير.
- سلبيات التعليم عن بعد :
- عدم تقبّل المجتمعات لهذا النوع من التعليم.
- سوء الظن بهذا النمط التعليمي من حيث قدرته على توفير فرص عمل.
- عدم اعتمادية بعض وزارات التعليم العالي في الدول العالمية للتعليم عن بعد.
- انعدام وجود البيئة الدراسية التفاعلية والجاذبة والتي ترفع من استجابة الطلبة في هذا النوع من التعليم.
- اقتصار المادة التعليمية على الجزء النظري من المنهاج في أغلب الأحيان، واختصار التجارب الحيّة وما تحققه من فائدة للطالب.

6 World Health Organization – Report -18/04/2020, www.who.int, https://www.facebook.com/WHO, https://www.twitter.com/WHO

- إجهاد المتعلّم بسبب ما يقضيه من وقت على الهواتف الذكية وغيرها لمتابعة مواده الدراسية المختلفة.
- اقتصار دور المعلّم على الجانب التعليمي في أغلب الأحيان، واختصار دوره القيمي التربوي وفي تنشئة الطلّاب.
- عجز الطالب عن تقييم أدائه وتحصيله بشكل مستمر وهو الدور الذي كان يُسند إلى المعلم في البيئة التعليمية الواقعية.

أدى انتشار الأمراض المعدية السابقة إلى إغلاق المدارس على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم، مع مستويات متفاوتة من فعالية الأمر.خلال جائحة إنفلونزا ١٩١٨-١٩١٩ في الولايات المتحدة، ارتبط إغلاق المدارس وحظر التجمع العام بانخفاض معدلات الوفيات الإجمالية. كان لدى المدن التي نفذت مثل هذه التدخلات في وقت مبكر تأخيرات أكبر في معدلات الوفيات الكبرى. أغلقت المدارس لمدة ٤ أسابيع وفقًا لمتوسط استجابة ٤٣ مدينة أمريكية لمواجهة الإنفلونزا الإسبانية.خلال جائحة أنفلونزا H١N١ عام ٢٠٠٩، نجحت بلدان عديدة في إبطاء انتشار العدوى من خلال إغلاق المدارس. كان إغلاق المدارس في مدينة أويتا، اليابان، نجحا في تقليل عدد الطلاب المصابين خلال انتشار الفيروس؛ ولكن لم يثبت أن إغلاق المدارس قد أدى إلى انخفاض كبير في العدد الإجمالي للطلاب المصابين. أدى إغلاق المدارس المبكر في الولايات المتحدة إلى تأخير انتشار جائحة إنفلونزا H١N١ في عام ٢٠٠٩. على الرغم من النجاح العام لإغلاق المدارس، فقد وجدت دراسة حول إغلاق المدارس في ميشيغان أن "إغلاق المدارس المتفاعل على مستوى المقاطعة كان غير فعال".قد يكون إغلاق المدارس فعالاً في إبطاء انتشار المرض على وجه السرعة. عندما يحدث إغلاق المدرسة متأخراً بالنسبة لتفشي المرض، فإنها تكون أقل فعالية وقد لا يكون لها أي تأثير على الإطلاق. بالإضافة إلى ذلك، في بعض الحالات، أدى إعادة فتح المدارس بعد فترة إغلاق إلى ارتفاع معدلات الإصابة. نظرًا للمعدلات المنخفضة لعدوى كوفيد-١٩ بين الأطفال، فقد تم التشكيك في فعالية إغلاق المدارس.

توفر المدرسة فرصة التعلم الأساسية، وعندما تُغلق المدارس، يُحرم الأطفال والشباب من فرص النمو والتطور. يكون هذا الحرمان أكثر إضرارًا بالمتعلمين الأقل حظًا الذين لديهم فرص تعليمية أقل خارج المدرسة. عندما تُغلق المدارس، يُطلب من أولياء الأمور غالبًا تيسير عملية تعلم الأطفال في المنزل، وقد يواجهون صعوبة في أداء هذه المهمة. هذا ينطبق بشكل خاص على الآباء ذوي التعليم والموارد المحدودة. في غياب

الخيارات البديلة، غالبًا ما يُترك أولياء الأمور من العاملين الأطفال وحدهم عند إغلاق المدارس، وقد يؤدي ذلك إلى سلوكيات محفوفة بالمخاطر، بما في ذلك زيادة تأثير ضغط الأقران وتعاطي المخدرات. غالبًا ما تمثل النساء نسبة كبيرة من العاملين في مجال الرعاية الصحية، ولن يمكنهنّ غالبًا الانتظام في العمل بسبب التزامات رعاية الأطفال الناتجة عن إغلاق المدارس. هذا يعني أن العديد من مُزاوِلات المهن الطبية لن يتواجدن في المرافق التي هي بأمس الحاجة إليهن خلال الأزمة. يمثل ضمان عودة الأطفال والشباب والبقاء في المدرسة عند إعادة فتح المدارس بعد إغلاقها تحديًا. يكون هذا صحيحًا خصوصًا في حالات الإغلاق المطول.

توقف عدد غير مسبوق من الأطفال والشباب والبالغين عن الذهاب إلى المدارس أو الجامعات بسبب تفشي كوفيد-١٩. أعلنت الحكومات في ٧٣ دولة إغلاق المؤسسات التعليمية أو نفذته في محاولة لإبطاء انتشار المرض. وفقًا لرصد اليونسكو، أغلقت ٥٦ دولة المدارس في جميع أنحاء البلاد، ما أثّر على أكثر من ٥١٦,٦ مليون طفل وشاب. نفّذت ١٧ دولة أخرى إغلاقًا محدود النطاق للمدارس، وإذا ما أصبحت عمليات الإغلاق هذه على نطاق الدولة، سيعاني مئات الملايين من المتعلمين الإضافيين توقفَ الدراسة. يؤدي إغلاق المدارس إلى الضغط على أولياء الأمور والأوصياء لتوفير رعاية للأطفال وإدارة التعلم عن بعد في أثناء وجود الأطفال خارج المدرسة. يؤثر إغلاق المدرسة سلبًا في نتائج تعلم الطلاب.تميل معدلات تسرب الطلاب إلى الزيادة نتيجة إغلاق المدارس بسبب التحدي المتمثل في ضمان عودة جميع الطلاب إلى المدرسة بعد انتهاء الإغلاق. يميل التعليم النظامي -بخلاف التعليم غير النظامي- إلى الإشارة إلى المدارس والكليات والجامعات ومؤسسات التدريب. وقد حدد تقرير البنك الدولي لعام ١٩٧٤ التعليم النظامي بوصفه على النحو التالي . يتم عادةً تصميم البرامج التعليمية للطفولة المبكرة للأطفال الذين تقل أعمارهم عن ٣ أعوام، وقد تشير إلى مرحلة ما قبل المدرسة ورياض الأطفال ودور الحضانة وبعض برامج الرعاية اليومية.

في حين إغلاق العديد من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أنحاء العالم بسبب فيروس كورونا COVID-١٩، اختلفت الإجراءات التي تؤثر على البرامج التعليمية للطفولة المبكرة. وتعتبر رياض الأطفال ومراكز الرعاية اليومية في بعض الدول والمناطق، خدمات ضرورية ولا يتم إغلاقها بالتوازي مع تدابير إغلاق المدارس واسعة النطاق.

وقد شجعت وزارة الأطفال والشباب والأسر في ولاية واشنطن في الولايات المتحدة

على إبقاء مراكز رعاية الأطفال ومراكز التعليم المبكر مفتوحة. وتُقدم بعض المناطق التعليمية خيارات بديلة لرعاية الأطفال، مع إعطاء الأولوية لأبناء أوائل المستجيبين والعاملين في مجال الرعاية الصحية.

وقد أصدر حاكم ولاية ماريلاند تكليفًا بأن تبقى خدمات رعاية الأطفال مفتوحة لأطفال فرق الطوارئ، بينما تركت ولاية واشنطن وكاليفورنيا الأمر لتقدير مقدمي الرعاية. وقد شرح حاكم ولاية كاليفورنيا "جافين نيوسوم" موقف ولايته، قائلاً: "نحن بحاجة إلى خدمات رعاية الأطفال ومراكز الرعاية اليومية؛ لكي تعمل على استيعاب تأثير إغلاق المدارس". وشجعت كولورادو على تطوير "مجموعات أدوات" للوالدين، لاستخدامها في المنزل لمحاكاة الدروس التي كان سيحصل عليها الأطفال في برامج التعليم المبكر الخاصة بهم.أما في اليابان، فقد أغلق رئيس الوزراء شينزو أبي جميع المدارس في جميع أنحاء البلاد حتى الثامن من أبريل، ومع ذلك فقد تم استثناء مرافق الرعاية اليومية للأطفال. في بدايات شهر مارس تم اكتشاف خمس حالات إيجابية بفيروس كورونا لخمسة بالغين كانوا مرتبطين بمرفق تمريض للأطفال في سن ما قبل المدرسة في كوبي. وبعد فحص أكثر من مائة طفل في المنشأة، تم اكتشاف طالب في مرحلة ما قبل المدرسة حاملًا الفيروس. يشير التعليم العالي إلى المستويات التعليمية غير الإلزامية التي تلي إتمام المدرسة الثانوية. يتم اتخاذ التعليم العالي عادةً ليشمل التعليم الجامعي والدراسات العليا، وكذلك التعليم والتدريب المهني. ويحصل الأفراد الذين يكملون التعليم العالي بشكلٍ عام على شهادات أو دبلومات أو درجات أكاديمية.

طال تأثير جائحة فيروس كورونا ٢٠١٩-٢٠ النظمَ التعليمية في جميع أنحاء العالم، ما أدى إلى إغلاق المدارس والجامعات على نطاق واسع. في ١٦ مارس عام ٢٠٢٠، أعلنت الحكومات في ٧٣ دولة إغلاق المدارس، بما في ذلك ٥٦ دولة أغلقت المدارس في جميع أنحاء البلاد و١٧ دولة أغلقت المدارس داخل نطاق محدد. أثر إغلاق المدارس على مستوى الدولة في أكثر من ٤٢١ مليون متعلم على مستوى العالم، بينما عرض الإغلاق محدود النطاق للمدارس ٥٧٧ مليون متعلم للخطر. وفقًا للبيانات الصادرة عن اليونسكو في ١٠ مارس، فإن إغلاق المدارس والجامعات بسبب انتشار فيروس كوفيد-١٩ ترك واحدًا من كل خمسة طلاب خارج المدرسة على مستوى العالم.

دفعت الجهود المبذولة لِوقف انتشار كوفيد-١٩ من خلال التدخلات غير الصيدلانية والتدابير الوقائية مثل الإبعاد الاجتماعي والعزل الذاتي إلى إغلاق المدارس

الابتدائية، والثانوية، وأيضًا المدارس ما بعد الثانوية، بما فيها الكليات والجامعات، على نطاق واسع في ٦١ دولة على الأقل.

كان غالبية مرضى كوفيد-١٩ من البالغين. قد تشير الأدلة الأولية إلى أن الأطفال أقل عرضة للإصابة بالفيروس، ولكن يُعتقد أن الأطفال قادرين على نشر الفيروس. لذا يُعد إغلاق المدارس بصفة عامة وسيلة فعالة لتقليل انتشار المرض، ولكن هناك حاجة إلى المزيد من البيانات لإجراء تقييم واضح للتأثير. في بعض الحالات، وجد أن إغلاق المدارس غير فعال إن نُفِّذ في وقت متأخر جدًا. لما كانت عمليات الإغلاق تميل إلى الحدوث بالتزامن مع التدخلات الأخرى مثل حظر التجمع العام، كان من الصعب قياس التأثير المحدد لإغلاق المدارس.

ألقى إغلاق المدارس نتيجة جائحة كوفيد-١٩ الضوء على العديد من القضايا التي تؤثر على فرص الحصول على التعليم، فضلًا عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية الأوسع. اعتبارًا من ١٢ مارس، توقف أكثر من ٣٧٠ مليون طفل وشاب عن الذهاب إلى المدارس بسبب إغلاقها المؤقت أو غير محدد المدة على مستوى الدولة والذي فرضته الحكومات في محاولة لإبطاء انتشار كوفيد-١٩. اعتبارًا من ٢٠ مارس، طال تأثير الإغلاق أكثر من ٧٠٪ من المتعلمين في العالم.حتى عندما يكون إغلاق المدارس مؤقتًا، فهو ينطوي على تكاليف اجتماعية واقتصادية باهظة. تؤثر الاضطرابات التي يسببها الإغلاق في مختلف طبقات المجتمعات، ولكن تأثيرها الذي يتضمن توقف التعلم، وسوء التغذية، ومشكلات رعاية الأطفال، وما يترتب على ذلك من تكلفة اقتصادية للأسر التي لا تستطيع العمل، يكون أكثر حدة على الأطفال المحرومين وأسرهم.

يعتمد العديد من الأطفال والشباب على وجبات مجانية أو مخفضة تقدم في المدارس من أجل الغذاء وضمان التغذية الصحية. عندما تُغلق المدارس، يشكل هذا خطرًا على تغذيتهم. إن عدم الوصول إلى التكنولوجيا أو الاتصال الجيد بالإنترنت عقبة أمام استمرار التعلم، خاصة للطلاب من العائلات المحرومة. من المرجح أن يفوّت أولياء الأمور من العاملين العملَ عندما تُغلق المدارس من أجل رعاية أطفالهم، ما سيؤدي إلى فقدان الأجور في كثير من الحالات والتأثير سلبًا في الإنتاجية. يضع إغلاق المدارس محدود النطاق أعباءً على المدارس إذ يقوم أولياء الأمور والمسؤولون بإعادة توجيه الأطفال إلى المدارس المفتوحة. يفتقر العديد من الأطفال والشباب إلى الاتصال الاجتماعي الضروري للتعلم والتطور.

استجابة لإغلاق المدارس بسبب انتشار فيروس كوفيد-١٩، توصي اليونسكو باستخدام برامج التعلم عن بعد والتطبيقات والمنصات التعليمية المفتوحة التي يمكن للمدارس والمعلمين استخدامها للوصول إلى المتعلمين والحد من توقف عملية التعليم. راجع أيضًا: الأثر الاقتصادي والاجتماعي لجائحة فيروس كورونا ٢٠١٩–٢٠ يمكن أن يمنع تعذُّر الوصول إلى التكنولوجيا أو الوصول السريع والموثوق إلى الإنترنت الطلابَ في المناطق الريفية ومن العائلات المحرومة من الحصول على التعلم الكافي خارج المدرسة. للمساعدة في إبطاء تفشي كوفيد-١٩، أُغلقت مئات المكتبات بصورة مؤقتة. في الولايات المتحدة، أعلنت العديد من المدن الكبرى إغلاق المكتبات العامة، بما في ذلك لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وسياتل، ومدينة نيويورك، ما أثر على ٢٢١ مكتبة. يعتمد العديد من الأطفال حول العالم على وجبات مجانية أو مخفَّضة الثمن في المدارس.في ألاباما، حيث أثر إغلاق المدارس على مستوى الولاية اعتبارًا من ١٨ مارس في أكثر من ٧٢٠,٠٠٠ طالب، أعلن مراقب الولاية أن العاملين بالمدارس الأكثر تضررًا من الفقر سيعملون على إنشاء شبكات توزيع لتوفير الطعام للطلاب الذين يعتمدون على وجبات الغداء المدرسية.في ولاية واشنطن، هناك نحو ٤٥٪ من طلاب الولاية البالغ عددهم ١,١ مليون طالب في المدارس العامة التقليدية والمدارس الأهلية مؤهلين للحصول على وجبات مدرسية مدعَّمة. لذا قد يعاني ما لا يقل عن ٥٢٠,٠٠٠ طالب وعائلاتهم انعدامَ الأمن الغذائي نتيجة لإغلاق المدارس.

لم تتناول القوانين التشريعية الفيدرالية التأثيرات المحتملة لإغلاق المدارس والاعتماد على التعلم عن بعد في مثل هذا الوقت. هو نظام مهيكل بتسلسل هرمي ومدرج ترتيبًا زمنيًا، ويمتد من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة متضمنًا، بالإضافة إلى الدراسات الأكاديمية العامة، مجموعة متنوعة من البرامج والمؤسسات المتخصصة للتدريب الفني والمهني بدوام كلي.

تم حساب أغلب البيانات التي تم جمعها عن عدد الطلاب والمتعلمين المتأثرين بفيروس كورونا COVID-١٩ بناءً على إغلاق أنظمة التعليم النظامية. يقدم معهد اليونسكو للإحصاء أرقامًا عن الطلاب المتأثرين بفيروس كورونا COVID-١٩ نظير عدد المتعلمين المسجلين في مستويات التعليم ما قبل الابتدائي والتعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي [مستويات ISCED "التصنيف الدولي الموحد للتعليم" ٠ إلى ٣] ، وكذلك في مستويات التعليم العالي [مستوياتISCED /ت.د.م.ت ٥ إلى ٨ .

يتكون التعليم الابتدائي أو الأساسي عمومًا من الأربع إلى السبع سنوات الأولى من التعليم النظامي. المرحلة الثانوية قامت منظمة البكالوريا الدولية (IBO/م.ب.د) بإلغاء الامتحانات الخاصة ببرنامج الدبلوم وامتحانات المرشحين للبرنامج المتعلق بالوظائف المهنية، والمقرر عده في الفترة ما بين ٣٠ أبريل و٢٢ مايو ٢٠٢٠، ويقال إنها أثرت على أكثر من ٢٠٠٠٠٠ طالب حول العالم.

إن التعليم الجامعي هو تعليم يتم إجراؤه بعد التعليم الثانوي وقبل مرحلة الدراسات العليا، وعادةً ما يحصل المتعلم على درجة البكالوريوس.يُشار إلى الطلاب الملتحقين ببرامج التعليم العالي في الكليات والجامعات وكليات المجتمع باسم "طلاب الكليات" في دول مثل الولايات المتحدة .ولإغلاق الكليات والجامعات آثار واسعة النطاق على الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين والمؤسسات ذاتها. وقد دُعيت الكليات والجامعات في جميع أنحاء الولايات المتحدة لإصدار المبالغ المستردة للطلاب مقابل تكاليف الدراسة والسكن .بينما يتم توفير ٦ مليارات دولار من الإغاثة الطارئة للطلاب خلال الجائحة ، فقد قررت وزيرة التعليم بيتسي ديفوس في ٢١ أبريل ٢٠٢٠ أنه سيتم توفير ذلك فقط للطلاب المؤهلين بالفعل للحصول على مساعدة مالية فيدرالية. ويُستثنى من هذه المادة عشرات الآلاف من الطلاب غير المسجلين الذين يشاركون في برنامج الجكومة "الأعمال المؤجلة للطفولة الوافدة" (القرار المؤجل للواصلين أطفالا/أ.م.ط.و) أو "الحالمون" من تلقي أموال الإغاثة الطارئة.

الخاتمة

تشيرُ غالبية الأبحاث المنشورة وبطريقة غير مباشرة الى أن هذا الفيروس على الأغلب سوف يبقى لفترة أكثر من المُتوقع في العالم (٢١) ، ويجب التعايُش معه حتى ظهور مطعوم أو علاج دوائي له، كما وتؤكد تلك الدراسات ضرورة أن لا يشُلّ هذا الفيروس حياتنا اليومية ووجوب الاعتماد على إرشادات مُنظمة الصحة العالمية بخصوص الارشادات الوقائية المُجتمعية والشخصية حيث أننا نعيش على جِسر سينقلنا من الحاضر الى المُستقبل الذي سوف يكونُ مُختلفاً في كافة جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها بشكلٍ مُغايرٍ لما اعتدنا عليه في السابق.[٧]

فإن هنالك إشكاليات كبيرة تنتظرنا خلال الأشهر القادمة في التعليم العالي يتوجب

7 William Horton, Evaluating E-Learning, ISBN-10: 1562863002, ASTD Press, Alexandria, USA , September 2018. Page. 11

الاسراع بتقديم الحلول لها من حيث تقييم الفصل الدراسي الثاني للعام الحالي، وامتحان الثانوية العامة، وقبول الطلبة، ومنصات التعليم الإلكتروني الاحترافية، وجيش أخصايي الحاسوب، ومُعالجة إشكاليات الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية والإداريين. يجب إعادة النظر في الوسائل التعليمية والخطط الدراسية بما ينسجمُ مع المُتطلبات الحديثة مع ضرورة الخروج من الإطار التقليدي للتعليم والتراكمات والتكلّسات التي عفا عليها الزمن حيث أن التكنولوجيا أصبحت أداةً أساسية وحتمية في العملية التعليمية.

المصادر والمراجع

- Dr Amal Kumar Sarkar, Distance Education in India: Development, Prospects and Challenges ISBN : 9789385503733, GaliWazir Street, ChunaMandi, PaharGanj, New Delhi – 110055, 2017.
- William Horton, Evaluating E-Learning, ISBN-10: 1562863002, ASTD Press, Alexandria, USA , September 2018.
- The Hindu's e-book on COVID-19, The Pandemic note book –April 2020
- V.C. Kulandai Swamy, Higher Education in India, ISBN-10: 8173717281,Orient Blackswan PVT Ltd., Hyderabad, Telangana, India , 2018
- Al-Fanar Media about Education, Research, and Culture, London 11\05\2020.
- Joschka Fischer, The Politics of the Pandemic, 1/5/2020, https://www.project-syndicate.org/
- S. Rutherford, "The Pandemic and its Impacts'', Health, Culture and Society Journal, Vol. 9–10
- Joseph E. Stiglitz and Others, ''How the Economy Will Look After the Corona Virus Pandemic'', 1/5/2020, https://foreignpolicy.com
- Isaac Chotiner, How Pandemics Change History, 1/5/2020, https://www.newyorker.com/
- John Allen, How the World Will Look After the Corona Virus Pandemic, 1/5/2020, https://foreignpolicy.com/
- World Health Organization Report: https://extranet.who.int/publicemergency
- Al-Watan Newspaper, Doha, Qatar.17/04/2020.
- Almasry Newspaper, Cairo, Egypt, 09/04/2020.
- https://www.egyres.com .عمر بكر محمد. جائحات وأوبئة غيرت مجرى التاريخ البشري. /5/2020
- مجلة البعث الإسلامي- مؤسسة الصحافة والنشر لكهنو.أتر پرديش. الهند, يونيو 2020م.

أدب الأوبئة وما بعد كورونا في المنجز العربي

محمد توحيد عالم
باحث في قسم اللغة العربية بجامعة غور بنغا، بنغال الغربية، الهند

تمهيد

عرف التاريخ البشري منذ القديم ظهور العديد من الأوبئة والجوائح التي ضربت الكثير من البلدان والحضارات والمجتمعات. واعتبرها الإنسان بحسب وعيه وفهمه لهذه الظاهرة من الآفات والكوارث وبلايا يبتلى بها ولا مقدور لهم في مواجهته والاحتماء من عواقبه. ومن أشهر هذه الأوبئة قديما وباء الطاعون الذي ذكره الكثير من المؤرخين وصوروا بإسهاب ما قاسته الشعوب والبلدان من ويلات ومآس فظيعة. وحديثا الإنفلونزا الإسبانية والكوليرا اللتان ذهبتا بأرواح الملايين من البشر، ومؤخرا فيروس كورونا الذي يبدو أنه خلق حالة من الفزع والهلع لدى البشر. وكان موضوع الوباء قبل تفشي جائحة كورونا تقليدا أدبيا، وتناول كثير من الأدباء قصصا إنسانية تتعاقب بين الحب والفراق، ومشاعر فقد الحبيب بالوباء، والمحاصرين في الحجر الصحي أو الخائفين من العدوى أو الهاربين من الموت. فلم يهتم المؤرخون والعلماء وحدهم بالأوبئة بل كان للأدب نصيب وافر في اتخاذها موضوعا للكتابة ولأن الأدب مرآة العصر فلم يكن من المستغرب أبدا أن يكون راصدا شاهدا على العديد من القصص الإنسانية التي تصاحب هذه الأوبئة والمفعمة بمشاعر منتاقضة بين الألفة والفراق والذعر من الفقد والخشية من دنو

الموت والذهول مع تلال الجثث المتعفنة والترقب لبصيص من الأمل والرجاء لعفو الله.

وهذا النوع من الأدب يسمى بأدب الأوبئة وهو أحد أنواع الأدب التي لا تقل أهمية عن غيرها، فهي أولا تحاكي أمراض عاصرها الإنسان وأثرت في حياته. وهذا النوع من الأدب وسيلة جيدة لشرح مشاعر الإنسان في الأوقات ومدى هشاشته وكيف يمكن أن نحيا كأفراد ومجموعات في تلك الفترات، فالوباء الذي يعيشه العالَم حاليا قد يكون فرصة لتطوير الأدب وارتياده إلى آفاق جديدة.

الملخص

سلطت هذه الدراسة الضوء على «أدب الأوبئة وما بعد كورونا في المنجز العربي»، وبدأت هذه الدراسة بالتعريف من بعض الأوبئة، وعلاقتها بالأدب العربي، وبينت أثرها على المجتمع العربي والعالمي، ثم تناولت هذه الدراسة بعض أهم الأعمال الشعرية والنثرية، ولاسيما الروائية التي كانت في الأوبئة والجوائح والفيروسات التي ضربت الكثير من البلدان والحضارات والمجتمعات. وتناولت أيضا ناحية من حياة صاحب القصيدة أو الرواية لكي يتضح أنه كيف واجه ذلك الوباء؟ وما هي المشاكل التي عاناها. ثم انتقلت الدراسة إلى جانب التحليلي وقد أخذت النصوص ذاتها لتدعيم الدراسة وتعزيزها، والتي تناولت مظاهر الوباء في مؤلفاتهم، وكيف تأثروا بتلك المشاهد المنوعة. وذيلت الدراسة بخاتمة.

Abstract

This study sheds light upon “Pandemic and Post-Corona literature in the Arabic achievement”, and this study began with the definition of some pandemics, and their relationship to Arab literature, and showed their impact on the Arab and global community, then this study picked up some of the most important poetic and prose works, especially, novels which are in pandemics and viruses that have struck many countries, civilizations and societies, as dealt with an aspect of the life of the poet or novelist, in order to make it clear that how he faced this pandemic? What are the problems that he suffered? Then the study moved to the analytical side and took the same texts to support and strengthen the study which discuss the aspects of the pandemic in their books? And how they were affected by these various scenes? The study is followed by a conclusion.

المقدمة

قد خاض الأدباء والشعراء غمار جميع الأغراض وفي كل الموضوعات وكان من الموضوعات التي نالت حظا وافرا أدب الأوبئة حيث ترك كثير من الأدباء بصمتهم الراسخة في هذا الميدان.

أهمية البحث ودوافع الاختيار: ولا شك أن أدب الأوبئة له من الأهمية ما يجعلها سببا لاختيار الباحثين، وتمكن أهمية هذا البحث في سعيه إلى إلقاء الضوء على الدور الذي يؤديه الأدب العربي، ويعود اهتمامي بموضوع «أدب الأوبئة وما بعد كورونا في المنجز العربي» إلى كتب الأدب العربي حيث صادفني حين مطالعة مجموعة من المؤلفات والدواوين كنت أتعجب تشكيلاتها الزمنية ورؤاها المستقبلية المختلفة، فأتحسس من خلالها حكمة بعض مؤلفيهم وسعة فضاءات تجاربهم، فوجد الباحث أنه من الضروري القيام بهذه الدراسة لتغطية هذا الجانب المهم من أدبنا العربي فكان اختيار أدب الأوبئة وما بعد كورونا في المنجز الأدب العربي اختيارا مقصودا. منهج البحث: يستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي متبعا في ذلك، آخذا بالتخصص سيتناول هذا البحث موضوعه في أطر سردية متناولا بالدرس المنهجي بعض روايات ودواوين ستكون منطلقا أساسيا في تحديد سياق العمل ومتحكما قاعديا في الوصول إلى النتيجة. صعوبات البحث: واجهت رحلة هذا البحث صعوبات مختلفة، منها: اتساع موضوع الدراسة، وتشعب الدراسة التي ضربت بجذورها في عمق النصوص الأدبية، وافتقار الباحث إلى كثير من المصادر والمراجع التي يحتاج إليها البحث، والعزلة والحجر الصحي بسسب فيروس كورونا. الدراسات السابقة: لعل الدراسات التي تناولت أدب الأوبئة كانت محدودة، فقد وجدت بعض الدراسات السابقة والتي تناولت جوانب محدودة من الأوبئة مثل: كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني وكتاب الأوبئة والتاريخ لشلدون واتس: ترجمة أحمد محمود عبد الجواد وديوان ابن الودري وكتاب الأيام لطه حسين وديوان نازك الملائكة، وغيرها. أهداف البحث: إبراز من جوانب الجدة في أهم أعمال الأدبية العربية في الأوبئة، ومحاولة معرفة خصائص منهج الأدباء في هذا المجال، والاستفادة من تجربة الأدباء في أدب الأوبئة. خطة البحث: وفيما يخص خطة البحث، فقد انقسمت إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة أما المقدمة ففيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهج البحث، وصعوبات البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث، والخاتمة. أما الفصل الأول ففيه تعريفات بعض الأوبئة التي

ضربت العالم مثل الطاعون والكوليرا والإنفلونزا وغيرها. ويتناول الفصل الثاني أدب الأوبئة في الشعر العربي منذ القديم إلى الحديث، ومساهمة شعرائنا في هذا المجال، وعلاقتهم به. ويتناول الفصل الثالث أدب الأوبئة في النثر العربي، ومساهمة بعض أدبائنا في هذا الميدان. ثم كانت الخاتمة وفيها نتائج البحث، ثم التوصيات.

التعريفات

الطاعون: مرض ورميّ وبائيّ سببه مكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان (المعجم الوسيط). الطاعون: مرض خبيث ذو حمى شديدة الحرارة ينتقل إلى الإنسان من الفئران (معجم الرائد). والطاعون أصلا مرض يصيب الحيوانات القارضة كالجُرْذَان وتنتقل عدواه بوساطة لدغ البراغيث التي تعيش متطفلة على هذه الحيوانات. وعندما تلدغ البراغيث فأرا مصابا بالطاعون تمتص قليلا من دمه المحمل بميكروبات المرض وتصبح قادرة على نقل العدوى إلى فأر سليم أو إلى الإنسان إذا لدغته. والطاعون الذي يصيب الإنسان يظهر في ثلاث صور: دملي، وتسممى، ورثوى. ويبدأ في الأنواع الثلاثة بارتفاع في درجة الحرارة مع صداع وإعياء شديدين، ثم تظهر أعراض تسممية كاحتقان الوجه والعينين وجفاف اللسان ويبدو المريض قلقا مذعورا وينتابه اهتلاس تعقبه غيبوبة قد تنتهي بالوفاة.[١]

كوليرا أو كوليرا آسيوية: مرض حاد لا تتعدى مدة حضانته خمسة أيام، وتظهر أعراضه فجأة في شكل قئ وإسهال شديدين ومستمرين لا سيطرة للمريض عليهما، ويصحبهما تقلصات عضلية مؤلمة. وتستمر هذه الأعراض من ساعتين إلى اثنتي عشرة ساعة، يكون المريض في أثنائها وبعدها تعبا منهوكا، ولكثرة ما يلفظه المريض من السوائل تظهر عليه حالة جفاف، فتبرد الأطراف، وتبرز عظام الوجنتين وتغور العينان، ويقف إفراز البول حتى يحل به هبوط عام ينتهي عادة بالوفاة.[٢]

إنفلونزا: مرض معد جرثومته من نوع الفيروس. يتميز بسرعة انتشاره وبانتقال عدواه من قارة إلى أخرى بشكل وبائي في مدة قصيرة. تبدأ أعراضه بارتفاع فجائي في درجة الحرارة، مع قشعريرة أو برودة، وألم في أسفل الظهر، ونشر في العظام، وآلام خلف مقلتي العينين. وتستمر هذه الأعراض بضعة أيام قد يشكو المريض خلالها سعالا مع جفاف مؤلم بالزور. ويبدو المريض متبعا منهوكا حتى بعد هبوط الحرارة مما يجعله غير

١ الموسوعة العربية الميسرة،الناشر: المكتبة العصرية صيدا، بيروت. ج-٤، ص-٣.

٢ الموسوعة العربية الميسرة، الناشر: المكتبة العصرية صيدا بيروت، ج-٥، ص-٤٧٣.

قادر على العودة إلى عمله مباشرة.[٣]

فيروس كورونا: فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عددا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخرا مرض كوفيد-١٩.

مرض كوفيد-١٩ هو مرض معد يسببه آخر فيروس ثم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر ٢٠١٩. وقد تحول كوفيد-١٩ الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم٤. يصيب فيروس كورونا الرئتين، وتظهر أعراض رئيسية هي: الحمى والسعال الجفاف المستمر، وبعد أسبوع يؤدي إلى ضيق التنفس والذي يوصف غالبا بضيق الصدر أو صعوبة في التنفس أو شعور بالاختناق.

الشعر العربي

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقي والشعر. ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، فالحفر يصورها بارزة، والرسم يصورها مسطحة بالأشكال والخطوط والألوان، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا إليها والألفاظ.. فهو لغة النفس أو هو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة.٥ ومن هذا المنطلق أصبح النص الأدبي حمال أوجه وتفاسير. فالشعر منذ بداياته الأولى كان وسيلة للتعبير عن خفايا القلوب الإنسانية عن طريق اندماج الكلمات والأوزان لتجعل لنا صورة ومعنى ضمن إطار وحدود النص سواء كانت القصيدة كلاسيكية أو رومانسية أو رمزية فهي تستخدم التعابير للوصول إلى المعنى الحقيقي الذي قصده الشاعر. على مدار قرون ظل الشعر ديوانا للعرب، ومستودعا لتاريخهم وأفكارهم ومعارف بيئتهم ومؤرخا لما ألم بهم من حوادث ونوازل وحروب وأوبئة وطواعين وجوائح. هنا سؤال.. هل سجل العرب منذ الجاهلية إلى العصر الحديث في أشعارهم ما ألم بهم

٣ الموسوعة العربية الميسرة،الناشر: المكتبة العصرية صيدا، بيروت. ج-١، ص-٤٨٦.

4 https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

٥ تاريخ آداب اللغة العربية-جرجي زيدان، دار هلال، مصر. ص-٥٠.

من أوبئة وجوائح؟ نعم، نجد القصائد الكثيرة التي قيلت في الأوبئة والطواعين، هنا بعض قصائد.

أبو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وحسن إسلامه وجاهد في سبيل الله. عاش أبو ذؤيب الهذلي ثلاثة عصور: الجاهلي والإسلامي والأموي، وقد توفي في العصر الأخير. عده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة الثالثة مع لبيد بن ربيعة العامري في كتابه طبقات الشعراء وقال عنه: «كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وقال أبو عمر بن العلاء: سئل حسان من أشعر الناس قال حيًّا أو رجلا قال حيًّا قال أشعر الناس حيًّا هُذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب».٦ كان فارسا شجاعا جاهد مع المسلمين وسافر إلى أفريقيا مجاهدا في جيش عبد الله بن أبي سرح ولما وصلوا إلى مصر وكان الطاعون منتشرا فيها فتك بأولاده الخمسة في عنفوان الشباب فأماتهم. رجع الوالد حزيناً متحسرّاً في حزن، فاشتد حزنه على أولاده فأثر ذلك في نفسيته وقوته، ثم استسلم للشّعر يبثه أشجانه فرثاهم كثيرا ومما قال فيهم: (قصيدة عينية)

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمتعبٍ من يجزع

هذا البيت كافٍ لأن نشعر بشدة الألم والحزن الذي تسلط على نفسية الشاعر لأن الحالة النفسية التي مرّ بها الشاعر جعل عواطفه وأحاسيسه المحرك الفاعل في إعداد هذه القصية، فالقصيدة زاخرة بالشعور الفياض تجمع بين الندب والعزاء من نفس جعلته لا يقلع عن البكاء، فحياته أصبحت كلها حسرة ولوعة لفراقهم.

من أبيات القصيدة

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمتعبٍ من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم لجبينك لا يلائم مضجعا إلا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمي أنه أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني فأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبــرة لا تقــلع
فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع
وتجلدي للشامتين أريهم إني لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قــليــل تقــنع [٧]

٦ طبقات الشعراء-محمد بن سلام الجمحي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ص-٥٥ و ٥٦.

٧ الموجز في الشعر العربي، فالح الحجية، ص-١٤٩.

لا ريب أن أبيات القصيدة متنوعة الأغراض ولكن الغرض الأساسي من خلاله ظهرت مشاعر الشاعر وعواطفه وهاجت أحاسيسه مما أدى إلى براعته وعلوه.

ابن الودري: هو عمر بن مظفر بن عمر، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعرّي الكندي، شاعر وأديب ومؤرخ. ولد في معرة النعمان بسوريا عام ١٢٩٢م، وولي القضاء فترة بمنبج، وتوفى بالطاعون في حلب عام ١٣٤٩م.[٨]

برع في صياغة العلوم والفنون شعرا مع أنه لم يكن من أشهر المؤلفين في تاريخ الأدب العربي فإنه كان مؤرخا وفقيها ولغويا وأديبا وعالما في أصناف النباتات والحيوان، وله في كل ذلك مصنفات أثنى عليها معاصروه.

شاهد مظاهر الإصابة بالطاعون الذي انتشر في العالم واستمر خمس عشرة سنة وحصد الكثير من الأرواح في العالم كله. كتب في ذلك رسالة في طراز كتابة المقامة سماها «رسالة النبأ عن الوباء» أوضح فيها حجم الإصابة المرعب بوباء الطاعون، ونقل فيها بعض الصور العنيفة لهذا الوباء وما مرت به المنطقة، واستمرار طول هذه المدة، إلا أنه تحدى الطاعون علنا، وأتى ببيتين مبيّنا فيها عدم خوفه من الطاعون قبل يومين من وفاته مصابا به وقال:

ولستُ أخاف طاعونا كغيري فما هو غيرُ إحدى الحسنيين

فإن متُّ استرحتُ من الأعادي وإن عشتُ اشتفتْ أذني وعيني[٩]

شاهد كل مشاهد هذا الوباء وأعلن متحديا عدم خوفه من الطاعون وتوفى به، وكان قد ترك رسالة بهذا الوباء التي تنتمي إلى أدب المقامات حيث أكد ابن الوردي في رسالته أن الطاعون ضربها ١٥ سنة متواصلة يمكن لها أن تفني الشعوب وقال: « يا له من زائر، من خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين.....، وكثرت الأشعار له في هذه الرسالة ابتدأ من:

إسكندرية ذا الوباء سَبُعٌ يمد إليك ضبـعَهْ

صبرا لقسمته التي تركتْ من السبعين سبعهْ

وقال حينما وصل الوباء إلى حلب: «ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب، فهو ولله الحمد أخف وطأة، ولم أقل كزرع أخرج شطأة».

٨ الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ج-٥، ص-٦٧.

٩ ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الآفاق العربية القاهرة، ص-٢٨١.

إن الوباء قد غلبا وقد بدا في حلبا

قالوا له على الورى كافٌ ورا قلت وبا

انشتر الوباء وأرسل طوفانه، لا مانع له ولا عاصمه، قد يستعيذ ابن الوردي من شر الطاعون كما يقول: أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب، باروده المستعلي، قد طار في الأقطار فتاش دهاشاته.....، ومن آخر الأبيات في رسالة النبأ عن الوباء يقول:

ألا إن هذا الوبا قد سبا وقد كان يرسل طوفانه

فلا عاصمَ اليوم من أمره سوى رحمة الله سبحانه

ومما قال في خاتمة رسالته في الطاعون: "وما منعنا الفرار منه إلا التسمك بالحديث، فهلم بنا نستغيث إلى الله تعالى في رفعه فهو خير مغيث، اللهم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الدعوان، أن ترفع عنا الوباء والطاعون..."[١٠]

نازك الملائكة: هي ولدت في بغداد عام ١٩٢٣م في بيئة ثقافية وتخرجت من دار المعلمين العالية عام ١٩٤٤م. ودخلت معهد الفنون الجميلة وتخرجت من قسم الموسيقي عام ١٩٤٩م، وفي عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكنسن في أمريكا، وعينت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت. وعاشت في القاهرة منذ ١٩٩٠م في عزلة اختيارية وتوفيت بها عام ٢٠٠٧,١١

كانت نازك الملائكة شاعرة وناقدة وأديبة عراقية، تعتبر من أبرز الأديبات العربيات اللواتي تركن بصمة واضحة في مجال الأدب العربي. امتازت بامتلاك روح التحدي والتمرد على القوانين الأدبية التي تمثلت بتحطيمها لعمود الشعر وكتابتها للقصائد على النمط الحر. يعتقد الكثيرون أن نازك الملائكة هي أول من كتبت الشعر الحر في عام ١٩٤٧م، بغض النظر عمن هو الأول الذي كتب الشعر الحر إلا أنها كانت لها مبادرة واضحة في هذا الإطار بعد أن كتبت قصيدتها الشهيرة «الكوليرا» عام ١٩٤٧م وتعتبر هذه القصيدة من القصائد الطليعية التي نسجت على منوال الشعر الحر في الأدب العربي مسجلة مع بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وآخرين النسق الأول لبناء الشعرية الجديدة في العالم العربي.

---

١٠ ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الآفاق العربية القاهرة، ص:٨٧-٩١.

١١ الموجز في الشعر العربي، فالح الحجية، ص-٧٣٢.

من قصيدة الكوليرا

سكن الليل
أصغ إلى وقع صدى الأناث
في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات
صرخات تعلو، تضطرب
حزن يتدفق، يلتهب
يتعثر فيه صدى الآهات
في كل فؤاد غليان
في الكوخ الساكن أحزان
في كل مكان روح تصرخ في الظلمات
في كل مكان يبكي صوت
هذا ما قد سرقه الموت
الموت الموت الموت
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت [١٢]

هناك تاريخ طويل لوباء الكوليرا في العالم، وشهد العالم سبع مراحل من انتشار وباء الكوليرا على مدى نحو مائتي عام والذي تسبب في وفاة نحو آلاف شخص، وكان السبب الرئيسي لإنتشاره هو اختلاط مياه الشرب بفضلات البشر. يتعقد أن وباء الكوليرا قد انتشر من شبه القارة الهندية إلى أوروبا عبر الجنود البريطانيين المقيمين في الهند، ورغم اكتشاف لقاح له في عام ١٨٨٥م استمر بعدها في الظهور.١٣

انتشر وباء الكوليرا في مصر عام ١٩٤٧م الذي قتل البشر وأهلك الحرث والنسل وأحدث الخراب وسبب الآلام للعديد من الأشخاص، وهذا الوباء الذي يفتك بالبشرية لا يفرق فيها بين طفل وشيخ وبين إمرأة ورجل. سمعت نازك الملائكة عن ذلك الوباء عبر المذياع الذي كان الوسيلة الوحيد لتقصي الأنباء في ذاك الوقت، فكتبت قصيدتها الشهيرة «الكوليرا» في وزن البحر المتدارك، صوّرت فيها مشاعرها وأحاسيسها نحو المصريين حين داهمهم وباء الكوليرا، كتبتها أولا بالشكل التقليدي ثم طورتها إلى الشكل الحديث أي الحر. وقصيدة الكوليرا التي تصف لنا حجم المأساة والمعاناة من خلال رؤيتها

١٢ ديوان نازك الملائكة، الناشر: دار العودة بيروت، ج-٢، ص-١٣٨.

13 https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%B1%D8%A7

لهذا العالم الذي أصيب بكارثة تنطلق مع الليل والموت والأشلاء والسكن والظلمات، حاولت نازك الملائكة التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا المرض في الريف المصري.

الرواية العربية

الرواية فن أدبي نثري مكتوب بأسلوب سردي طويل يصف الأ حداث على شكل قصة متسلسلة، والرواية جزء من الثقافة البشرية لألف عام مضت ولا تزال تحتفظ بهذه المكانة إلى وقتنا الحاضر. إن الرواية أكبر أنواع القصص من حيث الحجم، وتعدد الشخصيات، إضافة إلى تنوع الأحداث، وقد احتلت الرواية موقعها في أوروبا على أنها أحد الأشكال القصصية ذات التأثير الملحوظ في القرن الثاني عشر، والرواية تعتمد على أسلوب السرد بشكل أساسي، وذلك لما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من حبكات وأزمات جدلية تغذي وتدعم الأحداث.

كان هناك العديد من الروايات التي تنبأت بأوبئة وكوارث وجوائح دمرت العالم، وذلك حرصا من الأدباء والمفكرين على تخليد الأحداث التي أهلكت ملايين من البشر من قبل. فالكثير من هذه الأعمال كان كتبا إرشادية توضح لنا كيفية التعامل مع وضعنا الراهن غير أن تلك الروايات تظهر لنا في الوقت نفسه أننا واجهنا من قبل الوضع الكارثي الحالي ونجونا منه كذلك. فالكثير ينظر بأن الغرض الأساسي من توظيف الوباء هو تعرية الواقع الراهن أو لنقد أوضاع سياسية أو اجتماعية أو صحية أو فكرية، إلا أن القارئ الواعي والمهتم بالروايات ينظر بأن الرواية التي تحمل بين ثناياها وباء، فهي بحد ذاتها تستحضر التاريخ فيتضاعف عند الكاتب النص السردي المتخيل بسبب تلك الوقائع التاريخية. فوجود الكثير من الروايات في الوباء ههنا بضعة كتب تتناولت الأوبئة والفيروسات.

طه حسين هو كاتب وأديب وناقد ومفكر مصري، من أبرز أعلام الحركة العربية الأدبية في القرن العشين، لقب بعميد الأدب العربي. ولد سنة ١٨٨٩م لأب مصري من قرية الكيلو من مدينة مغاغة، فقد بصره في الثالثة من عمره ولكنه عُوِّض عن بصره ذكاء حادّا وذاكرة قوية. التحق بكتّاب القرية وحفظ القرآن الكريم فيه، وقرأ بعض الكتب والأشعار القديمة، ثم ذهب إلى الأزهر مع أخيه الأكبر ودرس هناك، ثم التحق بالجامعة الأهلية حين افتتحت عام ١٩٠٨م، وحصل فيها على الدكتوراه الأولى عام ١٩١٤م ثم بعث إلى فرنسا ليكتمل الدراسة وحصل على الدكتوراه الثانية عام ١٩١٨م،

عاد إلى مصر ليعمل أستاذا للتاريخ ثم أستاذا للغة العربية، عمل عميدا لكلية الآداب ثم مديرا لجامعة الإسكندرية، ثم عين وزيرا للمعارف، توفى بالقاهرة عام ١٩٧٣م.

وكان له العديد من المؤلفات والروايات، ومن أشهر كتاباته الإبداعية كتاب «الأيام» الذي تناول فيه سيرته الذاتية، يتحدث فيه عن مشوار حياته، وعن ذكرياته منذ طفولته مع التدرج المرحلي لحياته برقة وصراحة منقطعة النظير، فحقّق ما لم يستطع العديد من المبصرين تحقيقة، ويعد كتاب الأيام مرآة تعكس أحوال المجتمع المصري في القرن العشرين.[١٤]

سرد لنا الدكتور طه حسين في روايته «الأيام» عددا من المظاهر التي نعيشها في هذه الأيام، ظهرت في عباراته كثيرة، كأن كلماته كانت بمثابة دروب لواقعنا، فمنها نقتبس نصا يدل على حالتنا الحاضرة في زمن كورونا يقول: «وللناس مذاهبهم المختلفة في التخلف من الهموم والتخلص من الأحزان، فمنهم من يتسلى عنها بالقراءة ومنهم من يتسلى عنها بالرياضة، ومنهم من يتسلى عنها بالاستماع للموسيقي والغناء، ومنهم من يذهب غير هذه المذاهب كلها لينسى نفسه ويفر من حياته الحاضرة وما تثقله به من الأعباء».١٥

مزج طه حسين الأدب والإبداع بالواقع في كتابه الأيام، ولم يفته أن يشير فيه إلى وقائع وباء الكوليرا في مصر انطلاقا مما سجلته ذاكرة طفولته عن فقدان أسرته لأحد إخوته الذي ذهب ضحية هذا الوباء المروع. وتحدث في الجزء الأل منه عن انتشار مرض الكوليرا وكيف كانت حالة الهلع والرعب في المجتمع المصري.

«كان هذا اليوم يوم ٢١ أغسطس من سنة ١٩٠٢. وكان الصيف منكرا في هذه السنة. وكان وباء الكوليرا قد هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكا ذريعا: دمر مدنا وقرى، ومحا أسرا كاملة، وكان سيدنا قد أكثر من الحجب وكتابة المخلفات، وكانت المدارس والكتاتيب قد أغلقت، وكان الأطباء ورسل مصلحة الصحة قد انبثوا في الأرض ومعهم أدواتهم وخيامهم يحجزون فيها المرضى، وكان الهلع قد ملأ النفوس واستأثر بالقلوب، وكانت الحياة قد هانت على الناس، وكانت كل أسرة تتحدث بما أصاب الأسر الأخرى وتنتظر حظها من المصيبة»١٦.

قد بيّن الدكتور طه حسين قبل نحو ١٢٠ عاما عددا من المظاهر التي نعيشها

١٤ الأدب العربي المعاصر في مصر- شوقي ضيف،الناشر: دار المعارف، ط: ١٠، ص-٢٧٧.

١٥ كتاب الأيام-طه حسين،الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر-١٩٩٢، ص-٧.

١٦ كتاب الأيام-طه حسين،الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر-١٩٩٢، ص-١٠٤.

الآن، مثل العزلة، وإغلاق المدارس والكتاتيب، انبثاث الأطباء في الأرض، وحجز المرضى، وتصوير الآلام لوفاة الأعزة، وحالة الرعب وغيرها كثيرة.

أحمد خالد توفيق (١٩٦٢-٢٠١٨) هو طبيب وأديب مصري، يعتبر أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب والأشهر في مجال الشباب والفانتازيا والخيال العلمي ويلقب بالعراب. ولد بمدينة طنطا، وتخرج في كلية الطب في جامعة طنطا عام ١٩٨٥م وحصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام ١٩٩٧م، والتحق كعضو هيئة التدريس واستشاري قسم أمراض الباطنة المتوطنة في طب طنطا. بدأ العمل في المؤسسة العربية الحديثة عام ١٩٩٢م ككاتب رعب لسلسلة «ما وارء الطبيعة» والتي حققت نجاحا باهرا بالرغم أن أدب الرعب لم يكن سائد في ذلك الوقت بالوطن العربي. وبعدها أصدر سلسلة فانتازيا عام ١٩٩٥، وسلسلة سفاري عام ١٩٩٦م. استمر نشاطه الأدبي مع مواظبته مهنة الطب، وتوفى في ٢٠١٨م إثر أزمة صحية مفاجئة.

كتب العراب أحمد خالد توفيق العديد من الروايات والمجموعات القصصية التي تدور أغلبها حول أدب الرعب الذي جعله مشهورا ومحبا بين جمهور الشباب خاصة، وكان طبيبا لذا ناقش الثير من تاريخ الأمراض في أعماله. كتب أحمد خالد توفيق سلاسل عديدة منها سلسلة سافاري وهي سلسلة روايات أدبية مصرية شكلت ثورة حتى ضمن مجال كتابته، تدور في أجواء طبية في الأرض الإفريقية في دولة الكاميرون، إذ أضاف الطب والسياسة إلى عوالمه القديمة لتكون النتيجة خلطة مغرية غريبة موفقة في معظم أعدادها، بدأ إصدارها في عام ١٩٩٦م وتجاوز عددها ٥٠ كتابا. استعاد قرّاء كثيرون الأعمال الأدبية التي تناولت الأوبئة في هذه الأيام، لأن اسم فيروس كورونا أصبح أكثر تداول في العالم كله، ونرى أن أعمال أحمد خالد توفيق أكثر ارتباطا بما يحدث الآن ولا تقل أهمية أدبية عن الأعمال الأخرى. حينما نلقي النظرة في سلسلته: الوباء، وعن الطيور نحكي، والموت الأصفر، سنكون أمام أعماله أشد الارتباط بما يحدث الآن.

الوباء من سلسلة سافاري: ويتحدث الكاتب في هذه الرواية عن وباء قاتل ينشر في الأحراش الإفريقية مخلفا وراءه دماء وموتا في كل حدب وصوب بعدما انتشر فيروس الإيبولا الذي قضى على قرى بأكملها. يناقش من خلال الرواية المشاكل المتعلقة بالوباء متسائلا عن طرق انتشاره الذي يفتك بالآلاف من البشر في القارة الإفريقية، وينسب ذلك الخطر إلى الإنسان مؤكدا أن تدخله هو مايزيد الأمور تعقيرا وسوءا. قال في مقدمته "سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة.. والسحرة المجانين.. وأكلة لحوم البشر.. والمرتزقة

الذين لا يمزحون.. وسارقي الأعضاء البشرية.. والعلماء المخابيل.. سنلقى كل هذا.. ونلقى محاولات طبيبنا الشاب كي يظل حيا.. وكي يستطيع في الوقت ذاته أن يظل طبيبا..“ (مقدمة الوباء سلسلة سافاري، ص-٤ و٥). ويقول: ”لكن أسوأ الحميات النزفية طرا كان ينتظر دوره ليظهر عام ١٩٧٦.. وذلك في زائير والسودان.. وكان يحمل اسم إيبولا الذي ينتمي لنفس أسرة الفيروسات الخيوطية التي قدمت لنا فيرو ماربوج من قبل.. (الوباء.. ص-٤٥).

وفي سلسلة سافاري بعنوان «عن الطيور نحكي» وهذه الرواية تتناول فيروس إنفلونزا الخنازير، وهي الوباء الفتاك الذي لم يستطع الأطباء السيطرة عليه، فطفق يأخذ روحا تلو الآخر. يتحدث فيها عن مرض يصيب صديق البطل التونسي، وتشير الأدلة لارتباط المرض بالدجاج لينتقل لنا ويقدم جرعة مكثفة عن فيروسات إنفلونزا الطيور الخنازير، ويحكي أن فيروسات الطيور تصيب الخنازير، وتكتسب قدرات أخطر حيث تختلط صفات فيروسي الدجاجة والخنزير ليصنعا فيروسا جديدا ينتقل من الخنزير إلى الإنسان. كان يشير إلى الفيروسات القاتلة في بلد غريب استطاع أن يجمع ما بين الخنزير والدجاجة في مساحة واحدة وبشكل لافت يقول: «الكابوس الذي يطارد علماء الفيروسات في العالم كله هو أن يعود وباء إنفلونزا عام ١٩١٨م الذي أطلقوا عليه اسم (الوباء الإسباني) إلى الظهور.. لقد فتك هذا الوباء بثلاثين مليونا من البشر، أي أكثر من ضحايا الحرب العالمية الأولى، وعمليا لم ينج إنسان على ظهر الكرة الأرضية من الإصابة به سواء كانت شديدة أو خفيفة، قاتلة أو غير قاتلة» (عن الطيور نحكي، ص-٥٣). وكتب بكثير من اليقين المتقدم عن الأحداث اللاحقة ويقول: «أين يجتمع الخنزير والدجاجة؟.. طبعا عند كل فلاح صيني.. كل فلاح صيني يخفي في حظيرته مختبرا خطيرا للتجارب البيولوجية، وفي هذه الحظيرة تنشأ أنواع فيروسات فريدة لم نسمع عنها من قبل.. ولهذا لا نسمع عن أوبئة الإنفلونزا المريعة إلا من جنوب شرق آسيا حتى صار للفظة (إنفلونزا آسيوية) رنين يذكرنا بلفظة (طاعون).. اليوم نحن نقابل الكثير من فيروسات الدجاج القاتلة.. (عن الطيور نحكي، ص-٦٠).

وفي رواية «الموت والأصفر» يتحدث فيها العراب عن أعراض الحمى النزفية التي تشبه أعراض الإنفلونزا، تبدأ كمعظم الحميات النزفية بصداع وارتفاع في درجة الحرارة وألم ظهر ولكن في اليوم الخامس تبدأ أعراض إصابة الفيروس للكبد حيث يحول خلايا الكبد إلى عجين بلا ملامح، إنه لون الصفراء الذي يغزو كل شيئ ومنه اشتق اسم الرواية الحمى

الصفراء، ثم يتحول المريض إلى نزيف دام من فتحات جسده المختلفة والتي ستأخذه في نهاية المطاف إلى الموت. ودائما ماكان حضور الأوبئة مرهونا بالبشر في رواياته إذ كان مرجعها إلى فاعل بشري مشيرا إلى أن تلك الأوبئة والفيروسات لو تركت فستنمو بشكل أكثر بطأ، أما تدخل البشري فهو ما يجعل الأمر أكثر سوء. فالإنسان أول مجرم في نظره.

الخاتمة

إن الأدب هو انعكاس للصورة الواقعية لحياة الأمم والشعوب بطريقة أدبية تجتذب القلوب وتأنس لها العقول، والكثير من الأدباء كتبوا عن الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عصورهم، ورصدوا حالة المجتمع في مواجهتها وتأثيراتها على الدول والشعوب. وشكلت الأوبئة مصدر إلهام لأعمال تناولت ما يعقب من خراب وانهيار وما نشهد من مدن خاوية على عروشها وأماكن طبيعية يعمها الدمار. فتوصل البحث إلى جملة من النتائج التي يلخصها الباحث على النحو التالي: وجود الأوبئة في الأدب العربي وتأثيرها فيه، وحظها بمكانة مميزة مثل الآداب الأخرى. وظهرت صورة الأوبئة في الفنون نظما ونثرا وجاءت مواقف الأدباء أكثر ارتباطا بالواقع. وتوافرت هذه القصائد والمقطوعات على أخبار ومعلومات بمشاهير أيام العرب وساهمت هذه النصوص إلى حد بعيد في تبيين عادات القوم وطقوسهم في أيام الأوبئة ابتداء بالاحتضار ومرورا بالنعي والبكاء والتغسيل والتكفين والتطييب وحمل الميت في محفة على أعناق الرجال، وإبداعه حفرة القبر وواجبات الحزن والبكاء. وكشفت أشعارهم عند حلول أجلهم بسبب الأوبئة عن مكنونات أنفسهم تشتيت معتقداتهم وأفكارهم وخواطرهم وحواجسهم. ودلت صورهم وأخيلتهم على شدة قلهم وخوفهم من الموت بسبب الوباء، إذ كانوا يجعلون أنفسهم مطلوبين والموت طالب.

وفي النهاية يمكن القول، إننا نواجه الوباء الحالي فيروس كورونا فكيف سيصور الكتاب في الأعوام المقبلة الوباء الحالي؟ وكيف سيوثقون ما شهدته الفترة الراهنة من تنام كبير لروح التضامن بين أفراد المجتمع في مختلف دول العالم؟ وكيف سيرصدون البطولات ممن يعيشون بيننا؟ فهل يبوح القرن الحادي والعشرين بعد أزمات فيروس كورونا وحصاده من الأموات والخسائر الاقتصادية والاضطرار إلى العزلة بإبداعات فنية وأدبية توثق لوباء القرن وتحاربه بسلاح الأمل والحياة؟

التوصيات

بعد هذه الرحلة المطولة في أدب الأوبئة ووقوف الدراسة على مفاصيل رئيسية في جوانبه وأعماقه واقتناص العديد من النصوص المختلفة، كان لا بد من توصية الباحثين بما يلي:

- إن امتداد عصر الأوبئة، أصبح من المستحيل الإحاطة بكل كنوزه النثرية والشعرية، فلا بد من الدراسات المتعددة والمطولة في هذا المجال ليأخذ حقه من الاهتمام.
- لم تعد الدراسات قاصرة على جوانب فنية محددة، محصورة في حدود معينة، بل تمتد إلى أبعد من ذلك للوقوف عل كل جديد بما يتطلب المزيد من الدراسات المتعمقة في الجوانب الفنية.
- توصي الدراسات الباحثين الاهتمام بالدراسات المقارنة في هذا الميدان، بما يساعد على إبراز الجمال حين تعرض مظاهر التوافق والاختلاف بين العصور الأدبية وفي الأعراض المختلفة والمتشابهة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس، ومنتصر، والصوالحي، ومحمد خلف الله: المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية-مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: ٢٠٠٤.
- أحمد خالد توفيق: عن الطيور نحكي، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة القاهرة، سنة النشر: ٢٠٠٧.
- أحمد خالد توفيق: الوباء، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة القاهرة، سنة النشر: ٢٠٠٧
- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر، الناشر: دار العاصمة الرياض، سنة النشر: ١٩٩٠.
- جبران مسعود: معجم الرائد، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، سنة النشر: ١٩٩٢.
- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، الناشر: دار هلال مصر، سنة النشر: ١٩١١.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، ط: ١٥، سنة النشر: ٢٠٠٢.
- شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، الناشر: المركز القومي للترجمة القاهرة، سنة النشر: ٢٠١٠.
- شوقي ضيف: الأدب العربي المعاص في مصر، الناشر: دار المعارف، ط: ١٠، سنة النشر: ١٩٩٢.

- طه حسين: الأيام، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر، سنة النشر: ١٩٩٢.
- عمر بن مظفر بن عمر الوردي: ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الآفاق العربية القاهرة، سنة النشر: ٢٠٠٦.
- فالح الحجية: الموجز في الشعر العربي، الناشر: دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن. سنة النشر: ٢٠١٧.
- مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية الميسرة، الناشر: المكتبة العصرية صيدا، بيروت، سنة النشر: ٢٠١٠.
- نازك الملائكة: ديوان نازك الملائكة، الناشر: دار العودة بيروت، سنة النشر: ١٩٩٧.

مو اقع الإنترنت المختلفة

- http://arknowledge.net/articles/1815
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%B1%D8%A7
- https://ar.wikipedia.org/wiki/سافاري_(سلسلة)
- https://lite.almasryalyoum.com/lists/181647/
- https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_خالد_توفيق
- https://www.goodreads.com/book/show/6024626
- https://www.jadaliyya.com/Details/40837
- https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51501472
- https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

الأدب الوبائي تحت مظلة كورونا؛ تمثلات جديدة لكتابة فيروسية فائقة

هيبة عماري
باحث في مرحلة الدكتوراه بجامعة سطيف ٢، الجزائر

مقدمـــة

الأدب الوبائي/التوقعي/الفيروسي، تمزق جديد في أنسجة الأدب كعلم وتخصص عام مستقل، كما هو ردة/تجاوز/زحزحة لكل ماهو كلاسيكي/تقليدي/روائي.

فسؤال الماهية و الواقع الجيو-أونطولوجي- حيال الأدب الوبائي في زمن كورونا هو في الحقيقةإنتقال/إرتحال من مركز السؤال إلى تخومه/حدوده/هوامشه؛ بل حتى إنه خلط/بعثرة/تشويش لكل الجهود و السواعد الثقافية الباحثة فيه بالاعتماد على الجاهز و المعد سلفا، عبر تبديد للرؤى الباحثة فقط في الراهن الكوروني بعيدا عن ما قبل الراهن و مابعده أيضا.

إن هذا الواقع الجديد/الإبدال المعرفي المعروف بالأدب الوبائي، هو في الحقيقة عملية إستنساخ جيني جديد، عبر إتحاد نطفة الكتابة الفيروسية مع بويضة الإنتاج السنيمائي؛ بمعنى حديث عن ولادة نموذج أو بديل معرفي ثقافي يعيد رسم البعد التنويري للمعرفة و الثقافة، كما إنه أيضا حديث نهاية قريبة لوفاة نموذج/براديغم معرفي آخر، أتت هذه الوفاة ذات البعد الرمزي كانعكاسات دائمة للكيفيات التي تعدل فيها الفهوم البشرية نفسها أمام مرايا المعرفة المستجدة عبر محددات أونطو-إبستيمية-كما أشار إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي «ميشيل فوكو» في قوله:» إذا درس المرء تاريخ المعرفة فإنه يرى اتجاهين واسعين في التحليل، وفقا للأول على المرء أن يظهر الكيفية التي يعدل فيها الفهم نفسه في قواعده المشكلة، وتحت أي ظروف و لأي أسباب(...) ووفقا للثاني، على المرء أن يبين كيف أن قوانين الفهم يمكنها أن تنتج معرفة فردية جديدة»[١]

كما أن الحديث عن الأدب الوبائي في علاقته بما بعد كورونا لا يقصد به post-corona، وإنما يقصد به سؤال ما بعد كورونا؟؛ أي انتقال دلالة (ما) من كونها مرحلية إلى (ما) الحاملة لشحنة دلالية استفهامية، ليس سؤالا يبحث فيما بعد المرحلة، بل هو بحث في مقصود هذه المرحلة وعلاقتها بالأدب على وجه عام.

و نظرا لأهمية هذا التمزق الجديد داخل أنسجة الأدب، المعروف بالأدب الوبائي/ الجائحة؛ ذلك لما أثاره من عملية إيقاظ لأشباح الأوبئة القديمة عبر تعزيزه للتصنيفات المجسدة لها، الأمر الذي جعله يتفرد بنمط كتابة جديد، وخصائص جديدة تم وسمها بالكتابة الفيروسية التي اتجهت في منعرج جديد أضحت من خلاله شكلا من أشكال البقاء التنويري، نحو السير قدما صوب إجهاض الكتابة الأدبية السائدة.

و قد ارتكز هذا البراديغم/ البديل[٢] في شق وجوده على أربعة محددات أونطولوجية شكلت يدا عتية في رسم دالة المشهد الثقافي الجديدة، ورسمت أيضا نقطة إنعطاف الدالة الثقافية على نفسها أيضا، عبر زحزحة المعقول إلى اللامعقول، ونقصد بالزحزحة السير قدما نحو التجاوز لا القطيعة، كما هو الحال إزاءالأدب الروائي تجاه الأدب الوبائي، حيث أضحى الأدب الوبائي اليوم موضوعا محددا للدراسة العلمية، وموضوعا للمعرفة في الغرب، كونه متصل بموقف إجتماعي و اتصالي محدد.مما سيحتم علينا بمرور الوقت الانتقال الحتمي لدراسة هذا التمزق دراسة أكاديمية، عبر عزف مقطوعة اللحن الجنائزي على روح الأدب الروائي، ليبقى هذا الأخير عبارة عن صوت شبحي لمعزوفة داخل دفتر عتيق.

و تهدف هذه الورقات البحثية إلى الآتي:

- إحداث تنقيب حفري في ملابسات النشأة و التطور لهذا التمزق الأدبي الجديد.
- بيان الجسر الجديدالذي حاول من خلاله هذا التمزق ربط الكتابة الفيروسية به.
- تحديد الخصائص المائزة و المميزة التي تفصل الأدب الوبائي بكتابته الفيروسية عن الأدب الروائي بكتابته النثرية و الأدبية.

كما تم اختيار هذا الموضوع دون سواه لاحتلاله مركز الثقل في دائرة الأبحاث الأكاديمية اليوم بالغرب، و قد تمثل المنهج المعتمد داخل هذا البحث في المنهج التاريخي، كونه من أعتى المناهج البحثية و أصلبها، لما يتصف به من ميزة الأرتدادية إلى الوراء تارة و التقدمية إلى الأمام تارة أخرى، خصوصا حين يتعلق الأمر بالأبحاث السابقة، أو تسليط

الضوء على الأبحاث الحالية.

١/- الأدب الوبائي؛إرباكات النشأة و مزالق التطور

لا تطرح مفاهيم النشأة عبر التكون و التحول، ثم الاستمرارية فالقطيعة على الأدب الوبائي كفرع تمزقي علمي و معرفي جديد، مجرد إشباع لفضول معرفي، أو رغبة في إحداث ترف فكري، بقدر ماهي لبنات أساسية لفهم تعرجات المصطلح، وتحولاته.

يجب التأكيد على قضية هامة، مفادها أن سؤال البدايات/الأصل السلالي لهذا الفرع لايزال غير واضح المعالم، وقضيته لدى الكثيرين لاتزال بكرا لم تفض بكارتها بحثيا بعد، مما جعله غير واضح المعالم و الحدود؛ بمعنى لم يوجد بعد، بحث مستقل يبحث في البدايات و يتقصاها تقصيا يشبع معدة المتلقي المتلهف لهذه المادة المعرفية.

كما وجب التأكيد على أن الأبحاث في هذا المجال داخل الوطن العربي شحيحة جدا، وما وجد منها لهو نزر قليل لا يلبي متطلبات الباحثين فيه. و للبحث في سؤال النشأة بالنسبة للأدب الوبائي، انبنت العملية البحثية على براديغمين:

١,١/- براديغم أولي: يمجد إعلاء مركزية المصطلح، و يفعل منهج -ONOMAASIO LOGICAL المأخوذ من المصطلح الفرنسيONOMATOPEE ويقصد به دراسة المفاهيم قبل المصطلحات، عبر تجاوز نهج SEMASIOLOGICAL المعتمد في الدراسات الألسنية تحديدا المعجمية، القائم على دراسة المفردات و معانيها فقط.

٢,١/- براديغم آخر: براديغم حداثي قائم على التشظي، والانعتاق و التجاوز،لكل ماهو تقليدي/روائي/عبر إعلاء مركزية نص SCRIPT باعتباره الأكثر تخصصا، عبر الارتكاز على مخلفات المكون اللاواعي الذي استحال مع مرور الوقت إلى مكون إبستيمي-وأونطولوجي، تمثل في حركية العولمة، هذا البراديغم لا يلغي نهج -ONOMAASIOLO GICAL، كما لا يقوم بإعلاء نهج SEMASIOLOGICAL، بل يسعى للمزاوجة بينهما عبر تفعيل نهج تزاوجي لـ: ONOSEMASIOLOGICALعبر ولوج البراديغم الأول القائم على دلالة مصطلح الأدب الوبائي، له علاقة بالنشأة يجعل المتلقي واقعا داخل شراك متاهة المصطلح و مزالق المفهوم النابع من النشأة.

٣,١/- الأدب الوبائي: النشأة؛ المصطلح؛ المفهوم

إن مصطلح الأدب الوبائي هو في حقيقة الأمر تكوين للاكسيمين رصف أحدها للآخر(أدب+وبائي) هو بمثابة انسلاخ جلدي أخير قام المصطلح به بعد إنسلاخات عديدة

حملت معها مصطلحات مختلفة، منها من عدها مرادفات، ومنها ما لم يكن كذلك،منها: الأدب المروع/ أدب الرؤيا/ أدب التمثلات/ أدب الجائحة/ الأدب الفيروسي/ الأدب الوبائي.

إن الأدب الوبائي كان قد ظهر في الحقيقة على مر القرون، فهو ليس بواقعة بحثية جديدة من حيث الوجود بقدر ما هو حالة بحثية حديثة من حيث المعرفة.

يظهر هذا النوع الأدبي صعوبة شديدة، نتيجة عدم تواجد صفة مقارنة له في الأدب المعاصر.

تشير الدراسات أن هذا الأدب ظهر في القرن ١٦م تحديدا مع ظهور الأوبئة الغامضة كل عشرية من كل قرن، حيث حددت الحقب الزمنية ١٥٢٠/١٦٢٠/١٧٢٠/١٨٢٠/١٩٢٠/ ٢٠٢٠ من أحلك القرون التي تضمنت عشرياتها أخطر الأوبئة اجتياحا و فتكا،لذا فإن الدراسات قد رجحت أن الأدب الوبائي بما هو ممارسة دخلت حيز الكتابة، قد ظهر سنة ١٦٢٠م،حيث شهد هذا العام وباء غامضا، أكثر حدة من الطاعون، وأقوى من الجدري الذي كان قد ضرب العالم عام ١٥٢٠م.

لذا فإن الأبحاث التي أرخت لظهور الأدب الوبائي في القرن١٦م، إنما تشير إلى الكتابة التي خلفها وباء الجدري، حيث أصاب أوروبا بين القرن ١٥م و القرن ١٧م، مع معدلات إصابة بلغت ٩٠ بالمائة.

تقول في هذا الصدد «وفاء حسن» في صحيفة الموجز:»١٦٢٠ وباء غامض ظهر في أمريكا و قضى على الآلاف من سكان الساحل الشرقي من القارة الأوروبية، يوم ١٦ مارس١٦٢٠ وصل إلى الو.م.أ معمرون من مدينة بليموث على متن سفينة لقوا حتفهم نتيجة تفشي وباء غامض بينهم، وأن عدواه قضت على الآلاف من سكان الساحل الشرقي من القارة الأوروبية»[٣]

لذا فإن ظهور هذا الأدب يرتبط أساسا بالنهايات التي ضربت العالم بسبب الفيروسات عبر البحث عن سبل توقعية حول نهاية العالم.

ولهذا قيل عنه:»...إن هذا الأدب له أرضيته السردية المميزة، أساسها رؤية إلاهية منقولة إلى الإنسان بوساطة العقل»[٤٤]

لذلك افتتحت هذه الرؤى الإلهية باب البروز لمصطلح أخر يعبر عن الوباء ألا وهو أدب الرؤيا/التوقعات/التنبؤات.

إلا أن النشأة الحقيقية المتلاقحة فعلا مع الكتابة الفيروسية؛ أي التي أخرجت

الأدب الفيروسي من مجرد توقعات موجودة بالقوة إلى كتابة مجسدة بالفعل، قد ظهرت في القرن ١٨م مع العديد من الكتابات أبرزها رواية «الرجل الأخير» للأديبة البريطانية الشهيرة»ماري شيلي»، وهنا أطلق عليه «محمد عبد الرحمن مصطلح:»أدب ما بعد النهاية»[٥] في الأدب الإنجليزي الحديث، حيث أشار إلى أن الرواية تروي عالما مستقلا دمرته الأوبئة كما أشار إلى أن الأدب الوبائي قد استوى على أشده في مرحلة الستينيات.

نستنتج أن الأدب الوبائي في ملابسات النشأة على وجه الدقة، تبقى متباينة، حيث تزامن ظهوره مع مسبب هامشي/ خفي هو انتشار الفيروسات القاتلة، وهنا ترى» أنا ستاسياغراندينيال» أن أدب الجائحة أو الوباء قد ظهر مع ظهور موجة جديدة من الروايات حاملة لنمط كتابي جديد، وذلك في ثمانينات القرن المنصرم، تقول في هذا الصدد:»إذا بدا لنا أنه من الشرعي تماما أن نتحدث عن أدب الجائحة، إذا جاز التعبير، فذلك لأننا من ثمانينيات القرن الماضي و نحن نشهد موجة جديدة من الروايات تتميز بشخصيات تكافح فيروسات مدمرة ومميتة»[٦]

من هنا نستخلص أن الأدب الروائي في مفهومه النشأوي العام هو عنف منظم يمارس على اللغة عبر وضع كلمات غير ملموسة للتعبير عن حدث غير عادي.

و يتوقع مستقبلا أن يقوم هذا النوع الأدبي بزعزعة عرش الأنواع الأدبية الأخرى، من خلال التنافس حول مركز الصدارة من حيث الأهمية.

إن الأدب الوبائي بهذا المفهوم يشبه كثيرا ما قاله «ميشيل فوكو» حول الجنون في قوله:» على سبيل المثال، حقيقة الجنون في فترة محددة، أصبح موضوعا محددا للدراسة العلمية، وموضوعا للمعرفة في الغرب، يبدو لي متصلا بموقف إجتماعي و إقتصادي محدد»[٧]

٢/- الأدب الوبائي: من سؤال الأدبية إلى سؤال العلمية

عربيا، لايزال الشح المعرفي و البحثي يتربص بالأدب الوبائي، فيما عدا جهود بعض الباحثين الذين لم يتمكنوا بعد من تحديده بشكل جيد.

إن الأبحاث اتلراهنة حيال هذا الصنف القشيب، تثبت بشدة أن الأدب الوبائي لايزال بكرا بعد، نظرا لصعوبته، والدليل على ذلك هو أننا لحد الآن لم نجد بحثا يفصل فيما إذا كان فرعا أم علما؟ ميدانا أم حقلا؟ ذلك لما يعتوره من غموض مفاهيمي، نظريا و تطبيقيا، وأيضا للمعاملة التي يحظى بها التي لم تتجاوز الطرق التقليدية في المعالجة،

مما جعله يوصف عربيا بالفرع الذي لم تفض بكارته بحثيا بعد.

و بخصوص تحديد ماهيته، وجب علينا تحديده من ناحية المفهوم هل هو علم أم فرع؟، كذلك تحديد وحدته العلمية التي يرتكز عليها.و كذلك منتهجه التحليلية.

لطالما كان الأدب بشكل عام يعرف على أنه ذلك الذي يصعب تعريفه، أو إعطاء مفهوم واضح له، بإعتباره ذلك الكائن العصي، الفلوت من عملية المحاصرة و التأويل، و بخصوص إثبات فيما إذا ما كان فرعا أم علما مستقلا بذاته، له حدوده ومميزاته، جاء السؤال على النحو الآتي: ما الذي يجعل من الأدب أدبا؟ فكان الجواب أدبيته، ليتبرعم سؤال آخر: ما الأدبية؟ فقيل: الخصائص والمميزات التي تميزه عن غيره.

من هنا كا الأدب بعيدا عن التخصيص، ذلك العلم المستقل بذاته، مادته اللغة، لذا وصف بأنه فن لغوي، وحدته الإرتكازية كانت متمثلة في النصوص الأدبية على تنوعها، عبر نمط كاتبة هي الكتابة الأدبية.

لكن سؤال الأدبية حيال الأدب كتخصص عام، تجاوزه الأدب الوبائي إلى سؤال العلمية.

إن سؤال العلمية حيال الأدب الوبائي هو في الحقيقة بحث فيما إذا كان الأدب الوبائي علما مستقلا بذاته أم فرع علمي متمزق من عضلة تخصص عام؟، و للإجابة عن هذا السؤال يطالعنا قول للباحثة الإسبانية تقول فيه:» حين يريد فرع علمي ما، أن يثبت إستقلاليته، يترتب عليه لأن يمتلك وحدة تحليلية خاصة و مختصة به من جهة، مع الإشارة إلى عدم تطابق هذه الوحدة مع الوحدة التي يمتلكها فرع علمي آخر»[٨]

نعلم جيدا أن مسألة الوحدة التحليلية التي تخول لأي فرع معرفي ما لأن يكون له حدوده و مميزاته الخاصة التي تميزه عن باقي الفروع العلمية و المعرفية الأخرى، على غرار لسانيات النص، تحليل الخطاب، حيث لم تعرف كعلوم مستقلة إلا بعد توفرها على وحدة تحليلية خاصة بها.

فمثلا، الوحدة التحليلية للسانيات النص هي النص على عمومه، في حين كانت الأخطبة على تنوعاتها هي الوحدة التحليلية لميدان تحليل الخطاب، بينما كانت الوحدة التحليلية لعلم المصطلح هي المصطلحات بتنوعاتها،لذا فإن TERMEMSهي الوحدة التحليلية لعلم المصطلح،و TEXTEMES هي الوحدة التحليلية لعلم النص، وlexemes هي الوحدة التحليلية لعلم المعجم.

و لكن إذا ما تعلق الأمر بالوحدة التحليلية التي تخول للأدب الوبائي أن يكون علما مستقلا بذاته هنا يطرح السؤال: ماهي الوحدة التحليلية التي يمتلكها الأدب الوبائي؟

إن الوحدة التحليلية التي يمتلكها الأدب الوبائي هي النص المعالج/نص المعالجة/ السكريبت؛ ذلك لأن الأدب الوبائي هو في واقع الأمر هو نتلج تلاقح بويضة الأدب مع نطاف الإنتاج السينيمائي.

لا يمكننا الحديث عن الأدب الوبائي كجنس منفصل مثل حديثنا عن الأدب بمفهومه العام، إن الأدب الوبائي الذي ظهر مع بدايات هذا القرن يرفض أن يكون من جنس الكتابة الروائية العادية، حيث يتفرد بنمط كتابة مغير تمثل في الكتابة الفيروسية، التي تتطلب بدورها نصوص معالجة لا نصوص كتابية روائية فحسب.

كما تقوم هذه الوحدة التحليلية الخاصة بالأدب الوبائي على عنصر الترقب، عكس الأدب العام القائم على وحدة تحليلية هي النصوص الروائية على تنوعاتها، والتي تقوم بدورها على عنصر التخيل.

كما يجب التأكيد على أن الترقب لايكون أبدا مرادفا للتخيل، أو الخيال العلمي؛ لذلك فعنصر الترقب حيال الحديث عن الأدب الوبائي، هو سمة مميزة له، يخرجه من بؤرة الإنتماء للخيال العلمي، كونه يستحضر في المستقبل الفيروسي الذي يصفه إبتكارات علمية كبرى، نتائجها غير معروفا مسبقا وقت الكتابة.

لذلك أمكننا القول؛ إن الأدب الوبائي، تمثلات غير متوقعة مرتبطة بالتمثلات البشرية، وهنا يفترق عن أدب الخيال العلمي القائم على تفعيل درجة التخيل عبر تصورات تتساءل عن الكيفيات التي سيغدو فيها العالم مثلا سنة ٣٠٠٠م؟.

٣/- الأدب الوبائي: من معالجة النص إلى نص المعالجة

لطالما كانت معالجة الأدب العام للعالم معالجة كتابية ذات طابع سردي كتابي، ينتصر للغرافيم على حساب الفونيم، لكن مع بروز التقانة و تفكيك العالم بكل أطيافه داخل رحمها، برز تمزق أدبي جديد، يرصد المخاطر التي يجابهها العالم، عرف بالأدب الوبائي/الفيروسي/

التوقعات/الرؤيا، إن هذا النمط الأدبي الجديد لا يتنكر لطبيعته السردية الكتابية لكنه لا يقوم عليها؛ ذلك لأن هذا النوع يقوم في معالجته السردية لأمور العالم على الطابع الآلي الرقمي،حتى وإن بدت القصة التي يعالجها ذات طابع أدبي.

فمع الطابع الآلي إنتقل الأدب الوبائي من الواقع الغراماتالوجي/ الكتابي إلى الواقع الفونولوجي/الصوتي، وإنتقلت معه الكائنات السردية من صفة الورقية إلى كائنا سيبورجية/وسيطية بين الإنسان و الآلة، لذا فالأدب الوبائي في مفهومه الأساس هو: **سرد آلي للعالم، عبر صورة آلية**، من خلال الإنتقال من العدسة القرائية إلى العدسة الإبصارية التفرجية/المشاهداتية.

إن الأدب الوبائي، يفتح على كتابة فيروسية، بماهي إفتراض لجنس كتابي جديد عبر أساليب سردية لاتقليدية.

إنه إقتراح لرؤية جديدة تربط الأدب بالشكل السينمائي، حيث تجعل المتلقي على مدارج فهمية و إفهامية متميزة.

و من هنا يكون الأدب الوبائي بمثابة إستنساخ جيني جديد، عبر تلاقح الأدب مع عوالم السينيما، فتغدو الكتابة الأدبية ذات عقل قرائي تأويلي ، بينما تغدو الكتابة الفيروسية ذات عقل إبصاري تحليلي.و معه تنتقل الكتابة الروائية من ستاتيكية الغرافيمات إلى ديناميكية المورفيمات المعالجة ، عبر معاينة فيلمية للواقع كدراما نابعة من الذات.

إن الأدب العام كان يجنح إلى معالجة النصوص الروائية عبر تحليل يقوم على إستحضار المناهج السياقية أو تانسقية، كان الإعتماد على التأويل رأسها الأساس.

لكن مع الأدب الوبائي إنتقل الأمر بالباحثين من معالجة النصوص إلى نصوص المعالجة؛ ويقصد بنصوص المالجة، تلك النصوص الأدبية البداية، التي تم نقلها من صيغة الأدبية المفرطة(كثرة الكلام و قلة الصور) لإلى السيناريوهاتية القائمة على نصوص أدبية معدلة، حيث تأتي في هيئة نصوص معالجة تكون فيها الصورة الصوتية أكبر و أبلغ من الكتابة التعبيرية، وذلك عبر إبراز واضح لقوة التعبير الجسدي القوي للمقاطع الحسية.يقول في هذا الصدد «جانيتي»:» الأفلام المعدة عن الروايات نادرا ما يقوم بكتابتها الروائيةن الأصليون لسبب وجيه عادة- شكا صانعوا الأفلام بأن النصوص السينمائية التي كتبها مثل هؤلاء الكتاب، كانت في أغلبها أدبية، أكثر من اللازم، وكثيرة الكلام، قليلة الصورة، أكثر من اللازم، المقارنة بين الفيلم و الرواية ترينا حسنات و تحديدات كل وسط تعبيري، الرواية تميل إلى التفوق في صفحاتها التأملية و مقاطعها التي تتناول الأفكار المجردة، الفيلم يتفوق في تعبيره الجسدي القوي للمقاطع الحديثة»[٩]

إن الأدب الوبائي هو منجز أدبي عام، فقط يجنح إلى تعديل في النصوص الروائية؛

لذلك تبقى النصوص الروائية في خانة الرواية في حين تدخل نصوص المعالجة في خانة الفيلم المعدل، يقول في هذا الصدد «دي جانيتي» الجزء اللأكبر من الأفلام هو إعداد من مصدر أدبي(...) أضف إلى ذلك أنه كلما كان العمل الأدبي أفضل، كلما كان الإعدادصعبا»٨. لذلك تشيع المقولة:» إن السيناريو قاتل للرواية».

و هنا ينتقل الكاتب من دور المؤلف في الرواية، إلى السيناريست معدل الرواية، وهنا يبقى المؤلف الأول هو الأصل و الشريك القوي، لكنه يتساوى من ناحية الوظيفة مع صانع الفيلم،يقول في هذا الصدد جانيتي:» صانع الفيلم يكتب بآلة تصويره، مثلما يكتب الكاتب بقلمه»[١٠]

كما يقول أيضا في شأن علاقة المؤلف بالسيناريست:» ربما كان كاتب النص أكثر من أي شريك آخر للمخرج ذكرا من وقت لآخر على أنه المؤلف الريس للفيلم، مهما يكن من أمر، فإن الكاتب عموما هو المسؤول عن الحوار، وهو الذي يلخص غالبية الفعل، وهو الذي يبدأ موضوع الفيلم الرئيسي»[١١]

إن إنتقال طبيعة الكتابة الروائية من نصها الكتابي و الروائي العادي، إلى نص معالجة آلية، يقر و يؤكد أنه لا شيء يبقى إذن من فكره موت الصورة العتيقة للأدب العام، رغم وهمية هذه الفكرة من جهة و رمزية الوفاة من جهة أخرى.

و مع هذا فإن هذا الواقع الأدبي الجديد المضطرب يتميز بولادة واضحة لا يمكن إنكارها، عبر الإختفاء التدريجي للكتابة الروائية البحتة، قريبا ستصبح كتابات المروع شيئا من الماضي، و ستبرز نصوص أخرى مع هذه الألفية، نصوص أدبسينمائية، جراء تزاوج الأدب مع عوالم السينما.

هذا الأمر، في الحقيقة ليس ببديهية، و إنما هي سلسلة التحولات التثويرية التي يعيشها الأدب على مر الأزمنة و العصور عبر حلقلت مترابطة من التساؤلات و الإنسلاخات.

إن الأدب الوبائي اليوم فرضية أدبية حديثة، صنعها نظام تاريخي تثويري جديد، داخل مجرة جديدة عرفت بـ:» الأدب السوبر»؛ أي الأدب المتلاقح مع الإنتاج السينمائي.

يقول في هذا الصدد « ليبوفيسكي و سيرو»:»تخضع الأفلام في هذا الإطار إلى نظام سرد واضح، سلس و مستمر، مدفوع بمحاكاة للواقع المؤدي إلى مشاركة المشاهد الفورية[١٢]

لذلك كلما تحدثنا عن أدب وبائي لابد من إستحضار الحديث عن الفيلم؛ ذلك

لأن نص المعالجة هو توزيعات في خانة الأفلام، بما هو إنتقال من عملية التسويد إلى التبييض، عبر المعالجة، و يقصد بالمعالجة تماما ما أشار إليه «فرانك هارود» المعالجة هي صيغة شديدة التطور عن ملخص الفيلم، وهي وثيقة طويلة إلى حد ما، قد تبلغ عشرون صفحة أو أكثر في الأفلام الطويلة، ويتم في وثيقة المعالجة تطوير القصة بكليتها»[٣١]

٤/- الأدب الوبائي؛ فرادة التمزق و أصالة الإنتماء

إن الكتابة عن الجائحة ليس معناه ترويضها، هذا هو مبدأ الأدب الوبائي، حيث يسعى إلى بعد بقائي تنويري، لكنه لا يحمي من وقوع الكوارث.

لقد فتحت الأدبيات الوبائية سبلا عديدة من التمثلات و الفيروسات المختلفة التي إجتاحت العالم ولازالت تجتاحه.لذلك فالأدب الوبائي هو معالجة آلية لنصوص كتابية في الآساس، بحيث لا يمكن له شق وجوده حضوريا إلا عبر المعالجة الآلية و السرد الصوري ، هنا لا يمكننا إعتباره عملية مسخ لحقيقة الأدب كونه ينتقل في تعامله من متراجحة معالجة النص إلى نص المعالجة،بمعنى ميل إلى نص السكريبت، هنا يصبح الأدب الوبائي كتابة للصوت و الصورة من أجل إظهار الأشياء.

إن المسخ الذي يعاب به الأدب الوبائي، يرتكز أساسا في النص المعالج/ السكريبت، حيث يرى «غابريال» أن كتابة النص مثل كتابة السكريبت، ومع هذا فهو ليس بفن و لا بأدب، ولا يحتوى على نصوص قابلة للقراءة و النشر.

إن الكتابة داخل فقاعة الأدب الوبائي، تقوم على معرفة مرتكزات الكتابة السينمائية، وفي الآتي رصد لأهم المفترقات بين الوبائي و الأدبي:

الأدب الوبائي:	الأدب الروائي:
١- يقوم على نصوص المالجة/السكريبت، وهي نصوص روائية مقتبسة و معدلة.	١- يقوم على معالجة نصوص روائية مكتملة.
٢- معالجة القضايا معالجة آلية تنصر للصوت+الصورة.	٢- معالجة كتابية تنتصر للحرف على حساب الصوت و الصورة.
٣- كتابة تؤمن بفعالية الصوت و الصورة لإظهار الأشياء.	٣- كتابة للحرف و التخييل.

٤- يرتكز على عنصر الترقب لا التخيل، عبر وصف إبتكارات علمية نتائجها مجهولة وقت الكتابة.	٤-يرتكز على عنصر التخيل لا الترقب، عبر وصف ما يمكن و ما لايمكن.
٥- نصوصه تعرف بنصوص السكريبت، وهي نصوص غير قابلة للقراءة و النشر.	٥- النصوص هي نصوص كتابية قابلة للنشر و القراءة.
٦- يقوم على عملية التسويد و التبييض.	٦- يقوم على التسويد فقط عبر استخدام الحرف.

أساسيات الأدب الوبائي، الشكل من تصميم الباحث بالإعتماد على مخرجات برنامج المجدول.

٥/- مرتكزات الأدب الوبائي

١- التجربة الإنسانية الحساسة الحدسية.
٢- الرؤية الروحية اللامرئية.
٣- الكاتب الرائي.
٤- الرؤيا: تشخيص زائف للواقه لامرئي عبر شخوص رمزية.
٦/- التوصيات و النتائج المستخلصة:

في ختام هذا البحث نخرج بالنتائج الأتية

١- الأدب الوبائي ترقب للمجهول، كتابة عن الجائحة و ليس ترويضها.
٢- الأدب الوبائي سرد آلي للحياة الخطرة .
٣- الأدب الوبائي إنتصار للصوت و الصورة على حساب الحرف و الورق.
٣- الأدب الوبائي تلاقح جديد مع السنما لذا يطلق عليه أدب السوبر.
٤- الأدب الوبائي له عدة مرادفات مصطلحية منها: أدب التمثلات/ الأدب التوقعي/ أدب المروع/ أدب الرؤيا/ الأدب الفيروسي.
٥- الأدب الوبائي إتقان لشروط الكتابة السنمائية.
٦- الأدب الوبائي وحدته التحليلبية هي نص المعالجة/ السكريبت.
٧- الأدب الوبائي اتحاد لنطفة الأدب مع بويضة الإنتاج السنمائي.
٨- الأدب الوبائي إنسلاخ جديد في سلسلة التثويرات التي شهدها الأدب كتخصص عام.

٧/-التوصيات

هذا البحث هو جهد المقل، توصي الباحثة بالآتي:

١- ضرورة إدراج هذا الصنف البحثي القشيب كمقياس منفصل يعنى بالدراسة الأكاديمية بالجامعات.

٢- تشجيع طلبة الآداب من ولوج عوالم الكتابة السينمائية عبر ترويض الكتابة الأدبية و صقلها بما يماشي الواقع السوسيو اقتصادي اللامتناقض مع المشهد العالمي لليوم.

٣- إدراج أبجديات الكتابة السنمائية كمقياس أساسي لدى طلبة المعاهد الأدبية.

٤- الإهتمام بكل ماهو بصري رقمي دون إهمال الورقي و الكتابي.

المصادر والمراجع

١ نعوم تشومسكي.ميشيل فوكو: عن الطبيعة الانسانية، تر: أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان،٢٠١٥

٢ ميشيل دوسارتو مبتكر مصطلح النهايات الرمزية المطبقة في مجال الثورات الرقمية.ينظر أكثر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٥%D٨%A٨%D٨%B٤%D٨%A٧%D٩%٨٤_%٨٨%D٨%B٣%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%AA%D٩%٨٨%D٨%AF%D٩%٨٨_%D٨%A٨%D٨%B٤%D٨%A٧%D٩%٨٥

٣ وفاء حسن؛ «وباء القرن(سر الفيروس القاتل) الذي يضرب البشرية كل ١٠٠عام).مجلة الموجز.تاريخ النشر ٢٠٢٠/٣/٢٠.مقال قابل للمشاهدة.تاريخ الإطلاع٢٠٢٠/٠٩/٤ عبر الرابط:.https://www.elmogaz.com/٥٩٣٣٥٢.

٤ apocryphe litératures.http://universalis.fr

٥ محمد عبد الرحمن؛ «مقال حول رواية الرجل الأخير» مقال قابل للمشاهدة فقط.تم النشر ٢٠٢٠/٤/٩ ٢٠٢٠/com/story.https://www.youm٧

٦ anastasia giardinelli » ;virus,épidémies et pandémies dans la littérature,le cinéma et les séries : imaginaire épidemique,modalités et enjeux » http://calenda.org.

٧ نعوم تشومسكي.ميشيل فوكو: عن الطبيعة الانسانية، تر: أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان،٢٠١٥

٨ المعنى في علم المصطلحات.مقال لكابريه.حول تمثيل التصورات تمثيلا ذهنيا:أسس المسعى إلى النمذجة.ص.٤٤ و هي مقالة أدرجت في المشروع الممول ٠٢٩٣/DGES.P.B٦٦ نقل عن الاسبانية الى الفرنسية ثم نقلته الى العربية الدكتورة ريتا خاطر.المنظمة العربية للترجمة.ط١.ت.ط ٢٠١٥.

٩ لوي دي جانيتي».»فهم السينما- السينما و الأدب-» تر.جعفر علي.منشورات عيوف ص ٦ ت.ط.١..١٩٩٣.

١٠ المصدر نفسه ص ٨٢.

١١ المصدر السابق ص.٢.

١٢ «جيل ليبو فيسكي و جان سيرو».شاشة العالم ثقافة و سائل الإعلام و السينما في عصر الحداثة الفائقة».تر.راوية صادق.المركز القومي للنشر.ص٢٢ ط.١.ت.ط.٢٠١٢

١٣ «فرانك هارود».»فن كتابة السيناريو.نتر.رانيا قرداحي.منشورات وزارة الثقافة.بيروت.ط.١.ت.ط ٢٠١٣.ص.٢٠.

تيمة الوباء في المنجز الشعري العربي مقاربة بين القديم والحديث

خيرة بوخاري
طالبة الدكتوراه بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

ملخّص بالعربيَّة

يهدفُ البحث للكشف عن الكتابة الشّعريّة في زمن الأوبئة التي كانت بمثابة جرعة مسكّن يلجأ إليها الشّاعر لتضميد جراحهِ، حيث يقفُ على محطّات شعورية بين الحزن واليأس والرثاء والدُّعاء، فيصوّر لنا حالة سوداويَّة في كلّ مراحل الأوبئة التي عرفها الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، ابتداءً من العصر الجاهلي في القرن الواحد والعشرين الذي نعيشهُ، وكذا معرفة تسمياتها وأعراضها وشدّة فتكها بالإنسان، والأثر البالغ الذي تتركه في نفسيّته، وانعكاساتها على الأوضاع الاقتصاديّة والسياسية والاجتماعيّة، ممّا حدا بنا لاستقراء أشعار الشّعراء في العصور المختلفة من القديم إلى الحديث، وكيف عبّر عن هذه الأوبئة ووصفها وصفا دقيقا، والتّأريخ لمراحلها، فقد كان الشّعر العربي القديم بمثابة الوثيقة التاريخيّة التي تحفظ الكثير من الأحداث التي شهدتها الأمّة العربيّة، فقد كان الوباء ملهما لمخيّلة الشّعراء، وهو في حدِّ ذاته مبحث علميّ محض تلتقي فيه خبرات الطبِّ والفقه الدّيني والأدب التّدويني، فالشّاعر إذا لم يكن محيطا ملّما بعلوم الوباء فإنّه لن يبلغ المقصديّة من ورائه، لذا سنحاول تسليط الضّوء على المنجز الشّعري العربيّ الذي قيل في الأوبئة ابتداءً من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي، منتقلين إلى العصر الأموي مرورا بالعصر العباسي إلى العصر المملوكي إلى العصر الأندلسي وصولا إلى عصرنا الحديث الذي يشهد وباء كورونا أو كوفيد-١٩ الذي أعاد ذكريات الأوبئة السّابقة التى

خلدتها الذاكرة الأدبية العربية فى دواوين الشُّعراء، كما أنّ البحث يكشف عن كتابات سبقت وباء كورونا وقد تحدّثت عنه باسمه، فكيف تعامل الشّعراء مع هذه الأوبئة؟ وكيف وصفوها وضمّنوها منجزهم الشّعري العربي؟

مقدّمة

عرفت البلاد العربيّة في عصورها المختلفة أوبئة وطواعين، وعرف الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض طعم مرارتها، فقد تعاقبت عبر الأزمنة ابتداءً من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا -القرن الواحد والعشرين- تنوّعت هذه الأوبئة في تسمياتها وفي أعراضها وشدّة فتكها بالإنسان، فتركت الأثر البالغ في نفسيّته حين فقد الأهل والأحباب، ممّا انعكس على الأوضاع الاقتصاديّة والسياسيَّة والاجتماعيّة والمعيشيّة، وكلّ هذا يؤثر على تفكير الشّاعر فهو ابن بيئتهِ، يتأثَّر ويُؤثّر، ممّا حدا بالكثير من الشّعراء للتعبير عن الضّرر الذي ألحقته هذه الأوبئة ووصفها وصفا دقيقا، والتّأريخ لمراحلها.

لقد كان الشّعر العربيّ القديم قبل تدوين المؤلَّفات النثريَّة بمثابة الوثيقة التاريخيّة التي تحفظ الكثير من الأحداث والنّوازل التي شهدتها الأمّة العربيّة، ابتداءً من العصر الجاهلي الذي فاجأ الإنسان بظهور أوبئة لم يعرف لها مصدرا، وازدادت الأوبئة والطّواعين في الظهور إلى عصرنا الحديث الذي يشهدُ وباء كورونا أو كوفيد-١٩، فجائحة وباء كورونا أعادت ذكريات الأوبئة السّابقة التي خلَّدتها الذَّاكرة الأدبيّة العربيّة فى دواوين الشُّعراء.

لم يعرف الشَّاعر لهذه الأوبئة مصدرا فغدا يُرثي أهلهُ في قصائد شعريّة يلعنُ فيها الطّاعون والوباء الذي يفاجأ البشر تقريبا كلّ قرن من الزّمن، مع أنّ الوباء في القديم كان يصطلح عليه بالطّاعون، مرورا بالعصر الإسلامي الذي عرف فيه الإنسان كيف يتعامل مع الطاعون بتدابير دينيّة محضة يتّبعها البشر اليوم، فالكثير من التّدابير الوقائيَّة اتُّبعت في العصر الإسلامي أحياها وباء كوفيد-١٩، مُعرِّجين على العصر الأمويّ الذي ظهرت فيه مؤلفات بين الشِّعر والنَّثر يصفون فيها حالة النَّاس وهم يعانون الطَّاعون مرورا إلى العصر العباسيّ وصولاً إلى عصرنا الحالي الذي اشتدّت فيه الأوبئة واشتدّ فتكها بالإنسان، فكيف واجه الشّاعر هذه الأوبئة وأرّخها في قصائده؟ هل سجل الشعراء كل ما حل بهم من طواعين وأوبئة من القديم إلى الحديث؟

تمهيد

لعلَّ جائحة كورونا أو كوفيد-١٩ أحييت في الشّاعر العربي ذلك الشّعور الجماعي بالرّثاء والمواساة عبر تاريخ الأوبئة منذ عصورها القديمة، فالأوبئة ليست جديدة على الإنسان وإنّما عرفها وعاش معها على مرّ العصور، لكنّ الأمر المختلف أنّ الإنسان الذي عاشها قديمًا ليس هو من يعيشها الآن، فوباء كورونا بالنسبة إليه كارثة إنسانيّة لأنّه يعيشها بمشاعره، فيعتمد لغة الشِّعر ببصره وحسّه وعقله متكأ على الخيال، ممَّا جعله يتساءل عن مصدر هذا الوباء؟ لماذا تعاني الإنسانيّة من هذه الأوبئة كلّما مرّ زمن؟ ولأنّ المنجز العربي مؤرّخ منذ الجاهليّة إلى يومنا هذا، لا يغفل عن مثل هذه الأوبئة الفتَّاكة، إمّا واصفا لها أو مؤرّخا لحوادثها أو متنبّئا بحدوثها، هاهي مجلّة العربي تتنبّأ بحلول وباء عالمي في أحد صفحاتها التي تعود لعام ٢٠٠٣، وهذا على حد قول د. حسان شمسي باشا* لمّا تحدّث عن فيروس سارس الذي سبق فيروس كورونا، وقال أنّه «من هانوي طار الفيروس المألوف ليتوحّش في هونج كونج، ومنها حملته الطّائرات عبر المحيط ليتحوّل إلى رعب عالمي يهدّد رئات البشريّة»١، وكانت بداية هذا الوباء سارس الذي يعدّ من عائلة وباء كورونا فكلاهما يصيب الجهاز التنفّسي، حلّ بالصين وانتشر في العديد من الدول، وقد «اكتشف العلماء مطلع أبريل ٢٠٠٣ أنّ سبب هذا الالتهاب الرئوي فيروس يدعى «كورونا» والذي يسبب عادة الزكام (البرد)، ولكن العلماء يقولون –بعد تحليل المادة الوراثية DNA للفيروس-إنّه ليس مطابقا تماما لفيروس «كورونا».. وأظهرت الدراسة التي أجريت على خمسين حالة مصابة بالالتهاب الرئوي الحاد أن تسعة من بين عشر حالات أصيبت بسبب فيروسات من عائلة «كورونا»، وفي السّابع من أبريل ٢٠٠٣ أعلنت منظّمة الصحّة العالميّة تسميه نوع من فيروس «كورونا» وأطلقت عليه اسم «فيروس سارس» كعامل مسبب رئيسي لهذا المرض. ومع ذلك فلم تتجاهل احتمال وجود ميكروبات أخرى تعمل كعناصر مساعدة في إحداث هذا المرض الرئوي»٢، فهذا الوباء كان بمثابة البوابة التي جعلتنا نعود للذاكرة الشّعريّة العربيّة ونسترجع من خلالها ما جادت بهِ قريحة العرب كلّما حلّت بهم الأوبئة والطّواعين.

---

١ حسان شمسي باشا، رعب الصدور القادم من الصين، مجلة العربي، الكويت، ع ٥٣٦، يوليو،٢٠٠٣، ص١٤٤. استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد-جدّة، وله العديد من المؤلّفات باللغة العربيّة.

٢ حسان شمسي باشا، رعب الصدور القادم من الصين، مجلة العربي، الكويت، ع ٥٣٦، يوليو،٢٠٠٣، ص١٤٥- ١٤٦.

إشكاليّة المصطلح بين الوباء والطّاعون والموتان

عرف العرب قديمًا في أشعارهم مصطلحات عديدة للأمراض؛ من بينها الوباء والطّاعون والموتان، إذ أنَّ مصطلح «الطاعُون: داء معروف، والجمع الطَّواعِينُ. وطُعِنَ الرجلُ والبعير، فهو مَطْعون وطَعِين: أَصابهُ الطاعُون. وفي الحديث: نزلتُ على أَبي هاشم ابن عُتْبة وهو طَعين. وفي الحديث: فَنَاءُ أُمتي بالطَّعْنِ والطاعُون؛ الطَّعْنُ: القتل بالرِّماح، والطَّاعُون: المرض العام والوَباء الذي يَفْسُد له الهواء فتفسد به الأَمْزِجة والأَبدان؛ أَراد أَن الغالب على فَناء الأُمة بالفتن التي تُسْفَك فيها الدِّماءُ وبالوباء»٣، وبالتالي يمكن تحديد الطّعن من خلال لفظه بالطعنة التي توجّه للآخر فترديه ميتًا، أمّا الطاعون فهو يشمل الوباء في حدّ ذاته.

وقد عرّفت الموسوعة البريطانيَّة الطّاعون بوصفهِ: «مُصطلحا كان يُطلقُ قديمًا على أيّ مرضٍ واسع الانتشار، مسبّبًا الموت الجماعي، لكنَّهُ الآن محصور في حمّى معدية من نوعٍ خاص تسبّبُه البكتيريا العضويَّة pasteurella pestis التي ينقلها برغوث الفئران. وهو في أصله يُصيبُ القوارض، ولكنَّ الوباء في الإنسان ينشأ من جرَّاء الاتّصالِ ببراغيث القوارض المُصابة»٤ ويلتقي هذا المفهوم القديم بالمفاهيم الحديثة التي توصّل إليها الطبّ حاليًّا، فلا فرق بينهما.

كما أنّ الدّراسات الحديثة أثبتت أنّ «الطَّاعون من الأوبئة المعدية، تنتشر بالهواء، وتأخذ أعراضه أشكالا مختلفة، فقد تكون شقوق أو بروز أو غدد أو بقع، تظهر في جزء من الجسد، يرافقُ ذلك آلامًا داخليّة جمة تنتشر وتؤدي إلى الموت»٥، فالطّاعون ليس محدّد في جنس مرضه الذي يصيب الإنسان، وإنّما تتعدّد أوجه إصابته لهُ، قد يكون جلديًا وقد يكون تنفّسيًا يقترب من الوباء، والفرق بينهما أنّ «أصل الطَّاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض؛ فسمّيت طاعونا لشبهها بالهلاك بذلك، وإلاّ فكلّ طاعون وباء، وليس كلّ وباء طاعونًا»٦، وهنا يظهر الفرق بين الطّعن الذي يكثر في

٣ ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ط ع ن)، دار صادر، بيروت، ص٢٢٤.

٤ انظر الموسوعة البريطانيّة، Encyclopaedia Britanica,VIII ,٢٠-٢١ plagne نقلا عن العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبدالقادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، ص٢٣.

٥ نصير بهجت فاضل، الطواعين في صدر الإسلام، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، ع٢، مج ٦، ٢٠١١، ص٩.

٦ العسقلاني بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، أحمد عصام عبدالقادر الكاتب، دار العاصمة،

الحروب والطاعون الذي يباغت الإنسان، فالأوّل معلوم بالحرب والثاني مجهول بالموعد.

مصطلح الوباء

ونجد في تعريف المعجم أنّ «الوَبَأُ: الطّاعون بالقصر والمدِّ والهمز، وقيل هو كلُّ مَرَضٍ عامٍّ، وفي الحديث: إن هذا الوَبَاءَ رِجْزٌ، وجمعُ الممدود أَوْبِيةٌ وجمع المقصور أَوْباءٌ، وقد وَبِئَتِ الأَرضُ تَوْبَأُ وَبَأً. ووَبُوأَتْ وِبَاءً وَوِباءة»٧، فالوباء مرض يصيب عامّة النّاس وليس خاصًا بفئة معيّنة ولا منطقة معيّنة.

وقد ربط الأطّباء مصطلح الوباء بالهواء، «وأمَّا الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادَّة الرُّوح ومدده؛ ولذلك لا يمكن حياة الإنسان، بل جميع الحيوان بدون استنشاقه، بل متى عدِم الحيوان استنشاق الهواء مات»٨، ولعلّ هذا أكبر دليل لتسميّة جائحة كورونا بالوباء لأنّها أصابت الجهاز التنفّسي للإنسان، ويلخّص جالينوس كينونة هذه «الأمراض التي تعمُّ كثيرا من النّاس في وقت واحد، فمتى كانت مهلكة سمّيت موتانًا، ومتى كانت سهلة خُصَّت باسم المرض الوافد، ومتى كانت خاصّة ببلد دون بلد سمّيت بالأمراض البادية»٩، ولعلّ المصطلح الثالث بعد الطّاعون والوباء مصطلح الموتان الذي يعدّ أقوى المصطلحات لأنّه يدلّ على كثرة الموت بالوباء والطّاعون، فيضمّهما في جنبيه ويقال أنّه يصيبُ المواشي كذلك.

وهناك أسباب عامّة تدعو لانتشار الأوبئة والطَّواعين في كلّ عصور الحياة، فمن تغيُّر الهواء المُحيط بالإنسان الذي فيه تنفسّهُ، إلى تغيُّر ذلكَ في جهة المكان والموضع حيث ينشأ من ارتفاع أبخرة فاسدة متعفّنة من السِّباخ والبطائح المتغيّرة المياه والخنادق والأحافير السريّة الرّاكدة الهواء، والنّبات والبقول المتعفّنة، وأقذار النّاس وفضلاتهم، وجيف القتلى في الملاحم والحروب والدّواب التي أصابها الموتان١٠، وهذه الأمور حدثت في كلّ العصور، ممّا جعل الشّعراء يؤرّخون لمثل هذه الأوبئة ابتداءً من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا.

الرياض، د.ط، د.ت، ص٩٧.

٧ ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، مادة و ب أ، ص١ .٠

٨ العسقلاني بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، ص٩٩.

٩ www.alukah.net,هدية مجمع اللغة العربيّة بالتعاون مع شبكة الألوكة .ص٣٦٠, مخطوطات ومطبوعات

١٠ ينظر، المرجع نفسه، ص٣٦٠.

١-الطّاعون في الشّعر الجاهليّ

الشّعر الجاهلي هو الذي قيل ما قبل الإسلام، فالبيئة الصّحراوية التي كان يعيش فيها الجاهلي جعلتهُ يجهلُ مصدر الأمراض التي تفتك بهِ ويجهلُ مصدر الطّاعون الذي يحلُّ بهِ، ويجهل طريقة علاجه، ولعلّ مرثية أبي ذؤيب الهذلي أكثر مأساة جسّدت رثاءه لأبنائهِ الذين ماتوا بالطّاعون في قصيدة من أجمل عيون الرثاء في الشّعر العربي، فهناك روايات تقول «إنّ هذه القصيدة تتمثّل في بكاء أبي ذؤيب أبناءه، لأنّه هلك له خمسة بنين في عام واحد، أصابهم الطَّاعون»[١١]، فرثاهم في قوله:

١-أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّـــــعُ وَالدَّهرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
٢-قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ ابْتَذَلتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
٣-أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لاَ يُلاَئِمُ مَضْجَعًـا إِلّاَ أَقَضَّ عَلَيْكَ ذَاكَ المَضْجَعُ
٤-فَأَجَبْتُهَا: أَمَّا لِجِسْمِيَ أَنَّـــه أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ البِلاَدِ فَوَدَّعُـو
٥-أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُـــونِي حَسْرَةً بَعدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لا تُقلِـــعُ
٦-وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَـــةٌ وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِالبُكا مَنْ يَفْجَع
٧-سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَواهُـــمُ فَتُخُرِّمُـوا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعُ
٨-فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ نَـاصب وَاخالُ أَنِّي لَاحِـــقٌ مُسْتَتبَعُ
٩-وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدافِعَ عنهم فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَتْ لاَ تُدْفَـــعُ
١٠-وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَت أَظْفَارَهَـا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَـــعُ
١١-فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حِداقَهـا سُمِلَت بشَوكٍ فَهِيَ عورٌ تَدمَعُ[١٢]

إنّ عينية أبي ذؤيب الهذلي التي تعدّ من عيون الرّثاء العربي أكثر القصائد تعبيرا عن الحزن الذي خلّفهُ الطَّاعون في نفسيّة الشَّاعر، فهذه القصيدة الرّثائيَّة تحمل في طيَّاتها الكثير من الإثارة النّفسيّة لطغيان الجانب الحزين فيها والإثارة اللّغوية باعتبارها تصويرا لغويًّا، وباعتبار أنّ هذا النّص الشّعري «أثر لُغوي لتجربة شعورية حاول الشّاعر التّعبير عنها عَبْر أقنية فنيّة مركَّبة تجدُ صداها عند المتلقّي نتيجة أدبيَّة التَّعبير فيها»١٣،

١١ أحمد الزّين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥، ص١.

١٢ أبو ذؤيب الهذلي، الديوان، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث، بور سعيد، ط١، ٢٠١٤، ص٤٠.

١٣ علي عزيز صالح، شعرية النّص عند الجواهري، الإيقاع والمضمون واللّغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١١، ص ١٠.

وما جعل العينيّة تتجدّد معنا هو إغفال السَّبب الرّئيسي لكتابتها وهو الطَّاعون الذي قتل أبناءه، ممّا يدفع الباحث الغيور على التّراث العربي إلى النّبش والبحث في الزوايا الّتي لا زالت خفيّة في بنيّة القصيدة.

وكثيرا ما يلجأ الشّاعر الهذلي لتوظيفِ ظاهرة الاستفهام بكثرة، من أجل تحقيق التّلاؤم بينهم وبين تجاربهم، على اعتبار أنّ هذا الأسلوب يفتح أمام الشّاعر الهذلي «إمكانات متعدّدة للتّواصل مع العالم والآخر، ويسمح له بإلقاء الضَّوء على الموضوعات المعقّدة والإشكالات الوجوديَّة المستعصية على الإدراك كما يصوّر لنا حيرته وقلقه ودهشته وألمه، ولم لا رغبته في المواجهة والانتصار على صورة الفناء الكامنة في خبايا شعوره»١٤، وصور الفناء الذي تتجسّد في الطَّاعون، فقد ورد الحوار الذّاتي عند «أبي ذؤيب الهذلي» بصيغة التّساؤل الأزلي الذي يُلازم الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، خصوصا إذا كان يجهل مصدر الأمور، فهو لا يعرف مصدر الطَّاعون الذي أخذ أبناءه الخمسة مرّة واحدة، ومن ثمَّ فقد تمحور هذا الاستفهام حول ثلاثة أقطاب أساسية جسَّدت لنا بداية المشهد السَّردي الذي تدور حوله المرثيَّة الوبائيّة:

أقطاب الاستفهام

المنون(الطاعون) المخاطب (تتوجّع أنت) الدّهر

وبناءً على هذه الثُّلاثية نلاحظ أنّ المنون(الطاعون) والدَّهر يحصران الإنسان في دائرة القدر الذي يجهله الإنسان بطبعه كيان بشري، وكثيرًا ما وقف الشَّاعر الجاهلي على ظواهر لم يجد لها تفسيرًا كظاهرة الطاعون وهنا يتبادر إلى ذهن المتلقي التّساؤل الآتي: هل يستفهم الشّاعر من الطاعون الّذي أخذ أبناءه؟ أم من الدّهر الّذي فجعه دون مقدِّمات؟ فأصبح بالنسبة له يُوحي بالتّشاؤم، فالشَّاعر انطلق من مقدِّمةٍ «تفترض المساواة التَّامّة للنَّاس الذين يعانون ويتعايشون في وقت واحد، إنَّ عالمه هو عالم كثرة سيكولوجيات ذات وجود موضوعي»[١٥]، فالشّاعر هنا يضع نفسه في موضعين، موضع المخاطِب في صدر البيت وموضع المخاطَب في عجزه، وبينهما مسافة تجعل المتلقي في ترقُّب الإجابة.

١٤ عز الدين النملي، ظواهر أسلوبية في الشعر الهذلي، نقد أدبين سلسلة بيت الآداب، المغرب، ط١، ٢٠١٢، ص ٦.

١٥ ميخائيل باختين، قضايا الفن الإبداعي عند ديستوفسكي، تر: جميل نصيف تكريتي، دار الشؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٦، ص٥٥.

وممّا سبق يمكننا القول أنّ الشّاعر الجاهلي لم يذكر الطّاعون بتسميته لكنّه أنشد شعور الفقد والحزن الذي خلّفهُ الطاعون، وهذا راجع لعدم وجود دين يلجأ إليه الشاعر فيواسي نفسه به.

٢-الوباء في الشِّعر الإسلاميّ

احتلّ الطّاعون مكانة خاصّة في الشّعر العربيّ فترة صدر الإسلام بوصفه فاجعة إنسانيّة حلّت بهم، جعلت الإنسان بصفة عامّة في حيرة من أمره، بين الدّعاء والتّضرُّع والوقاية والاستشفاء، فتتبادر إلى ذهنه الكثير من التَّساؤلات الدِّينيّة التي تجعله ينظر إلى هذا الطَّاعون على أنّه أحد الأمرين؛ إمَّا ابتلاء وإمّا عذاب يصيب كلّ البشر دون استثناء، وكان العصر الإسلامي أكثر العصور التي عرفت كثرة الطّواعين، أوّلها:

1-طاعون عمواس (١٨هـ-٦٦٣م)

سُمّي هذا الطّاعون بعمواس نسبة إلى قرية عمواس بالشّام أو لأنّه عمّ النّاس، وكان في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، مات فيه قرابة خمسة وعشرون ألفا، من بينهم الكثير من الصّحابة[١٦]، وهو أوّل طاعون ظهر في الإسلام، فما كان من الشُّعراء إلّا أن يرثوا أمواتهم في طاعون عمواس، ومن بينهم الشَّاعر خشيش الكندي الذي قال:

رُبَّ خِرقٍ مِثلِ الهِلالِ وَبَيضَا لَعوبٍ بالجِزعِ مِن عَمواسِ
قَد لَقوا اللهَ غَيرَ باغٍ عَلَيهِم فأُحِلّوا بِغَيرِ دارِ أَساس
وَصَبَرنا حَقًّا كَما وَعَدَ اللهُ وَكُنّا في الصَبرِ قَومَ تآسِي[١٧]

يظهر جليّا في هذه الأبيات الألفاظ الدّينيّة (الله، غير باغٍ، وعد) التي تُوحي بانتقال الشّاعر من لغة الجاهليّة إلى ألفاظ مهذّبة، تظهر في القيم الإنسانيّة التي أمر الإسلام التّحلّي بها وهو لفظ الصّبر كذلك، ولعلّ هذه الألفاظ المواسيّة تحضّر الإنسان لطاعون ثانٍ وهو:

2-طاعون الجارف (٧٩هـ-٦٨٨م)

سمّي هذا الطّاعون بالجارف لأنّه جرف النّاس كالسّيل، وقد وقع بالبصرة أيّام عبد

١٦ ينظر، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ج١، ١٩٧٢، ص١٠٥.

١٧ تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، لبنان، ج٢، ١٩٩٦، ١٦٨.

الله بن الزّبير عام ٦٧هـ، كان شديدا على النّاس يصل عدد ضحاياه في اليوم إلى سبعين ألفا في اليوم[١٨]، و«لّما وقع الطاعون الجارف أطاف النّاس بالحسين، فقال: ما أحسن ما صنع بكم ربكم: أقلعَ مذنب وأنفق ممسك[١٩]«، وهذا لشدّة فتكه بالنّاس وفيه قال الشّاعر:

وَكُنْتُ أبَا سِتةٍ كَالبُــدورِ قدْ فقئُوا أعيُنَ الحَاسِدينَا

فَمرُّوا على حَادِثَات الزَّمانِ كَمرِّ الدراهِمِ بالنَّاقدينا

وحَسبُكَ من حَادثٍ بامْرئٍ يرَى حَاسِديهِ لَهُ رَاحِمينَا

يُرثي الشّاعر في هذه الأبيات أبناءه الستّة الذين شبّههم بالبدور، ولحسنهم الظاهر فقعوا أعين الحساد، وبدل أن يقول الطّاعون كنّاهُ بحادثات الزّمان، وبدل أن يذكر أبناءهُ شبّههم بقطع النّقود التي تمرّ بيد الإنسان عند حسابها، فلمّا حان وقت حسابهم ذهبوا، فما وجد عزاءه إلاّ في حاسديه لمّا ترحموا على أبنائهِ.

وقالت السلكة في رثاء ابنها السليك الذي فرّ من الطّاعون:

طافَ يَبغي نجوةً من هلاكٍ فَهَلَك

لَيت شِعْرِي ضلّةً أيّ شيءٍ قَتَلـك

أَمريض لم تُعَد أم عدوٌّ خَتَـلَك

أَم تولّى بكَ ما غال في الدهرِ السُّلَك

وَالمَنايــَا رصدٌ لِلفَتى حَيثُ سَلَك[٢٠]

تلجأ الشّاعرة في رثائها للحكمة التي تغذي الشّاعر صبرا، وحكمتها أنّ الموت الذي فرّ منه ابنها على أنّه الطاعون سيلاقيه حتما بغيره، فلا مفرّ منها.

٣-طاعون الفتيات والأشراف(٨٧هـ-٧٠٥م)

سمّي بطاعون الأشراف لأنّهُ أصاب الفتيات والعذارى في ذلك الوقت، وأكثر من قضى نحبه فيه من الأشراف، كان في شوال عام ٨٧هـ[٢١]، وقد قال فيه الشّاعر:

---

١٨ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ج١، ١٩٧٢، ص١٠٦.

١٩ ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص١٤٣.

٢٠ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص١٤٣.

٢١ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ج١، ص١٠٥.

مَنْ يَنزِلِ الشَّامَ ويُعْرِسْ بهِ فالشَّـــام إنْ لم يُفنِنَا كَاربُ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فُرْسَانهُم عِشْرُونَ لَمْ يُعْصَبْ لَهُمْ شَارِبُ
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلُهُمْ مِنْ مِثْلِ هَذَا يَعْجَبُ العَاجِبُ
طَعْنٌ وَطَاعُونٌ منَايَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الكَاتِـــبُ[٢٢]

يعبّر الشّاعر عن الوباء الذي حلّ بالشّام وأودى بخيرة شبابهم، وذلك حين ذكر فرسانهم والفارس يكون في ريعان الشّباب، ولم يحلّ بهم الطاعون وحدهم بل طعن والطعن هنا يدلّ على الحروب.

٤-طاعون مسلم بن قتيبة(١٣١هـ-٧٤٨م)

وقع هذا الطّاعون في العراق عام ١٣١ هـ، وسمّي باسم ابن قتيبة لأنّهُ أوّل من استشهد بهذا الوباء، وابن قتيبة هو مؤلف كتاب الشّعر والشُّعراء، وفي هذا الطَّاعون رثاء لشبل بن معبد البجلي يُرثي أهل بيته لما قضى عليهم الطاعون بالعراق وهو بعيد عنهم:

أقولُ لأصْحَابِي وقدْ قذَفتْ بنَا نَوَى غُرْبةٍ عَمَّنْ نُحبّ شُطُوب
متَى العهد بالأهل الّذين تركتهم لهم من فؤادي بالعراق نصيب
وَهَلْ تركَ الطَّاعُون لي مِنْ قرابةٍ إليهِ إذا كَانْ الإيَّاب أؤوب؟[٢٣]

كما أنّ الغربة فعلت فعلتها بنن حلّ بهم الطّاعون، ها هو الشّاعر يبكي غربته عن أهله التي كان سببها الطّاعون، وممّا كان متعارفًا عليه لو حلّ الطاعون ببلد ما خرج منه أحد وما دخل عليه أحد.

لعلّ الملامح التي اتّسم بها شعر الطَّاعون في عصر الإسلام تضمينهُ للألفاظ الدِّينيّة، ولكن ما لم نلمسه في المنجز الشِّعري في صدر الإسلام الذي قيل في الطّاعون خلوه من التّعليمات التي ما جاء بها النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلم من توجيهات[٢٤] قبل أكثر من ١٤٠٠

٢٢ ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار التراث، لبنان، ج٤، ص٥٥.
٢٣ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٢٣٠.
٢٤ ما أوصت به منظمة الصّحة العالمية عام ٢٠٢٠ من التدابير الوقائية والإجراءات الاحترازية ليس جديدا وإنّما كان متواجدا في العصر الإسلامي، إنّ ما جاءت به منظمة الصحة العالمية من توصيات في مجال النظافة وطرق وقائية جاء به نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من ١٤٠٠ عام كعادة عند المسلم والتي تهدف إلى الحدّ من التعرض للأمراض ونقلها، فقد جاء في منظمة الصحة العالمية مايلي: غسل اليدين بالصابون والماء أو فرك اليدين بمطهر كحولي، تغطية الفم والأنف بقناع طبي أو منديل أو ثني الكوع عند السعال أو العطس، طهي الطعام جيدًا، وبالأخص اللحوم، وهو ما استشهدت

عام وهذه التّعليمات تنصّ عليها منظّمة الصّحة العالميّة اليوم في زمن وباء كورونا أو كوفيد-١٩ من حجر صحي ونظافة.

-الوباء في الشِّعر الأموي

عرف الشّعر في العصر الأموي ما يسمّى بشعر النقائض ولعلّ أبرز شعرائه الشَّاعر الأخطل(٦٤٠هـ-٧١٠م) الذي اقترنت بعض أغراض الشّعر عندهُ بالطاعون حين فخره بنفسهِ بالطّاعون فقال:

إِنْ تَكُ زِقَّ زامِلَةٍ فَإِنّــي أَنا الطَّاعُونُ لَيسَ لَهُ شِفاءُ
أَنا المَوتُ الَّذي حُدِّثتَ عَنهُ فَلَيسَ لِهارِبٍ مِنهُ نَجَــاءُ[٢٥]

يجعل الشّاعر نفسه مكان الطاعون كنوعٍ من الفخر الذّاتي، وهذا الشعر يدخل في باب شعر النقائض الذي كان بينه وبين جرير، فكثيرا ما كانوا يفخرون بأنفسهم، وما هذا الفخر إلاّ لترهيب الطّرف الثّاني، وكثرت هذه النقائض في العصر الأموي.

وينظِّم السيوطي في رسالته أبياتًا مبينًا حيرة الملأ من هذا الوباء:

أظنُّ النَّاسَ بالآثامِ بَاءُوا فَكانَ جَزاؤُهُم هَذا الوَباءُ
أآجَالُ الورَى مُتقارباتٌ بِهذا الفصْل أمْ فسَدَ الهواءُ؟
أم الأفلاك أوجبتِ اتِّصَالًا بهِ فِي النَّاس قدْ عَاثَ الفناءُ؟

به المجلة الأمريكيّة «نيوز ويك» من أحاديث النبي محمّد في هذا السياق وذكرت قوله: «إذا سمعتم بالطّاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» وهذا يعني التزام الحجر الصّحي، وذكرت المجلّة أنّ النبي محمّد حثّ على النّظافة في قوله: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتّى يغسلها ثلاثا، فإنّه لا يدري أين باتت يده» وقوله «بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده» وترجمت حديثا له يقول: «تداووا، فإنّ الله عز وجل لم يضع داء إلاَّ وضع له دواء، إلاّ الهرم»، ومنه يمكن الاستنتاج أنّ ما أوصت به منظمة الصّحة العالمية في العالم الغربي كان متوجدا في العالم الإسلامي كعادة يومية وليس كإجراء احترازي يذّكر به وقت حلول الأوبئة منذ آلاف السنين. ينظر، مجلة أمريكية تستشهد بتعاليم النبي محمد لمواجهة كورونا نيوزويك» أوردت أحاديث له، صلى الله عليه وسلم، حول النظافة وما نسميه في يومنا «الحجر الصحي» لمواجهة الأمراض والأوبئة، ينظر، https://arabi21.com, Muhammad replied: “Tie your camel first, then put your trust Dr. Craig Considine (@CraigCons) March 18, 2020 in God

٢٥ الأخطل، الديوان، تصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ص١٩.

أمْ اسْتِعدادُ أمزِجةٍ جفَاهَا جميلُ الطَّبع واختلفَ الغذاءُ؟[٢٦]

يرى الشّاعر أنّ الوباء جزاء لكثرة آثام النّاس وذنوبهم، وفي نفس الوقت يتساءل عن الموت القادم وعن فساد الهواء والغذاء، كأنّه ينبئ بجلهِ لمصدر الوباء.

٤-الوباء في الشِّعر العباسي

لم يعرف العصر العباسي حلول الأوبئة بل عرف ثراء وتنوعا في مجالاته، لذلك لم نجد لها أثرا في شعر الشَّعراء، «فقد كانت الطواعين تقع كثيرا فتصير تواريخ، كطاعون عَمواس، وطاعون العذارى، وطاعون الأشراف وغيرها، ولما ملك بنو العباس رفع الله ببركتهم الطّواعين والموتان (موت يقع في الماشية) الجارف عن بني آدم، فإنَّها كانت تحصد فيهم حصداً[٢٧]، وفي ذلك يقول العُماني للرشيد:

قد أذهبَ الله رماح الجنِّ وأذهبَ التَّعليق والتَّجني[٢٨]

وكانت العرب تُطلق على الطّاعون رماح الجنّ التي تصيب الإنسان، لأنّه يجهل مصدرها، وهنا يبلغ الشاعر ذهاب الوباء في العصر العباسي.

٥-الطاعون في الشّعر المملوكي

عادت الأوبئة والطّواعين في المنجز الشِّعري في العصر المملوكي، فقد تعرضّت بلاد الشّام في عصر دولة المماليك الأولى عام(٧٤٨هـ-١٣٤٧م) لطاعون اجتاح معظم مناطق بلاد الشَّام ومصر وأوروبا ولشدّة فتكهِ وسعة انتشاره أطلق عليه اسم «الفناء الكبير» أو «الطاعون الأعظم»[٢٩]، وممّا يروى في هذا العصر أن جفّ نهر النيل فلم يكن هناك زرع للفلاّحين، فحلّت المجاعة وانتشر الوباء وكثر عدد الموتى، وازداد بشكل مروّع لم يسبق لهُ مثيل[٣٠]، فما كان من الشَّعراء إلّا التأريخ لهذا الوباء ومن الشّعراء الذين فاضت قرائحهم الشاعر ابن الوردي الذي توفي في الطّاعون سنة ٧٤٩هـ وعبّر عن فساد الهوى في قوله:

---

٢٦ , المكتبة الإسلامية، ص٤٥٦. الطاعون وخز إخوانكم من الجن https://islamweb.net/ar/library/

٢٧ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أوب الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٧٠

٢٨ الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٢، ج٦، ١٩٦٧، ص٢١٩.

٢٩ ينظر، ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ص١١٤.

٣٠ ينظر، بكري الشيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار العلم للملايين، دمشق، ط٦، ١٩٨٦، ص٤٦.

قالُوا فسَادُ الهَواءِ يُردِي فَقُلتُ يُرْدِي هوَى الفَسَادِ
كم سيِّئاتٍ وَكمْ خطَايَا نَادَى علَيْكُم بِهَا المُنَادِي[٣١]

يعيب الشّاعر على من تقوّل بفساد الهواء المستنشق الذي يأتي منهُ الطاعون، ويذكّرهم بفساد أخلاقهم، لأنّ الثانية هي حصيلة الأولى، ففي اعتقاد الأمم ما حلّ وباء إلاّ بمعاصي، ويردف ذلك في الشّطر الثاني الذي يفصح فيه عن ابتعادهم عن دينهم.

وقال أيضا لمّا فرح أهل السّيس لبلائهم بالطَّواعين:

سُكانُ سِيس يسرُّهم مَا سَاءنَا وكَذا العوائد مِنْ عَدوِّ الدِّينِ
الله يَنقلهُ إليهِم عَـــاجِلاً ليمزّق الطاعُون بالطَّاعُون[٣٢]

وقيل:

بَطِشتَ يَا مَوتُ فِي دِمَشْق وَفِي بيتِهَا أشدُّ بَطش
وَكمْ بَنَات بِهَـــــا دُورا كَانَتْ فصَارتْ بِنْت نَعْش[٣٣]

وممّا يلاحظ أنّ الوباء في العصر المملوكي اصطبغ بصبغة دينية، فقد لجأ أغلب الشُّعراء إلى الأدعية للتّخفيف من وطأة الطّاعون، وهو ما نجده لدى الشّاعر محمد بن فارس العشاري (1737 – 1780م) وهو يتضرّع لله:

وَعاملهم بِالعَفو وَارحم شُيوخَهُم وَأَطفالهم فَالشَيخ قَد آب وَالطفل
وَبـــــاء وَطاعون وَما ثم مَلجأ سِواكَ وَأَنتَ الراحم الحكم العَدل[٣٤]

يحمل الشّاعر رسالة التضرّعُ للمولى، لأنّ الوباء والطاعون قد أنهكَ الشيوخ والأطفال، وذكرهم مسبقا لضعفهم، وفي باب آخر يأتي المديح في قول بن داود الموصلي الآثاري:

وَللمَدِينَة لمَّا قام بِهَـــا حِصْنٌ وَأَمْنٌ مِن الآفَاتِ والنَّدمِ

٣١ ابن الوردي، الديوان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العلميّة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص٩٠.
٣٢ ابن الوردي، الديوان، ص٩٠.
٣٣ الغزي نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ج١، بيروت، ١٩٩٧، ص١٨٩.
٣٤ الهواري غزالي، الطاعون: الحياة في موت مشاهدة، قراءة في الشعر العربي القديم، https://www.nizwa.com ١٨ يوليو ٢٠٢٠.

وَلَم يَكُن يَدْخل الدَّجَال سَاحتَهَا ولا يَمرُّ بهَا الطَّاعُون فِي النّسم[٣٥]

يعدّ العصر المملوكي (١٢٥٠-١٥١٧م) أكثر العصور فتكًا بالطواعين، أُبتلِي فيه العرب بكثرة الطواعين المتوالية، حيثُ امتدَّ من مصر إلى الشّام ووصل إلى قارات أخرى، وسمّي بطاعون الموت الأسود، وبسنة الفناء، ويعتقد أنَّ هذا الوباء إنَّما حلَّ بسبب ما خلَّفته الحروب من عدد القتلى، فاختلطت الدّماء والجيف بالهواء والماء، وهذا ما يجلبُ الوباء للبشر، قضى على مائة مليون شخص عبر العالم، فما كان من الشّاعر بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي (١٣١٠-١٣٧٧م) إلاّ التعبير عنه بقوله:

إنَّ هَذا الطَّاعون يَفتِك فِي العَا لَمِ فَتْكَ امْرِئ ظَلُوم حَسُودِ

ويَطُوفُ البِلاد شَرْقاً وَغَرباً وَيَسُوقُ الخلوق نحْوَ اللُّحُودِ[٣٦]

يصوّر الشّاعر الطّاعون على أنّهُ إنسان حسود يقتل بحسده العالم، وينثر هنا وهناك في كلّ بقاع الأرض، لا يترك البشر حتّى يسوقهم للتراب، وقال المنصور يومًا لأبي بكر بن عيّاش: من بركتنا أن رُفع عنكم الطاعون، فقال: لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون[٣٧]

٦-الطاعون في الشّعر الأندلسي

عرف هذا العصر نشاطًا تجاريًّا جعل الوباء ينتقل من مكان لمكان، «وقد اختلف في مبدإ هذا الحادث من أين ابتدأ ظهوره، فذكر لي الثِّقة عن تجّار النّصارى القادمين علينا بالمريّة أنّ ابتداءه كان ببلاد الخَادِ وبلاد الخَادِ بلسان العجم هي بلاد الصّين، على ما تلقّيته عن بعضِ الواردين من أهل سمرقند»[٣٨]، وأكثر الأوبئة تنتقل عبر التّجار بصفتهم رحّالة.

٧-الوباء في الشِّعر الحديث والمعاصر

عرف العصر الحديث ظهور عدّة أوبئة اختلفت مصادرها وتسمياتها وحروف التّعبير عنها، فالشّعراء في كلّ عصرٍ من العصور لسان حال المجتمع، فحتّى هذا العصر عرف تحوّلا جذريا في الشعر فأصبح ما يسمّى بالشعر الحرّ وشعر التّفعيلة، «يؤكّد

٣٥ الموقع نفسهُ.

٣٦ ابن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج١، ص١٦٧.

٣٧ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٦٣.

٣٨ مخطوطات ومطبوعات، ص٣٦٠.

الشَّاعر محمّد الفوز أنّ كورونا حدثٌ فجائعي كالطّاعون الذي حلّ بأوروبا وأصبح مادة لغويّة وأدبية، مشيرا إلى تأثير الكوليرا وغيره من الأمراض القاتلة في النّص الشّعري، إلاّ أنّ الأدب المتجاوز يتحمل مسؤولية الكتابة بأسلوب إبداعي وتأويل الحدث إلى مناطق غير دارجة في النص أيّاً كان شعرياً أم سرديا»[٣٩]ليخلق من ذلك فسحة التّأمل في الكتابة الشعرية لمثل هذه الحوادث.

قال الشّاعر ابن الوردي:

يَا أيُّهَا الطَّاعُونُ إنَّ حُمَاةَ مِنْ خَيْرِ البلادِ ومِنْ أعزِّ حُصُونِها
لاَ كُنتَ حِينَ شَمَمْتَها فسمَمْتَها ولثمْتَ فَاهَا آخذاً بِقرُونِهَا[٤٠]

وقال أيضا:

مَاذا الذِي يَصْنعُ الطّاعُون فِي بَلدٍ فِي كُلِّ يَومٍ لهُ بالظلمِ طَاعُون[٤١]

وقال أيضا:

الله أكْبَرُ مِنْ وباءٍ قدْ سَبَا وَيصُولُ فِي العُقلاَءِ كَالمَجنُونِ
سَنَّتْ أَسِنَّتهُ لِكُلِّ مَدِينةٍ فَعَجِبْتُ للْمَكرُوهِ فِي المَسْنُونِ[٤٢]

كلّ بيت من الأبيات السّابقة يلتقي في مصطلح واحد وهو الطاعون ويختلف في وصفه، فالأوّل ينادي على الطاعون في حين أنّ هو من ينادي على البشر بأخذهم، والثاني يصف الطاعون بالظالم والثالث يكبّر وما التّكبير لهول ما يصاب به الإنسان، حتّى أنّه شبّه الطاعون بالمجنون الذي يصيب العقلاء.

-الطَّاعون في الشعر الحرّ

تصوُّر قصيدة الكوليرا للشّاعرة العراقيّة نازك الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧) مناظر الحزن وطعم الصّمت، والمعاناة التي حلّت بمصر عام ١٩٤٧ لمّا كانت مستعمرة بريطانيّة، واعتبر الوباء هو الأكبر من نوعهِ في مصر خلال القرن العشرين فتقول:سكَنَ اللَّيلُ/أصْغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ/ فى عُمْق الظلمةِ، تحْتَ الصَّمتِ، على الأمواتْ

٣٩ https://www.okaz.com.sa/culture/na الجمعة ٢٠ مارس ٢٠٢٠ ٠٢:٥٦ «كورونا» يقتحم القصيدة.. وشاعر يصف كتّاب الأزمات بـ«النظّامين»

٤٠ ابن الوردي، الديوان، ص٨٨.

٤١ المرجع نفسه، ص ن.

٤٢ ابن الوردي، الديوان، ص٨٩.

صَرخَاتٌ تعْلُو، تضطَربُ/حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ/يتعثَّر فيهِ صَدى الآهات/فى كلِّ فؤادٍ غليانُ

فى الكوخِ الساكنِ أحزانُ/فى كلِّ مكانٍ روحٌ تصرخُ فى الظُّلُماتْ/فى كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ/ المَوتُ المَوْتُ الموتْ/يا حُزْنَ النّيلِ الصَّارخِ مما فعلَ الموتْ

طَلَع الفجر/أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ/في شَخْصِ الكُوليرا القاسِي يَنتقمُ المَوتْ [٤٣]

وتستحضر الشّاعرة في قصيدتها صورا مختلفة السواد فمن الصمت الرهيب إلى صمت آخر مع حفّار القبور الذي لا يفتر عن عمله في زمن الوباء، وتسمُ الدّاء بسمة بشرية إذ تقول: الدار الشّرير، وتلجأ لمعجم دلالي مليء بالحزن والظلام والصّمت.

وتصف الشّاعرة فدوى طوقان الطاعون لمّا انتشر في مدينتها:

يَوْمَ فشا الطَّاعُون في مَدِينَتي
خرَجت لِلْعَراء
مَفتُوحَة الصَّدرِ إلى السَّمَاء
أهتفُ من قرارةِ الأحزانِ بالرّياح:
هُبّي وسُوقِي نحونَا السِّحاب يَا رياح، وَأنزلِي الأمْطَار [٤٤]

تعبّر الشّاعرة عن تجربتها مع الطّاعون الذي حلّ بمدينتها فنشر فيها الحزن، فيدعو الرّياح لتسوق السّحاب وتذهب الطاعون.

وباء كورونا في المنجز العربي(٢٠٢٠)

لعلَّ جائحة كورونا التي حلّت بالعالم ٢٠٢٠ اقتضت بالضّرورة فرض الحجر الصحي على الجميع فكانت فرصة لانتعاش الكتابة الشّعرية عبر النّدوات الافتراضيّة ومواقع التّواصل الاجتماعي، خصوصا أنّ الشاعر يعيش الحدث بكلّ حذافيره، إلاّ أنّ الفرق بين الكتابات السّابقة التي كانت وصفيّة تنشد في أغلبها رثاءً، أمّا في زمن كورونا فالقصائد تضمّنت توجيهات ونصائح للعامّة نشرت عبر المواقع الالكترونيّة ونجد هذا في قصيدة الشّاعر التونسي عبد العزيز الهمامي في قوله:

فَلْتدخلْ بيتَكَ لَوْ تسْمحْ

٤٣ نازك الملائكة، الديوان، دار العودة، بيروت، ج٢، ١٩٨٧، ص١٤٨

٤٤ فدوى طوقان، الديوان، دار الفارس، عمّان، ط١، ١٩٩٣، ص٣٧٢.

العالَم مَوْبُوءٌ

وهَوَاءُ الشّارِعِ يَجْرَحْ

المَنْزِلُ وَرْدتك الأُولَى

وَمَكَانُكَ فِي الغُرْفَةِ أَوْضَحْ[٤٥]

يستهلّ الشاعر أبياته بفعل الأمر الموجه للآخر، ونلمس توظيفه لجملة استعملها العالم بأكمله عربا وغربا «الزم بيتك»، ولعلّ هذا التّوظيف هو الأقرب في جملة التلقي في زمن الكورونا.

وممَّا لا حظه الشاعر خلو المساجد من المصلِّين وخلو مكة من المعتمرين والحجاج، جَعَل الشاعر العراقي عمر عناز يرى غير ما يرى الناس، فيقول:

خلاَ مِنْ زائريهِ البيتُ، قالُوا

فقلتُ: أراهُ مُزدَحِمَ الفِناءِ

فسِيحًا، غادَرَتهُ الناسُ كيما

تَطُوفُ بهِ مَلائكةُ السَّمَاءِ[٤٦]

وهذا ما عالجه الشّاعر السُّوداني بحر الدين عبد الله في قصيدة له يقول في مطلعها:

هَذا الإنسانُ الآليُّ/سيقتل حُلْمَ الفيروساتِ/ويهزمُ بالحُبِّ/سُلالاتِ الكوفيدْ/ هذا الإنسان

الآليُّ/سيكفرُ بالكمامات/ويُؤمنُ بالنَّغمِ النُّورانيِّ/وأمصال التوحيدْ/هذا الإنسان الآليُّ

سيشربُ من كفِّ الله/وحُبِّ اللهِ/نشيدا نورانيّاً[٤٧]

ختمنا بأبيات الشّاعر السّوداني التّفاؤليّة التي تنبئ الإنسان بذهاب الوباء، كونه سيهزم هذا الوباء المسمّى كوفيد-١٩، ويرمي هذه الكِمامات التي فرضت عليه، وهذه

٤٥ https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٥/٩/٢٠٢٠, في الشعر والرواية والمقال.. هكذا تسلل كورونا إلى دفاتر الأدباء

٤٦ الموقع نفسه.

٤٧ . https://www.aljazeera news/cultureandart/٣/٤/٢٠٢٠/كيف-تسللت-الكورونا-إلى-دفاتر-الشعراء

الرؤيا الأقرب إلى عامّة النّاس.

خاتمة

- -إنّ مقاربة الطَّاعون والوباء في المنجز العربي سواء أكان قديما أم حديثا ليكشف لنا عن ظاهرة الأوبئة التي عرفها الإنسان منذ القديم وكيف تعامل معها، فمن وجهة نظر تقليدية، فقد رأى فيه لعنة وتطهيرا من الذُّنوب، ورأى فيه فاجعة ورأى فيه راحة، حتّى هذه المفارقات التي تواجدت في المنجز الشّعري العربي تكشف عن متناقضات الحياة في كلّ عصر من العصور.
- -تسميّة الوباء أو الطاعون نسبة للبلد الذي ظهر فيه هو تقليد تاريخي لا يزال متواصلاً، ففي القديم اصطلح عليه بالطّاعون، وحديثا بالوباء، فوباء كورونا أو كوفيد-١٩ هو تسميّة من بلد مصدر الوباء الصّين.
- -التباين التعريفي فيما يخصّ الطاعون الذي يعدّ داءً معروفا لدى البشر، أمّا الوباء فهو غير معروف المصدر حسب الشعراء مع أنّه علميا معروف المصدر.
- -أكثر الطّواعين التي حلّت بالعصور كانت في العصر الإسلامي والعصر المملوكي الذي عرف انتقال الطّاعون بسبب التُّجار والعلاقات التجارية التي كانت تربطهم بالجيران
- -أخذ الطاعون بعدا وجوديا في الكتابة الشعريّة ارتبط أكثر بالمشاعر والتّعبير عنها تعبيرا مقتضبًا.
- لقد كان الرثاء أكثر الأغراض توظيفا في زمن الطواعين والأوبئة، فالشاعر العربي رثى نفسه وأهله وبلده.
- -إنّ الأشعار التي وصفت الوباء وصفًا واضحًا كانت غير مطولة، وإنّنا وصفت بالقصار، كما أنّها اختصرت على ذكر تسمياته دون وصفهِ وصفًا دقيقًا.
- -امتلاك الشُّعراء قدرة خاصَّة للتّعبير عن الأوبئة، بحيث تلخص ما يشعر به جميع البشر في قصيدة واحدة يشعر بها الجميع كأنّها كتبت لكلّ واحد فيهم، فكلّما قرأها شخص واستشعرها يقول كأنّها كتبت لي.
- -هناك من نظر للطاعون نظرة فلسفية مشابهة لما يقوله أرسطو حين استعمل مصطلح التطهير، لأنّه رأى أنّه تطهير من الذّنوب.

- -مشاهدة الشعراء لضحايا الوباء والطاعون جعله يخرج كلّ مشاعره وإحساسه في قصائد شعريّة أرّخ فيها مراحله وعصوره.

التّوصيات(الاستشر افات)

خرجنا بجملة من التّوصيات أهمّها:

- التأريخ للأوبئة بكلّ أزمنتها في الشعر الذي كان يعدّ ديوان العرب ولا يزال يفرض هيمنته.
- الاهتمام بتوثيق المنجز الشِّعري العربي الذي قيل بصفة خاصّة عن الأوبئة في مجلّد خاص حتّى يتسنّى للباحثين الوصول إليها بسهولة.
- توثيق المنجز الشعري الذي قيل في زمن جائحة كورونا في ديوان تحت مسمّى ديوان جائحة كورونا على أساس جعل الشعر العمودي لوحده وشعر التفعيلة لوحده وقصيدة النثر لوحده.
- إقامة ملتقيات شعرية عبر الأنترنت حول جائحة كورونا وتدوينها في كتاب الكتروني.
- تحقيق بعض المخطوطات التي تحتوي على شعر الأوبئة.

المصادر والمراجع

١- أحمد الزّين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥.

٢- الأخطل، الديوان، تصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.

٣- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.

٤- بكري الشيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، دار العلم للملايين، دمشق، ط٦، ١٩٨٦.

٥- الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أوب الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

٦- الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٢، ج٦، ١٩٦٧.

٧- حسان شمسي باشا، رعب الصدور القادم من الصين، مجلة العربي، الكويت، ع ٥٣٦، يوليو،٢٠٠٣.

٨- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣.

٩- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، لبنان، ج٢، ١٩٩٦.

١٠- العسقلاني بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، د.ط، د.ت.

١١- عز الدين النملي، ظواهر أسلوبية في الشعر الهذلي، نقد أدبين سلسلة بيت الآداب، المغرب، ط١، ٢٠١٢.

١٢- علي عزيز صالح، شعرية النّص عند الجواهري، الإيقاع والمضمون واللّغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١١.

١٣- الغزي نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ج١، بيروت، ١٩٩٧.

١٤- فدوى طوقان، الديوان، دار الفارس، عمّان، ط١، ١٩٩٣.

١٥- ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ط ع ن)، دار صادر، بيروت.

١٦- ميخائيل باختين، قضايا الفن الإبداعي عند ديستوفسكي، تر: جميل نصيف تكريتي، دار الشؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٦.

١٧-نصير بهجت فاضل، الطواعين في صدر الإسلام، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، ع٢، مج ٦، ٢٠١١.

١٨-النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ج١، ١٩٧٢.

١٩-أبو ذؤيب الهذلي، الديوان، تح: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث، بور سعيد، ط١، ٢٠١٤.

المو اقع الإلكترونيّة

- ٢٠ Encyclopaedia Britanica,VIII-٢٠-٢١, plagne.الموسوعة البريطانيّة،
- https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠٢٠/٩/٥,
- في الشِّعر والرواية والمقال، هكذا تسلل كورونا إلى دفاتر الأدباء.
- https://arabi٢١-com , Muhammad replied: "Tie your camel first, then put your trust in.٢٢ God ,Dr. Craig Considine (@CraigCons) March ١٨, ٢٠٢٠.
- www.alukah.net-٢٣
- هدية مجمع اللغة العربيّة بالتعاون مع شبكة الألوكة، مخطوطات ومطبوعات
- https://www.okaz.com.sa/culture/na-٢٤
- الجمعة ٢٠ مارس ٢٠٢٠ ٢:٥٦ . كورونا يقتحم القصيدة وشاعر يصف كتّاب الأزمات بـ«النظّامين».

علم اللغة واللسانيات

اللسانيات الحاسوبية
مفهومها وتاريخها وأهم منجزاتها

عبد الرقيب كتاب الدين
جامعة البنغال الغربية لتدريب المعلمين وتخطيط وإدارة التعليم ، كولكاتا ، غرب البنغال

مقدمة

إن اللسانيات منذ بدايتها لا زالت تشهد تطورات وقفزات علمية كبيرة، تجسَّدَت في انفتاحها على علوم عديدة، منها علم الاجتماع، وعلم النفس، والهندسة والحاسوب؛ مما أدى إلى تنوع فروعها، ومنها أساسًا من اللسانيات الحاسوبية التي تمثل الربط بين اللغة والحاسوب، وللإحاطة بهذا الفرع من اللسانيات التطبيقية، لا بد من معرفته، والوقوف عند تطوراته ومنجزاته.

علم اللسانيات الحاسوبية، الذي يُعد اليوم من أبرز العلوم اللغوية، التي ظهرت في العصر الحديث يتكون هذا العلم من عنصرين أساسيين :

أولهما اللسانيات، وهو العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها، سواء أكانت مكتوبة منطوقة أم منطوقة فحسب.

وثانيهما الحاسوبية، ويقصد بها، توظيف الحاسوب، بما يحتويه من إمكانات رياضية خارقة، وسعة تخزينية هائلة، في خدمة اللغة.

اللسانيات الحاسوبية وتحديد مصطلاحاتها

نرى أن تعريف اللسانيات الحاسوبية ما يزال غير مستقر ويعود ذلك لتعدد ترجمات المصطلح بالأصل و نجد مصطلحات عديدة تستخدم لها وهي كما يلي

أ- اللسانيات الحاسوبية

ب - اللسانيات المعلومية

ج - علم اللغة الحاسوبي

فأما اللسانيات الحاسوبية فهي ترجمة للمصطلح الإنكليزي ((Computational linguistcsk وأما اللسانيات المعلومية فهي ترجمة للمصطلح الفرنسي linguistque informatique وعلم اللغة يرادف مصطلح اللسانيات في استخدام اللسانيين.

وخلاصة القول من الواجبات على الباحثين اللسانيين والمؤسسات المهتمة بهذا المجال اصطفاء مصطلح واحد لاستخدامه في الدراسات والبحوث لتكامل الجهود البحثية في هذا المجال والوصول إلى نتائج قيمة دون إعادة الجهود المبذولة من الآخرين .

وصلنا بعد دراسة المصطلاحات المستخدمة في هذا البحث إلي أن مصطلح اللسانيات الحاسوبية هو الأكثر شيوعاً في الإستخمدام وملائمة لها فعلينا أن نستخدم مصطلح " اللسانيات الحاسوبية " فحسب .

تعريفات اللسانيات الحاسوبية ومفهومها

اللسانيات الحاسوبية يصعب إعطاء تعريف جامع وشامل لها، لكن يمكن أن يجمع بينها هو أنها "دراسة علمية للغة الطبيعية من منظور حاسوبي، وهذه الدراسة لا يمكن أن تتم إلا ببناء برامج حاسوبية لأنظمة اللغات البشرية من خلال تقييس ومحاكاة نظام عمل الدماغ البشري لنظم عمل الحاسب الآلي"[١]

وهناك مَن يعرّفها بأكثر من ذلك، فريقا من الباحثين يرى بأن اللسانيات الحاسوبية هي تصميم وتطبيق لتقنيات العمليات الرياضية الخوارزمية بهدف تحليل اللغات البشرية وتركيبها، وهي في ذلك متصلة باللسانيات العامة تستمد منها المفاهيم الأساسية حول اللغة وكيفية اشتغالها ويذهب الآخرون إلى اعتبارها "الدراسة العلمية للنظام اللغوي في سائر مستوياته بمنظار حاسوبي، ويتجلى هدفها في تطبيق النماذج الحاسوبية على

١ (٢) توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية – لعمر مهديوي الجزء الأول، إشراف عبدالغني أبو العزم، جامعة الحسن الثاني - عين الشق - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء، شعبة اللغة العربية وآدابها - وحدة علوم اللغة العربية والمعجميات، ص. ١٧.

الملَكة اللغوية".[٢]

مما تقدم أن مصطلح "اللسانيات الحاسوبية" هو مصطلح عام يشمل كل تلك المجاالت المتقدمة والتي تتداخل فيها اللسانيات بعلوم الحاسوب حيث يتناول فيها الباحثون موضوعات لغوية باستخدام الحاسوب، مهما اختلفت المناهج والمقدمات والتوجهات العلمية بين هندسية يطغى عليها التوجه آللي التقني وبين معرفية يشيع فيها إنشاء النماذج الحاسوبية، سواء في جانبها النظري أو من خالل تطبيقاته المتعددة.

وبالتالي يختلف الباحثون في تحديد مناهج اللسانيات الحاسوبية تحديدا واضحا، ولعل ذلك راجع إلى تجاربهم ومشاربهم العلمية؛ فإن كان الجميع متفقون على أن هذا العلم يعالج المواد اللغوية في الآلات الإلكترونية.

القول الراجح عندي في تعريف اللسانيات الحاسوبية

والذي نختارة هو التعريف الآتي " هو فرع من علم اللسانيات يبحث في الطرق والوسائل ويضع القواعد التي تساعد في جعل الآلة قادرة علي معالجة اللغات البشرية بجميع مستوياتها حتي الوصول إلي نظام حاسوبي يضاهي القدرة البشرية في معالجة اللغة " .

تاريخ اللسانيات الحاسوبية

من المعلوم أن هذا الجهاز المسمَّى "كمبيوتر" Computer "الحاسوب" الذي استطاع أن يجعل حياة الإنسان أسهل من أي وقت مضى بما يتمتع به من قدرة خارقة، وسرعة فائقة، بل إنه أصبح يحل مكان الإنسان في كثير من المواقع من خلال الذكاء الاصطناعي على سبيل المثال لا الحصر، قد ظهر فيما نعلم في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، وعلى وجه التحديد عام ١٩٤٨م، وأصبح استعمالُه والتعاملُ معه منذ ذلك الوقت، مُمكناً ومَيْسوراً على تفاوت في ذلك، وفي كثير من مجالات الحياة العلمية منها، والإنسانية.

وأمااستعمال هذا الجهاز لأغراضِ البحث اللغوي و في دراسة اللغة على مستوى العالم قد بدأ في الغرب، وعلى وجه التحديد في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك في

٢ المرجع والصفحة نفسهما، عن نهاد الموسى، اللغة العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. ١، ٢٠٠٠، ص. ٥٣.)

بداية الخَمْسينيات من القرن العشرين يعني عام ١٩٥٤م في مجال الترجمة الآلية ، ثم انتقل الأمرُ بعد ذلك إلى أوروبا. وكانت المحاولاتُ الأولى لاستخدام هذا الجهاز في دراسة اللغة قد تمت في العام ١٩٦١م في إحدى الجامعات السويدية ولكنها كانت محاولاتٍ متواضعةً، وذاتَ طابعٍ محليّ.

أما العرب فقد كانت العلوم الشرعية أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنيات الحاسوب ونظم المعلومات إذ بدأ ذلك في سبعينيات القرن العشرين وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب و البحث اللغوي العربي مع الدكتور إبراهيم أنيس حينما فاتحه الطبيب محمد كامل حسن متسائلا عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتر في البحوث اللغوية الأمر الذي لاقى قبولاً عنده وانتهز الدكتور أنيس عمله في جامعة الكويت عام ١٩٧١ م حيث التقى بالدكتور علي حلمي موسى أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة الكويت وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاء الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية فرحب بهذه الفكرة واستحسنها وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام ١٩٧١ وكان ثمرة ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح للجوهري ت٣٢٤

أهم منجزات اللسانيات الحاسوبية ومجالات اشتغالها

من المعلوم أن اللسانيات الحاسوبية (Computational linguistics) تسمى أيضاً علوم اللغة الحاسوبية وهي علوم حديثة تستخدم الحواسيب في تحويل النصوص، والمعلومات اللغوية إلى لغات الحاسب الرقمية لتحليلها، وترجمتها للغات أخرى، وتطوير نماذج اختبار للعمليات اللغوية. في هدا العلم تشارك اللسانيات في المساعدة على فهم خصائص المعطيات اللغوية وكذلك تقديم نظريات تفيد في كيفية بناء اللغة واستعمالها. من اهم الخدمات التي يقدمها علم اللغة الحاسبي هي المشاركة في تقديم نظريات وتقنيات تمكن من وضع برامج حاسوبية تساعد على فهم اللغة الطبيعية.

يستخدم اللسانيون برامج الكومبيوتر في تحرير وحفظ واستعادة البيانات والمعلومات والنصوص بأساليب متعددة، وتأسيس القواميس والمعاجم اللغوية الرقمية، وفهرسة النصوص المختلفة أبجدياً بأكثر من طريقة، وساهم تطور العلوم الرقمية خلال السنوات الأخيرة في ظهور آليات جديدة تماماً في المجالات اللغوية منهاكما يلي

١. تقنية التعرف البصري على النصوص (OCR) حيث تتعرف أجهزة الحاسب على

أشكال الوحدات اللغوية الأساسية، والوحدات اللغوية المركبة وتحولها إلى لغة رقمية (نص إلكتروني) يُمكن تحريره وتعديله.

٢. القواميس الإلكترونية وهي عبارة عن قواعد بيانات ضخمة تضم كل المفردات اللغوية للغتين أو أكثر.

٣. الترجمة الإلكترونية وهذه حققت نجاحاً كبيراً في ترجمة النصوص بين لغات العائلة اللغوية الواحدة، ونجاحاً محدوداً مازال تحت التطوير في ترجمة لغات لا تنتمي لنفس العائلة.

٤. تقنية التعرف الصوتي وتستخدم الحاسبات في تحويل الأصوات إلى نصوص وكذلك تحويل النصوص إلى أصوات ونطقها

مما لا شك في أن تطبيق اللسانيات الحاسوبية خلَّف منجزات قيِّمة في عدة مجالات ، مِن أهمها ما يلي:

(أولا) التوثيق

ويُعرَف بأنه "شكل من أشكال العمل الببليوغرافي الذي يستخدم وسائل متعددة؛ كالكشافات والمستخلصات والمقالات الببليوغرافية، إضافة إلى الوسائل والطرق التقليدية الأخرى؛ كالتصنيف والفهرسة؛ وذلك لجَعْل المعلومات سهلةَ المنال، والوصول إليها سهلًا أيضًا"[٣]

ويُتوخى من التوثيق معالجة الوثائق والمعلومات الواردة بها بشكل يسهِّل على الباحث ولوجها، واستدعاءها عن طريق التجميع والاستخلاص والنشر، وذلك كالتصنيف الأتوماتيكي للملفات، والمؤلفات تبعًا لفهارسها أو مؤلفيها أو مواضيعها، وعليه فإن "البرامج اللسانية الحاسوبية ترمي إلى توثيق المعلومات التي ترِدُ على الذهن البشري .[٤]

(ثانيا) صناعة المعجم الإلكتروني وتطوير العمل المصطلحي

يتطلَّب بناء المعجم الإلكتروني صياغة المصطلحات وتعميم استعمالها ونشرها

---

٣ اللسانيات الحاسوبية مفهومها وتطوراتها ومجالات تطبيقاتها لبلقاسم اليوبي نقلًا عن برجس عزام ص ٥٠.

٤ توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية – لعمر مهديوي ص. ٢١

وتداولها، إلا أن هذا الصنف من المعاجم يلم إلمامًا كبيرًا بجميع مستويات اللغة.

ويشترط في المعجم الإلكتروني "أن يكون شاملًا وعامًّا؛ لأن البرنامج اللساني المُعَدَّ للمعالجة الآلية لا ينبغي أن يفشل في العثور على أية معلومة كيفما كان نوعها وكيفما اتفق لأن أي خطأ في المعلومات المدخَلة من شأنه أن يتسرب إلى باقي مفردات الجملة، أو قل: النص برمته ، ومن ثمة يعرقل عملية اشتغال البرنامج[٥]

وما بعدها كما يشترط في المعلومات أن تكون في المعجم الإلكتروني واضحة موائمة للمداخل المعجمية المراد معالجتها آليًّا، ومِن هنا يظهر توظيف واستغلال تقنيات المعلوميات في الأعمال التطبيقية لصناعة معاجم مصطلحية باعتماد برامج معينة.

كما تسعى اللسانيات الحاسوبية إلى إنشاء بنوك للمصطلحات، انطلاقًا من تخزين المصطلحات مُرفَقة بمعلومات عن كل مصطلح مفرد، ستكون مساعدة للمترجمين والمحررين والمتعلمين، مع دعم الترجمة الآلية وبناء المعاجم المختصة، وتُخوِّل البنوك المصطلحية تخزين معطيات دقيقة عن كل مصطلح في ضوء نصوص موثقة، مع ذكر مقابلاته بلغات متعددة، وتوضيح مجالات استخدامه، وأساليب توظيفه، وكذا الإشارة إلى مرجعه، سواء كان معجمًا أو معهدًا علميًّا، أو نصًّا، أو وثيقة.

ثالثًا: الترجمة الآلية

تقتضي الترجمة الآلية نقل النصوص والأعمال والأبحاث من اللغات الأصلية المصدر إلى اللغات الفرعية الهدف، وتعد اللغة الإنجليزية اللغة الطبيعية الأولى التي خضعت لهذه العملية، ويتجلى موضوع الترجمة في "تحليل النص الأصلي ونقل عناصره من اللغة التي سيترجم إليها، ثم توليد هذا النص اعتمادًا على التحليل والنقل[٦] ، بهذا القول تكون الترجمة هدفها بناء نظرية في النقل (نقل المحتوى) من لغة (أ) إلى لغة (ب) مع مراعاة خصوصيات النقل التي تفرضها اللغة المستهدفة.

والحاسوب باعتباره أسَّ العملية يُزوِّد المستخدم بالترجمة المطلوبة إن كانت مسجلة في ذاكرته، لكن في حال غيابها فإنه يقترح عليه مقابلًا له؛ لذلك فالأمر يفرض

٥ توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية – لعمر مهديوي ص. ٩٠

٦ اللسانيات الحاسوبية مفهومها وتطوراتها ومجالات تطبيقاتها لبلقاسم اليوبي ص، ٥٢)

توفير المصطلحات والتراكيب المتقاربة، نظرًا لتعدُّد معاني ومقاصد الألفاظ في اللغات الطبيعية، خاصة اللغة العربية منها، التي تبقى ألفاظها مشروطة بالسياق الاستعمالي التداولي والتركيبي،

كما أن الترجمة الآلية رهينة "التدخل البشري المطلوب لتوضيب النص قبل ترجمته Pre - editing، أو تهذيبه بعد ترجمته Post - editing" [٧]، هكذا تكون الترجمة الآلية عبارة عن نص خام يحتاج إلى تقوية وتدعيم بشري من أجل تصفيته وترميم تراكيبه.

وعليه، فإن نجاحَ الترجمة الآلية الدقيقة والمطلوبة، رهين توفر خبرتين؛ الأولى: تتمثل في خبرة اللسانيّين العارفين باللغة أكثر من غيرهم في قواعدها؛ نحوًا ودلالة وتركيبًا وصرفًا، والثانية: تتجسَّد في خبرة الحاسوبيين المهتمين بالمجال المعلوماتي التقاني في تصميم برامج وأنظمة لتوصيف اللغات الطبيعية بشكل يتماشى ومتطلبات عصر التكنولوجيا والاتصالات، من أجل مواكبة الحضارات العالمية المتقدمة في المجال اللغوي الآلي.

وتبقى الترجمة الآلية "وسيلة فعالة من وسائل توظيف المعرفة العلمية والتقنية في المجتمع العربي؛ لأن معظم المعرفة قد أُنتجت ونُشرت وحُفظت باللغة الإنجليزية، وللوصول إليها لا بد من تفعيل دور الترجمة ومؤسساتها، وبهذا فإن الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى العربية أو العكس تعتبر سبيلًا لسد الفجوة العلمية الناتجة عن تضخم الإنتاج العالمي الثقافي بالقياس إلى نظيره العربي. [٨]

رابعاً: إنتاج النصوص

يعتبر الإنسان كائنًا مفكرًا ومنتجًا في نفس الوقت، يُولِّد ويُطوِّر ويُعدِّل إبداعاته، وعملية التعديل هاته تحتاج إلى جهد ووقت؛ لذلك كانت الحاجة إلى وسيلة تعوِّض الإنسان وتقيه عناء المراجعة والتصفح لمرات كثيرة.

فكان الحاسب بمحاكاته لذهن البشر خيرَ بديل، معتمدًا في ذلك برامج وأنظمة تُمكنه من إعادة تصحيح ومراجعة النصوص، وتخزينها في ملفات مغلقة تُفتَح كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وبالتالي، فالحاسوب وفر إمكانية الإنتاج النصي المتعدد كالمراسلات،

٧ العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة لعلي نبيل- الكويت - العدد، ١٨٤، إبريل، ١٩٩٤، ص. ٣٥٩

٨ توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية – لعمر مهديوي ص. ٣٦

والدعوات، والتعليقات الصحفية، والإعلانات الإشهارية، وهلم جرًّا.

خامسًا: تعليم اللغات والتعريف بالثقافات

إن اللسانيات الحاسوبية علم تطبيقي، اهتمَّ بمجال أساس هو تعليم وتعلم اللغات والثقافات، وقد اعتمدت لتلك الغاية الحاسب، باعتباره من أهم الوسائط التي تمزج بين الصوت والصورة والكتابة، والهدف الأسمى من هذه العملية هو تجاوز الطرق التعليمية التقليدية القائمة على "التلقين والتحفيظ والتسميع؛ أسلوبًا أساسيًّا ورئيسيًّا في نقل المعرفة[٩]، وإيجاد طرق جديدة تمكن من استغلال قدرات الحاسب من لدن المستخدمين، الشيء الذي أدى إلى إعداد برامج حاسوبية تعليمية، تتماشى مع النظريات البيداغوجية والتعليمية الراهنة.

وقد أنجزت مجموعة من البرامج التعليمية الخاصة باللغة العربية، ولشركة صخر جهود في إعداد برامج لتعليم اللغة العربية، ومن تلك الأنظمة نذكر - على سبيل الذكر لا الحصر - ما يلي: برامج أ. ب. ث، ويماها yamaha، والمدقق الإملائي، وغيرها كثيرة.

كما حظي المجال الثقافي بنفس الأهمية من خلال إعداد مجموعة من البرامج والأنظمة التثقيفية، التي تسعى إلى تنمية الرصيد المعرفي الثقافي العربي، ومن تلك البرامج:

برنامج التاريخ الإسلامي، وبرنامج رحلة مكة، وبرنامج موسوعة الحديث النبوي الشريف، وبرنامج موسوعة القرآن الكريم، وهذا الأخير يُمكِّن المستخدم من معاينة النص القرآني بالرسم العثماني، مع الاستماع إلى التلاوة، بالإضافة إلى الوقوف على الأحكام، والقواعد القرآنية المُشار إليها غالبًا بالألوان المغايرة.

الخاتمة

إن اللسانيات الحاسوبية تهدف إلى استغلال التقنيات التي يقدمها الحاسب لمعالجة اللغة العربية وهندستها استجابة لتطورات العصر نظرًا لخصوصيتها الصوريةالجاهزية ، وأمر المعالجة يتطلب معرفتين

٩ اللسانيات وتعليم اللغة للسيد محمود أحمد الطبعة الأولى دار المعارف للطباعة والنشر , سوسة – تونس ص. ١٣٧

الأولى: لسانية تلمُّ بكل التفاصيل الدقيقة للنظام اللغوي،

والثانية: حاسوبية تضع برامج وفق قواعد خوارزمية وصورية

لقد شهدت اللسانيات الحاسوبية العربية تطورات ملحوظة وصارت خدمة اللغة العربية هدفا أساسيا ومهما من أهداف معالجة العربية آليا ولما وجد العرب كغيرهم من الأقوام في اللسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها سلاحا مهما في مواجهة هيمنة الإنجليزية بدأوا في هذا علي صعيدين

الأول – استخدام العربية في تصميم الحاسوب بتعريب البرامج ولوحة المفاتيح والطباعة العربية بل تجاوزوا ذلك إلي ابتكار لغات برمجة عربية وتصميم حواسيب خاصة تتعامل مع العربية علي التعيين[١٠]

الثاني : النشر الإلكتروني باللغة العربية .

مع ذلك اللغة العربية تعاني اليوم مشكلة بسبب تأخر أصحابها عن مواكبة التطور الرقمي والتقني , ليس قصور هنا من قبل اللغة ولا الضعف فيها إنما التقصير والمشكلة تأتي من أهلها في خدمتها.

واللغة العربية متأخرة جدا من حوسبة اللغة تعني جعل الحاسوب قادرا علي معالجة اللغة إفرادا وتركيبا وممارسة التدقيق الإملائي والنحوي عليها فعلى سبيل المثال

أنت عندما تفعل التدقيق النحوي والإملائي في برنامج تحرير النصوص " وورد " مثلا فإنه لا يطبق أيا من القواعد المعروفة في الإملاء والنحو إنما يعرض الكلمة علي القاموس الذي زود به وخزن في الملفات الخاصة بالبرنامج لذلك لا يفرق بين كلمة" المسلمين" و " المسلمون "

لأن كلا الكلمتين موجودة في القاموس وتجده يخطئك عندما تكتب " سألتكما " لأن قاموسه فيه الفعل " سأل " وبعض مشتقاته وحالات اتصاله ببعض الضمائر لذلك لا ينتفع بهذه الخدمة كتاب العربية علي النحو الذي ينتفع به كتاب غيرها من اللغات .

١٠ اللغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات لمحمد أحمد ضمن كتاب: استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦، ص: ١٣٣.)

التوصيات (الإستشر افات)

إن التطور التكنولوجي الذي لا يتوقف بل تزداد سرعته يوما بعد يوم يضاعف التحدي أمام الأكاديميين في هذه الأمة لإيجاد وسائل تواكب ظاهرة التسريع التي وسمت هذا العصر واللسانيات الحاسوبية وسيلة مهمة جدا في الاستجابة الحضارية لمستجدات وماتزال بحاجة إلي جهود كبيرة لتنميتها وتوظيفها في خدمة اللغة العربية وأهلها وعلومها .

وكذلك من أهم الواجبات على خدام اللغة العربية والمختصين بها في هذا الوقت العمل تجاوز العقبات والصعوبات التي تعيق حوسبة اللغة العربية وذلك بوضع حد للفكر المتصلب الجاهلي وابتكار الأساليب المساعدة في الحوسبة والملائمة لخصائص العربية .

المصادر والمراجع

١ - اللسانيات وتعليم اللغة للسيد، محمود أحمد ، الطبعة الأولى، دار المعارف للطباعة والنشر، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة، العدد، ٩، سوسة - تونس.

٢ - العرب وعصر المعلومات لعلي نبيل سلسلة عالم المعرفة - الكويت - العدد، ١٨٤، إبريل، ١٩٩٤.

٣ - اللسانيات الحاسوبية مفهومها و تطوراتها ومجالات تطبيقاتها لبلقاسم اليوبي ، (استشراف آفاق جديدة لخدمة اللغة العربية وثقافتها)، مجلة مكناسة، العدد ١٢.

٤ – اللسانيات الحاسوبية العربية – المنهج والإطار – للدكتور وحدان محمد صالح كنالي – بحث قدم في المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية المنعقد في ٣٠ جمادي الثاني ١٤٣٤ م بدبي.

٥ – اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة للدكتور رضا بابا أحمد – جامعة تلمسان – الجزائر .

٦ - العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية لنهاد الموسى

٧ - توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية – لعمر مهديوي الجزء الأول، إشراف عبدالغني أبو العزم، جامعة الحسن الثاني - عين الشق - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء.

٨ – توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية للدكتور عبد الرحمان بن حسن العارف – مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – عدد ٧٣ – ٢٠٠٧ . فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية للدكتور ديدوح عمر – مجلة الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح

الجزائر – عدد ٨ – ٢٠٠٩ .

٩ – الشبكة العالمية (الإنترنيت) .

المعالجة الآلية للغة العربية من منظور اللسانيات الحاسوبية: مظاهر النشأة والتطور وبنية العلاقة

علي العظيمي
جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب

المقدمة

تمثل حوسبة اللغة العربية سمة حداثية، ورهانا أساسيا في سبيل تعليم اللغة وتعلمها بشكل تفاعلي، وباقتصاد مهم، وبكلفة زمنية سريعة سواء عن قرب أم عن بعد. وتشكل كذلك خيطا رابطا ومتصلا بين حقلين يكمل بعضهما البعض، تحكم بينهما تواشجات وتداخلات تلازمية واقتضائية، هما: حقل اللسانيات بمختلف مستوياتها النظرية (الصواتية، الصرفية والتركيبية، والمعجمية، والدلالية...)، ثم حقل الحوسبة (علم الحاسوب) ببرامجها وتطبيقاتها المتنوعة. ويصنف هذا التكامل العلمي في إطار تخصص تطبيقي يصطلح عليه "اللسانيات الحاسوبية" (Computational linguistics)، أحدث فروع اللسانيات التطبيقية التي تسعى جاهدة وراء تحقيق نظم حاسوبية لفهم طبيعة مستويات اللغة ومحاكاتها آليا وتحليل كل جوانبها الأساسية من خلال صورنتها رياضيا بناء على مبدأ التقييس (Standardization) والمحاكاة (Imitation).

هناك من يفضل تسمية أخرى بدل مصطلح اللسانيات الحاسوبية، مثل مصطلح علوم اللغة الحاسوبية، وهي علوم حديثة تستخدم الحواسيب في تحويل النصوص والمعلومات اللغوية إلى لغات الحاسب الرقمية لتحليلها، وترجمتها للغات أخرى[١]. ومن أهم مجالات اللسانيات الحاسوبية ومنجزاتها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر المعالجة الآلية للغات الطبيعية.

١ علي نبيل: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية): مؤسسة تعريب، دون طبعة، الكويت، ١٩٨٨، ص. ١

المحور الأول: تعريف المعالجة الآلية

إن معالجة اللغة، وخاصة اللغة العربية باستخدام الحاسوب، هو عمل عسير لأنه من جهة الهندسة يحتاج إلى التفكير في وضع برامج خاصة لمستويات اللغة، ومن جهة اللسانيات كعلم حديث ينصرف إلى إعادة وصف اللغة وتفسير ظواهرها وفق منهج علمي دقيق، وذلك بتحليل مستوياتها المختلفة وإعادة توصيفها، حتى يحصل يسر تطويعها، وتحقق هدف التعليم والتعلم عن بعد عبر تقنيات التواصل الرقمي.

يتركب مصطلح «المعالجة الآلية» من كلمتين اثنتين هما: أولا كلمة «معالجة» الذي يقابلها بالإنجليزية عبارة (processing) فتأخذ بذلك معنى شاملا يغطي مستويات المعرفة الإنسانية قاطبة، ولعل أصل تسميتها العام يعود إلى مجال الطب ويقصد بها المزاولة أو الممارسة والشفاء والتدواي بعد معاناة الصراع مع علة ما، وهي مصدر مشتق من الفعل عالج يعالج معالجة، عالج الشيء أي داواه، "وعالَجَ الشيءَ معالجة وعلاجاً: زاوله... وعالج المريضَ معالجة وعلاجاً: عاناه. والْمُعَالِجُ: الْمُداوي سواء عالجَ جريحاً أو عليلاً أو دابة."[٢] ونرى أن كلمة "معالجة" قد انتقلت إلى الميدان المعرفي وثقافة علم الحاسوب ليكتسب معنى تقنيا أكثر تحديدا ودقة يزاوج ما بين ممارسة النظرية وتطبيق النظرية وتفعيلها آليا، فأصبح يحيط بكل الجوانب المتعلقة بالمشكلات الحاسوبية وعلى رأسها اللغة بمختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية...

وبهذا المعنى، يقصد بالمعالجة «التطبيقات الآلية على مجموعة من نصوص اللغة، وذلك بتحويلها، وبتغييرها، وإبداع شيء جديد اعتمادا عليها، ويتم ذلك باستعمال تقنيات وأدوات من علوم اللسانيات، والإعلام الآلي، النمذجة modélisation.»[٣]

ثم كلمة «آلية» (mechanism) ويعنى بها «تلك العمليات الآلية التي تنجز عن طريق الآلة، والتي تقابلها العمليات التي تجري بواسطة الإنسان، والحاسوب هو الآلة التي تستعمل في معالجة اللغة، الذي اخترع لإجراء العمليات الحسابية.»[٤]

---

٢ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، مادة: (علج)، ٢/ ٣٢٧

٣ بن نافلة يوسف: المعالجة الالية وهندستها للمدونات اللغوية في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، الجزء الثاني، ٢٠١٨ ص. ٩

٤ المرجع نفسه، ص. ٩

ورد في التعريف السابق لمصطلح الآلة عبارتي «إنسان Human / حاسوب computer» الذي يفهم من خلالهما أن الحاسوب له القدرة على تقييس ومحاكاة كل ما باستطاعة دماغ الإنسان أن ينجزه من معرفة لغوية. فالإنسان كما هو معلوم لدى عموم علماء اللسانيات وخبراء علم الأعصاب، مزود بملكة لغوية بيولوجية تجعله يفكر ويركب الكلمات بعضها ببعض، ومزود أيضا بكفاية لغوية ذهنية تمكنه من أن يولد عددا لا نهائيا من الجمل ذات الأدوار الدلالية المختلفة باختلاف السياق الذي وردت فيه. فالدماغ البشري لديه قدرة متميزة تتمثل في حس الابداعية اللغوية، حيث تجعله يتكيف مع جميع الظواهر التركيبية المسيقة [٥] فيدرك فحواها بشكل واع. أما الحاسوب، فلا يملك تلك الخصوصية النوعية والقدرة الحساسة للسياق المتوفرة لدى الدماغ البشري، فهو يقوم فقط بعملية تنفيذ طلبيات البحث الأوتوماتيكي بناء على البرنامج أو النظام الذي صمم له سابقا، فلماذا يتحدث البعض [٦] عن واقع محاكاة الحاسوب للذهن البشري؟ ولماذا طغى مصطلح الذكاء الاصطناعي في مجال العلوم والتقنيات اللغوية؟ أحقا يوجد ذكاء اصطناعي يقترح بموجبه حلولا لمشاكل اللغة ما دام عقل الانسان نفسه منتجا لهذا الذكاء، وما دامت اللغة كذلك كائنة في ذهنه؟

وغايتنا من هذه الأسئلة ليس توجيه النقد لصاحب الطرح، وإنما هي فقط مناقشة ظريفة نفهم على أساسها مفهوم الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة الطبيعية آليا، بحيث يمثل أحد رهانات علم الحاسوب، والذي يهدف بدوره إلى تقديم نماذج محوسبة للإدراك البشري.

صحيح أن للحاسوب قدرة هائلة تفوق إمكانات الذهن البشري متمثلة في السرعة الفائقة في تنفيذ العمليات الحسابية، وأيضا تخزين كمية كبيرة من المعلومات وتنظيمها واسترجاعها في أقل من ثانية واحدة، لكن هذا لا يعني أن الحاسوب ذكي، فالذكاء ذو بعد طبيعي مميز، أما الحاسوب هو آلة مزودة «بصمامات سلكية مصطنعة» [٧] و«معالج

٥ مسيقة: ذات سياق تركيبي.

٦ نقصد هنا فكرة د. نبيل علي الذي يدعم فكرة محاكاة الحاسوب لذهن الانسان وطريقة نمطية تفكيره في وصف اللغة الطبيعية، إنه يطمح في مشروع كتابه (اللغة العربية والحاسوب) إلى «تطوير حاسوب «لغوي» في بنيته ونظمه وتطبيقاته، حاسوب ذكي قادر على التعامل اللغوي، تحليلا وتركيبا، يميز الكلام المنطوق ويولده، ويحلل النصوص ويؤلفها، منطقي ذي قدرة على توصيف المشاكل وحلها، والتأكد من صحة المعطيات، واستخلاص النتائج، والمقارنة بين بدائل القرارات واقتراح الحلول.» أنظر: نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، ص. ٤.

٧ الصمامات transistors: «هي موصلات حرارية، قليلة الاستهلاك، عالية الاعتمادية.» أنظر: [الموقت

إلكتروني micro processor « [٨] و«ذاكرة أنصاف الموصلات semiconductor memory » [٩] تسمح للمبرمج أن يصمم برامج تتفاعل تقنيا مع الجمل، وبإمكانها حوسبة كل الأنطولوجيات النحوية الخاضعة لضوابط اللبس الصرفي والنحوي والدلالي والمعجمي، حتى يتحدد لها تلك الكفاية اللغوية المصطنعة [١٠]، وهذا من بين أهداف اللسانيات الحاسوبية التي تؤسس لنفسها جانبا دراسيا ينبني على فرعين أساسيين هما: فرع نظري، وآخر تطبيقي أو عملي؛ أما الفرع النظري «فيبحث في طبيعة الإطار وعمقه؛ وحيثيات دراسته وأسباب اختياره، حين يمكننا من أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحل بعض المشكلات اللغوية أو على الأقل محاكاة ما يقوم به الدماغ البشري.» [١١] . بينما يهم الفرع التطبيقي «كل العمليات الخوارزمية، سواء أكانت رياضية أم خطية أم رمزية... فإنها في مجملها تُعد مجموعة من القواعد والوسائط المنظمة بطريقة معينة تنطلق من البسيط إلى المعقد ومن المعقد إلى الأعقد.» [١٢]

حمادي: اللغة العربية وإشكال التواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبية، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط. ٢، غشت ٢٠١٧، ص٢٠]

٨ المعالج الإلكتروني micro processor:» هو دارة متكاملة بقوة كبيرة؛ حيث تحتل كل مستويات المعالجة المركزية، بالإضافة إلى المنطق والحساب، التي يتكون منهما جوهر الحاسوب.» أنظر: (الموقت حمادي: اللغة العربية وإشكال التواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبية (المرجع السابق)، ص. ٢٠

٩ ذاكرة أنصاف الموصلات semiconductor memory: «هي العنصر الذي يقوم بعملية استكمال كل «المكونات المطلوبة بتوفيره احتياجات الحاسوب من الذاكرة التي تختزن المعطيات والنتائج.» أنظر: (المرجع نفسه، ص. ٢٠) أو بتعبير آخر:»إنه الذاكرة المكوَّنة من مركبات إلكترونية تسمح للحاسوب من أن يختزن المعطيات المنجزة أو التي سيتم إنجازها» أنظر: (المرجع نفسه: ص. ٢٠-٢١، نقلا عن: ادوارد فايجبنوم وباميلاماك كوردك، (الجيل الخامس: الذكاء الصناعي والتحدي الياباني للعالم)، عرض وتحليل: ميرفت غيت، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث المجلد ١٨، أكتوبر، نونبر، دجنبر، ١٩٨٧، ص. ٢٦٨.

١٠ يأخذ مفهوم الكفاية اللغوية للحاسوب هنا نفس المعنى الضمني لمفهوم تشومسكي للكفاية اللغوية الطبيعية، التي تضم كل المستويات النظرية: الصوتية، الصرفية، والتركيبية، والدلالية، والمعجمية. ومؤدى هذا أن علماء اللسانيات الحاسوبية يحاولون قدر الإمكان بأن يحقق الحاسوب قدرة لغوية تشبه إلى حد ما قدرة الدماغ البشري.

١١ الموقت حمادي: اللغة العربية وإشكال التواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبية، (مرجع سابق)،ص. ٢١

١٢ المرجع نفسه، ص. ٢٢، نقلا عن مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص.٤

وتأسيسا على ما سبق، فإن المعالجة الآلية تتخذ شكلا هندسيا يتجلى في معالجة مشكلات توليد الكلمات آليا، وتحليل النصوص تحليلا خوارزميا انطلاقا من العمليات المتسلسلة والمتصلة منطقيا، فتضم مدخلات input، وقواعد بيانات [١٣] تستهدف عمليات تدقيق معالجة المعلومات process informations والمخرجات output، وهذا ما يعبر عنه الشكل (١):

المدخلات input

معالجة المعلومات process informations: قواعد البيانات: المعالج الصرفي، والمعالج التركيبي، المعالج الدلالي، والمعالج المعجمي، والمعالج الصوتي

المخرجات output

شكل (١): العمليات الخوارزمية الكبرى التي تعبرها المعالجة الآلية للغة الطبيعية

المحور الثاني: المعالجة الآلية ومنحى تطوير العربية

إن المعالجة الآلية كتفعيل إجرائي ترمي إلى دراسة أنواع القضايا الحاسوبية وبرامجها المختلفة، والمشاكل والمعيقات المنوطة باللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، وذلك بشكل تقني ومرن يستهدف الشكل الرياضي الجبري والهندسي. فاللغة التي لا تندمج مع تكنولوجيا المعلوميات المتطورة ولا تتفاعل معها، تعد لغة هشة ومضمحلة تعوز عن مواكبة الجيل الرقمي الجديد. وباعتبار اللغة رمز للعلم والتعلم والفكر والتاريخ والحضارة والهوية والثقافة، فإنها تعرب بأقصى جهد ممكن عن قوة مبناها ومعناها عبر تطور ألفاظها وأصواتها منذ أن خلق الانسان على هذه الأرض وشهامة اللغة ووشم عبقريتها حاضرة في كل زمان ومكان، يقول تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ [١٤]. إن هذه الصفة العبقرية أسهمت في خضوع اللغة إلى تغيرات بنيوية جعلتها ترتبط ارتباطا وثيقا بعصر العولمة والتكنولوجيا الحديثة. وفي الوقت الذي اخترع فيه

---

١٣ يقصد بقواعد البيانات «مجموعة من الملفات ذات الصلة ببعضها، ففي قاعدة بيانات معجمية، على سبيل المثال، يمكن أن تكون هناك عدة ملفات مترابطة مع بعضها مثل: ملف الجذور، ملف الصيغ الصرفية، ملف قواعد تكوين الكلمات، ملف قواعد الإبدال والإعلال، وهلم جرا.» (أنظر: نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ٩٣

١٤ سورة البقرة: [الآية: ٣١]

أول حاسوب إبان فجر خمسينيات القرن العشرين، وتحديدا (١٩٤٨م.) [١٥] واللغة في مسار تطوري واضح وناجع حتى أصبح الباحثون المتخصصون يفكرون في الارتقاء باللغة انطلاقا من البحث عن مدى علميتها، وخوارزمية خصائصها، وهندسة ذراتها، وحوسبتها في إطار معالجة مستوياتها الطبيعية آليا.

هذا من منظور اللغة العام في ارتباطها بالعالم الرقمي، أما منظورها الخاص فيكمن في السؤل التالي: ما حظ اللغة العربية من صفة العبقرية والمعالجة الآلية؟ وكيف ساهمت محللات مستويات اللسانيات العربية الآلية في ظهور قواعد بيانات سانحة لأن تطبق على برامج الحاسوب وعتاده؟ وكيف ارتبطت مستوياتها المتنوعة بنظام الحاسوب؟

المبحث الأول: مراحل دخول اللسانيات العربية في عصر الرقمنة الجديدة

تتبوأ اللغة العربية مكانة مرموقة بين مختلف اللغات السامية، وتعد لغة اشتقاقية تصنف ضمن أذكى اللغات وأعقدها نطقا وكتابة، فكانت وما تزال تحتفظ بتلك الخصوبة في جميع جوانبها ومستوياتها الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية والصوتية والتداولية، التي تجعلها تحظى بقيمة علمية من قبل الدارسين والمتخصصين في شتى المجالات الإنسانية والمعرفية والعلمية والتكنولوجية حتى صار منطقها الرياضي الحالي قابلا للتوصيف[١٦] وللمعالجة الآلية، والحوسبة الرقمية الحديثة، يقول نبيل علي: «لقد وصفت "العربية" بكونها لغة "جبرية" وذلك لشدة انتظام كثير من خواصها الصرفية والإعرابية والصوتية، وكذلك للصلة الوثيقة بين مبانيها ومعانيها، ويؤكد هذا قابليتها لاختزالية التقعيد، وسيطرة المعالجة الآلية.» [١٧] بل إن «نسقها الصرفي غير خطي أو غير سلسلي، بالنظر إلى عدد من التصريفات. فجمع «دار»، مثلا «دور» أو «ديار»،

---

١٥ بن نافلة يوسف: المعالجة الالية وهندستها للمدونات اللغوية في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، الجزء الثاني٢٠١٨، ص. ١٤

١٦ يعبر مصطلح «توصيف» عن المعرفة اللغوية باستخدام تقنية الحاسوب أما مصطلح «وصف» فيأخذ دلالة لسانية محضة، فهو إحدى الوظائف التي تنوي اللسانيات الحديثة تحقيقها إلى جانبي التفسير والاستدلال المنطقيين. أو كما قال طارق المالكي: «هناك فرق بين الوصف والتوصيف والأصل في ذلك هو متلقي العمل فإذا كان المتلقي هو الإنسان نسمي العملية بالوصف أما إذا كان الحاسوب هو الذي سيتلقى العمل فالمصطلح المناسب لهذه العملية هو التوصيف.» أنظر: [المالكي طارق: أنطولوجيا حاسوبية للنحو العربي نحو توصيف منطقي ولساني حديث للغة العربية، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ط. ١، ٢٠١٠، ص.١٠]

١٧ علي نبيل(١٩٨٨): اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، مرجع سابق، ص. ١٣٧

وليس هناك إمكان للجمع، خطياً بين جذع «دار» وصرفية أخرى تدل على الجمع، لأن الجمع «يكسر» بنية المفرد، أي إنه لا يقبل افتراض وجود حركة في المفرد تثبت في مصدر الاشتقاق، وتنضاف إليها حركات وصوامت أخرى خطيا.» [١٨]

يتميز صرف اللغة العربية بصنف تركيبي (syntactic) أو دمجي (fusional) [١٩]؛ فقد وردت محاولات جادة في سبيل ارتباط اللغة العربية بعتاد الحاسوب ومعالجة خصائصها آليا، باحثة عن إيجاد حلول ملائمة تتجاوز اللحن الإملائي الذي تحدثه التغييرات الطارئة على ظاهرة إلصاق الحروف العربية وكشف اللبس الصرف - تركيبي في عملية إدماج الكلمات بعضها ببعض، فعبرت آنذاك مراحل جد مختلفة -في انتظار الكثير من البحث والتطوير- نجملها فيما يلي [٢٠]:

- المرحلة الأولى: كان معهد التخطيط القومي في مصر أول مؤسسة عربية تقتني حاسوبا إلكترونيا، وذلك عام ١٩٦٢، أي بعد ١٤ سنة تقريبا من ظهور أول حاسوب إلكتروني، اقتصر الأمر في البداية -فيما يخص التعريب- على طباعة الكتابة العربية (كطباعة الأسماء، والعناوين، وما شابه)، وذلك بإحلال الحروف العربية محل الحروف الإنجليزية.

- المرحلة الثانية: شهد عام ١٩٧٣ أول نقلة نوعية في معالجة اللغة العربية آليا، وذلك عندما نجح دكتور "سيد حيدر" الأستاذ بجامعة مونتريال والباكستاني الأصل، في تصميم نظام آلي لاختيار شكل الحرف العربي تلقائيا (أوتوماتيا) حسب الحرف السابق عليه والحرف اللاحق له (فحرف العين مثلا له أربعة أشكال: ع، عـ، ـعـ، ـع تحدد حسب موقعه من الكلمة) وبذلك اختصرت لوحة المفاتيح العربية لتشمل الحروف الأصلية فقط (مثل: ع، ك، س)، وأحيلت إلى الآلة مهمة اختيار الشكل المناسب للحرف وفقا للسياق الذي يرد به داخل الكلمة العربية. مكن هذا دخول "العربية" في التطبيقات التقليدية كنظم معالجة (تنسيق) الكلمات العربية وثنائية اللغة، وتطوير ملحقات (طابعات ونهايات ذات شاشة مرئية) عربية، وكذلك تخزين المعلومات العربية بصورة فعالة على الأقراص الممغنطة، علاوة على إمكانية تبادل البيانات العربية من خلال شبكات التلكس ونقل البيانات.

١٨ الفاسي الفهري عبد القادر: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط. ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٠ص. ٣٩

١٩ الفاسي الفهري: البناء الموازي (مرجع سابق)، ص. ٣٨

٢٠ أنظر: علي نبيل: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ١٧٩- ١٨٠- ١٨١ (بتصرف)

المرحلة الثالثة: شهدت المرحلة من ١٩٧٣ حتى ١٩٨٠ سلسلة من التطبيقات النمطية المهمة، مثل:

- استخدام «العربية» في نظم قواعد البيانات واسترجاع المعلومات
- ظهور لغات برمجة عربية، مثل «البيسك» و «اللوغو» العربيتين
- عدة محاولات لتوليد الكلام العربي آليا
- باكورة أول صناعة عربية في مجال البرامج التعليمية التي ركزت على تعليم «اللغة العربية» بالحاسوب
- محاولة جزئية لتطوير محللات صرفية ذات إمكانات محدودة
- الاتفاق - بعد عشر سنوات من المناقشات والمحاولات- على الشفرة الموحدة لتبادل البيانات.

- المرحلة الرابعة: حدثت النقلة النوعية الثانية في منتصف عام ١٩٨٥، وجاءت هذه المرة على مستوى الكلمة بعد أن كانت النقلة النوعية الأولى على مستوى الحرف. وذلك بنجاح إدارة البحوث والتطوير في شركة «العالمية» للبرامج بتطوير أول معالج (محلل ومولد) صرفي متكامل ومتعدد الأطوار، قادر على التعامل مع الأطوار المختلفة للكتابة العربية (المشكولة كليا أو جزئيا، وغير المشكولة)، وبدأت بذلك مرحلة جادة لمعالجة اللغة العربية آليا. بتوفر هذا المعالج الصرفي صار بالإمكان دخول «العربية» في نظم آلية متقدمة، مثل:

- ميكنة المعاجم العربية
- تحليل النصوص (وقد استخدم فعلا في التحليل الصرفي للنص «القرآني» الكريم)
- اكتشاف وتصحيح الأخطاء الإملائية، وهو أحد المقومات الأساسية لنظم (معالجة) الكلمات.
- ضغط النصوص العربية بأسلوب صرفي، وذلك بتخزين الكلمات العربية في صورتها المحللة، أي في صورة الجذر والصيغة الصرفية، وبهذا أمكن استئصال قدر كبير من الفائض الصرفي، وهو ما ساعد على تقليص حيز التخزين، فعلى سبيل المثال أمكن تخزين النص القرآني الكريم، فيما يوازي -تقريبا- ثلث الحيز اللازم لتخزين نفس النص بصورته الأصلية.
- تطوير أسلوب استرجاع المعلومات العربية باستغلال خاصيتها الصرفية، فقد اعتبر المعالج الصرفي كقلب لنظام متكامل لتنظيم قواعد المعلومات المصدرية التي تتعامل

مع النصوص الكاملة للوثائق، وقد طبق الأسلوب المبتكر فعلا في استرجاع آيات «القرآن الكريم»، والذي مكن من البحث داخل النصوص باستخدام الكلمات كما ترد داخل النص، أو باستخدام عناصر بنيتها الصرفية (الجذر، الصيغة الصرفية...)، وقد أكسب ذلك نظام استرجاع المعلومات مرونة عالية.

المبحث الثاني: اللسانيون العرب والمعالجة الآلية

ثمة جهود بالمغرب تنادي بالنهوض بالعربية ومعالجة مستوياتها آليا، من خلال تطويع برامجها الخاصة لتعليم خواصها المتنوعة لأبنائها ولغير أبنائها، وإحداث مؤسسات وفرق بحث تضم متخصصين في مجال الهندسة اللغوية واللسانيات، أبرزها، إسهامات أعضاء «مكتب تنسيق التعريب بالرباط»، الذين يأخذون على عاتقهم مهمة كتابة أبحاث ودراسات لسانية عربية، وجمعها ضمن مجلة محكمة أطلق عليها اسم (اللسان العربي) [٢١]. وذلك من أجل الرقي بمستوياتها إلى مصاف اللغات الأجنبية، كالإنجليزية والفرنسية واليابانية وغيرها من اللغات الحية، التي احتكت بواقع الحاسوب، ووثقت معه صلة ترابطية ومتكاملة حتى استحال افتراق أحدهما عن الآخر. ومن أبرز هؤلاء، نذكر جهود كل من د. الفاسي الفهري، رائد النحو التوليدي في دراسة اللغة الطبيعية من منظور توليدي خالص. وكتابات أحمد المتوكل أحد مؤسسي النحو الوظيفي للقدرة التواصلية للغة بالمغرب، والعالم العربي قاطبة. وأيضا دراسات رائد اللسانيات الحاسوبية والهندسة اللغوية بالمغرب، د. محمد الحناش مدير مجلة التواصل اللساني [٢٢] حول المعرفة اللغوية

٢١ «ما يزيد على نصف قرن من العطاء العلمي في خدمة اللغة العربية منذ صدور العدد الأول سنة ١٩٦٤ تعد مجلة «اللسان العربي» مرجعا للمؤسسات الأكاديمية والهيئات اللغوية، ومنبرا لنشر أبحاث في مجلات لغوية ومصطلحية متنوعة تربو اليوم عى أربعة آلاف دراسة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية. وتكميلا للجهود المبذولة من طرف مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وبفضل الإسهامات العلمية الرصينة للباحثين، وبناء على توصيات المجلس العلمي الاستشاري للمكتب في دورته الثالثة المنعقدة على هامش مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة ٢٠٠٨، أصبحت دورية «اللسان العربي» مجلة محكمة.» [عن مجلة اللسان العربي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مكتب تنسيق التعريب – الرباط، مأخوذ من الموقع الالكتروني: www.arabization. /aspx. مجلة اللسان العربي org.ma، تاريخ دخول الموقع: ٢٠٢٠/٠٨/٢١.]

٢٢ مجلة التواصل اللساني: «مجلة دولية محكمة في اللسانيات العامة، تنشر الأبحاث العلمية المحكمة في مختلف فروع اللسانيات العامة، مع التركيز على مجال الهندسة اللسانية، وخاصة منها العربية. تنشر الأبحاث بثلاث لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية، وهي معترف بها في العديد من الجامعات في العالم، عربية وأجنبية.» [عن الموقع الالكتروني لمجلة التواصل اللساني: www. al-erfan.com/

المتعلقة باستخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات.

بالإضافة إلى مشاريع أخرى بالجامعات المغربية، نجد في جامعات جمهورية الجزائر مجموعة من الدراسات التي اهتمت بربط اللسانيات العربية بمجال المعالجة الآلية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي نادى به الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إطار حوسبة اللغة العربية ومعالجة نصوصها آليا، «وقد عرف المشروع باسم "الإنترنت العربي"، وهو في الأصل بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر).»[٢٣]

المحور الثالث: عوامل التقاء اللسانيات بالحاسوب

سنعرض في هذا المحور للعلاقة المركزية التي تجمع اللسانيات بالمعالجة الآلية، بكون الحاسوب وسيلة يُهيأ على أساسه الأرضية الملائمة لعملية معالجة اللغة خلال البحث عن خوارزميات ذات صياغة رياضية حتى يتسنى للحاسوب إدراك كل مراحل العمليات التي تعبرها هذه المعالجة، وفي هذا الإطار سنعتمد على تصورات وأفكار الدكتور نبيل علي المتعلقة بموضوع العلاقة الموثقة بين اللغة والحاسوب [٢٤] بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة، حيث يعد كتابه «اللغة العربية والحاسوب ١٩٨٨» أول دراسة بحثية تجلي أهمية هذه العلاقة، بل "أول كتاب يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية" [٢٥].

ومن خلال هذا الموضوع أُنتج مشروع هذا الكتاب وطُرح في الساحة العلمية ليكون محطة انطلاق البحث التطبيقي للهندسة اللغوية، بغية بلورة تفكير اللسانيين والمهندسين واتحادهم في ردم الهوة الرقمية التي تعانيها العربية في عصر العولمة والتكنولوجيا. وفي هذا الاتحاد تنحصر قوة العلاقة القائمة بين اللغة والحاسوب، يقول أحد الباحثين: «ترميز

index.php/publication/magaz ins، تاريخ دخول الموقع الالكتروني للمجلة: ٢٠٢٠/٠٨/٢١.]

٢٣ بن نافلة يوسف: المعالجة الالية وهندستها للمدونات اللغوية في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، الجزء الثاني، ٢٠١٨ص. ١٧

٢٤ لقد سلم المؤلف في إرساء العلاقة القائمة بين اللغة والحاسوب بالفرضية التالية: «منذ ظهور الحاسوب، في أواخر الأربعينيات، وصلته باللغة تتوثق وتتأصل. وقد أخذت العلاقة بينهما طابعا تبادليا، (علاقة «هات وخذ»).» أنظر: (نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ١١٣)

٢٥ بن عريبة راضية: محاضرات في اللسانيات الحاسوبية، ط. ١. ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٧ص. ٢٢

المعطيات اللسانية الرياضية وفق ثنائية (١،٠) هي من صميم المعلوماتي في اللسانيات الحاسوبية، فهذا من صميم عمله واختصاصه، لكن ليس من السهل عليه الكشف عن كنه المنطق الرياضي للغة لسانيا، فهذا من صميم اللساني، ولأن المعالجة الآلية معالجة رياضية فإنه كلما كشفنا عن المنطق الرياضي للغة ومنها اللغة العربية كلما قربنا بين الحاسوب واللغة واللغة والحاسوب، ومنه تكون المعالجة الآلية الطبيعية أكثر مرونة وهو المطلوب.» [٢٦]

لقد هيمن انتشار استخدام تقنية الحاسوب في معالجة اللغة آليا، حتى غدا من يسر القول بضرورة توثيق آصرة اللغة بالحاسوب، والذي أسهم في هذه العملية عاملان أساسيان، هما: عامل المنطق الرياضي، وعامل الوظيفة الاتصالية.

أولا: عامل الوظيفة الاتصالية

تمثل الوظيفة الاتصالية عمود اللغة والحاسوب والرهان الأساس اللذان يهدفان إلى تحقيقها في سبيل إرساء مبدأ التعليم والتعلم الإيجابيين، يقول الباحث في هذا السياق: «تعد الوظيفة الاتصالية من أهم أهداف النشاط اللغوي، في الوقت الذي تعد فيه نظم الاتصالات شقا أساسيا لنظم الحواسيب. وللقارئ أن يتخيل عامل التضاعف الكمي الهائل لحاصل إضافة قوة التواصل اللغوي ومرونته إلى سرعة نظم الاتصالات وانتشارها الجغرافي، والسعة الهائلة لوسائل تخزين المعلومات وفورية استرجاع المعلومات منها.» [٢٧]

ثانيا: عامل المنطق الرياضي

على منوال المنطق الرياضي بنيت بنية اللغة التي تعكس بصفة واضحة صورة سلوكات الإنسان وتصرفاته وطريقة تفكيره، وبنية الحاسوب التي تحاول قدر الإمكان محاكاة هذه السلوكات اللغوية بتقنية ما اصطلح عليه بالذكاء الاصطناعي، فظهرت إزاء ذلك فكرة حتمية التقاء اللغة والحاسوب، يقول الباحث: «كان من المنطقي، بل من الحتمي أيضا، أن تلتقي اللغة والحاسوب وذلك لسبب أساسي وبسيط، وهو كون اللغة تجسيد لما هو جوهري في الإنسان، أي نشاطه الذهني بكل تجلياته، في نفس الوقت

٢٦ د. قاسمي الحسني عواطف(٢٠١٨): اللسانيات الخليلية الرياضية وآفاقها الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، ، الجزء الثاني، ص. ٨٤

٢٧ نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (مرجع سابق)، ص. ١١٧

الذي يتجه فيه الحاسوب نحو محاكاة بعض وظائف الإنسان وقدراته الذهنية، متخذا من الاعتبارات الإنسانية (الهندسة البشرية) محورا رئيسيا لتصميم نظمه ومجالات تطبيقاته ومطالب تشغيله. ولقد تدرج هذا الالتقاء حتى بلغ درجة عالية من التفاعل العلمي والتقني بصورة لا مثيل لها.» [٢٨]

وفي هذا الصدد يلزمنا أن نتساءل عما يلي:

لماذا ظهرت حتمية التقاء اللغة والحاسوب؟ وما أهمية ضرورة الكشف عن المنطق الرياضي لكل من بنية اللغة وبنية الحاسوب؟

لا أحد من الباحثين ينكر مدى أهمية علاقة اللغة بالحاسوب ومساهمة هذا الأخير في معالجةِ اللغة معالجةً لا تخلو من المنطق الرياضي لبناء الخوارزميات الضرورية للظواهر اللسانية. ولجعل اللغة تأخذ صبغة تقنية حاسوبية، كان من اللازم أن تعمل الآلة على معرفة بنيات مختلف مستوياتها حتى تتمكن من إعادة إدماج كل مستوى على حدة، وبشكل تقني؛ فعلى سبيل المثال: إن عملية استخراج بنية الكلمة العربية أو تحليلها صرفيا [٢٩]، تتطلب تصميما تقنيا لهذه العملية، فيرصد النظام الأساسي للتحليل الصرفي الذي يندرج ضمنه عمليات الجذر والجذع، والاشتقاق، والصيغة الصرفية، والميزان الصرفي، والتشكيل أو الحالة الإعرابية لكل من الاسم (نوعه ،جنسه ، إفراده، تثنيته، جمعه، تصغيره، نسبته، جموده واشتقاقه...) والفعل (جذره، زمنه، تصريفه/ اشتقاقه...). ويصطلح على هذا النظام بالمعالج الصرفي، الذي يلعب دورا أساسيا في عملية توليد الكلمة الصرفية، وأيضا في التحليل النحوي للنصوص العربية المكتوبة والمنطوقة. ومن أسباب تلاقي اللغة والحاسوب في سبيل إرساء مشروع المعالجة الآلية للغة الطبيعة [٣٠]، ما أورده الباحث في النقاط الأساسية التالية [٣١]:

٢٨ نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، (مرجع سابق)، ص. ١١٤

٢٩ يقصد بالتحليل الصرفي: «قيام النظام الآلي بتحليل ما يغذى إليه من كلمات إلى عناصرها الصرفية الأولية، (الصرفيمات)، وتحديد سماتها الصرف صوتية، والصرف نحوية». أنظر: (نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، (مرجع سابق)، ص. ١٣٨)

٣٠ يقصد بعبارة لغة طبيعة naturel language: تلك اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية، مكتوبة أو منطوقة، سردا أو حوارا، وبكل ما يكتنفها من لبس ونقص وأخطاء لغوية، وإشارات إلى ما سبق ذكره، وحذف ما يمكن استنباطه بداهة أو على ضوء السياق، أو اعتمادا على افتراض علم المستمع به من واقع الخبرات والمعارف المكتسبة. أنظر: (نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، (مرجع سابق)، ص. ١٦١)

٣١ د. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ١١٤- ١١٥

(أ) التطور الهائل في علوم اللسانيات، وخضوع كثير من جوانبها للمعالجة الرياضية والمنطقية والإحصائية.

(ب) تطور الأساس النظري لعلم الاتصالات، وذلك بظهور نظرية المعلومات التي وضعت الأسس الرياضية لقياس كمية المعلومات، وبذلك خضعت ظاهرة الفائض اللغوي للتقييم الكمي المنضبط. أدى ذلك إلى استحداث الكثير من الأساليب المبتكرة لترميز البيانات اللغوية، وضغط حيز تخزينها، وزيادة فاعلية استرجاعها.

(ج) التقدم المذهل الذي أحرزته تقنيات الحواسيب في مجالات العتاد (المعدات) والبرمجيات والتطبيقات، وما صاحب ذلك من تزايد الحاجة إلى لغات برمجة تتصف بالقوة والمرونة معا، وهو ما أدى إلى مراعاة الكثير من خصائص اللغات البشرية في تصميم لغة البرمجة.

(د) التقدم في علم الإحصاء الرياضي، ونفوذ أساليبه إلى مجالات التحليل اللغوي، والتي استخدمت في توصيف وتفسير الكثير من التجليات اللغوية التي يصعب إخضاعها للقواعد القاطعة. وفر ذلك الأساليب العلمية والعملية لصياغة الآليات اللغوية في هيئة نماذج يمكن إخضاعها للتطبيق الهندسي. لقد كان التمثيل الإحصائي والمنظومي بمثابة المرحلة الوسيطة التي تسبق صياغة هذه الآليات في صورتها المجردة بصورة رياضية أو منطقية، تمهيدا لإخضاعها للأساليب القاطعة التي يعمل بها الحاسوب.

أبرزنا من خلال ما سبق الأسباب التي ساهمت في ظهور العلاقة القائمة بين اللغة والحاسوب. لكن، ما علاقة اللسانيات بالمعالجة الآلية؟

يمكن حصر علاقة اللسانيات بالمعالجة الآلية، في الجانب الأساسي الذي يشتركان فيه وهو الجانب التطبيقي ذو الطابع الرياضي والمنطقي والإحصائي، لذلك يتعين أن تكون العلاقة هنا علاقة تبادلية متضمنة، أي في إطار المعالجة لابد للآلة أن تتضمن اللغة، ولابد للغة أيضا أن تتضمن الآلة؛ فدور الآلة صمم من أجل خدمة اللغة وتحليل بنياتها حتى تحصل تلك الخاصية التواصلية بينهما، ويتمكن المتخصص بذلك من إدراك الشكل الرياضي فيستوعبها دماغه بمرونة ويسر. إن من إشكاليات معرفة اللغة هو ذلك التعقيد في فهم وظائفها الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية التي تختلف من سياق إلى آخر، فمتى تَدَخَّلَ العنصر الهندسي والرياضي فإن ذلك التعقيد سيزول حتما وسيصبح المتعلم قادرا على التفاعل مع اللغة المعالِجَة، لأن دماغه مبرمج أصلا على نفس الطريقة الرياضية التي اخترعت بها الآلة، وعلى هذا الأساس المنطقي ستتم عملية

المعالجة، وهذا ما حصل فعلا مع تشومسكي حين نجح في تنزيل ما سماه بالبرنامج الأدنوي (The Minimalist Program)، (تشومسكي ١٩٩٣- ١٩٩٥) وتطبيقه على اللغة الإنجليزية وربط مستوياتها بنسق الحاسوب؛ حيث كان همه هو إرساء قواعد كلية متمثلة في مبدأي الاقتصاد والتبسيط. إذن، فعلاقة اللسانيات بالمعالجة الآلية هي علاقة تبادلية خالصة تندمج فيها ثنائية الرياضيات والمنطق. لذلك سنمثل لهذه العلاقة بالشكل (٢):

(١) بنية اللسانيات رياضيات/ منطق / إحصاء (٢) بنية المعالجة الآلية

الشكل (٢): خطاطة توضح العلاقة التبادلية بين بنية اللغة وبنية المعالجة الآلية

حيث السهم: يمثل بنية العلاقة التبادلية للسانيات والمعالجة الآلية.

ولقد ناقش د. نبيل علي سر العلاقة التبادلية للسانيات والحاسوب، على ضوء مجالين أساسيين مفادهما :[٣٢]

- **الحاسوب كأداة للغة**
- **واللغة كأداة للحاسوب**

وذلك لأن كل من اللغة والحاسوب يتقاسمان عمليا مستويات عديدة لإرساء المعالجة الآلية لبنيات منظومة اللغة ككل، وهذه المستويات هي طبيعة الأصوات، الصوتيات، نظام الكتابة، الصرف، النحو، الدلالة، المقاميات، المعجم، النتاج اللغوي، العتاد، البرمجيات، التطبيقات، العنصر البشري.[٣٣]

خاتمة

انطلقنا في هذه الدراسة، من تحديد مفهوم اللسانيات الحاسوبية، ومفهوم المعالجة الآلية، وقد كان هدفنا هو الإجابة على سؤال علاقة اللسانيات بالمعالجة الآلية، وملامح نشأة المعالجة الآلية في العالم العربي، ومن الاستنتاجات التي توصلنا إليها في

٣٢ د. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ١٢٩

٣٣ لقد خصص المؤلف شكلا هندسيا للمستويات التي تلتقي فيها اللغة والحاسوب يبرز من خلاله العلاقة التبادلية لبنياتهما على ضوء المجالين: «الحاسوب كأداة للغة، وهي مسألة تخص توظيف تقنية الحاسوب كوسيلة لتعليم اللغة، واللغة كأداة للحاسوب، اي تأثير اللغة على منظومة الحاسوب.» أنظر: (د. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، ص. ١٢٩ وأيضا ص. ١٥٢)

خضم المحاور الثلاثة السابقة نذكر ما يلي:

- بدا أن ارتباط اللغة العربية بعتاد الحاسوب قد جاء متأخرا نسبيا عن باقي لغات البلدان الأجنبية الأخرى المتقدمة اقتصاديا، وثقافيا، وفكريا عنها، مثل: الفرنسية والانجليزية واليابانية؛
- بدأت ارهاصات ارتباط اللغة العربية بالحاسوب من مستوى تعرفه على الحرف العربي إلى مستوى تعرفه على الكلمة؛
- للكشف عن خصوصيات اللغة العربية آليا تم إحداث محللات صرفية، منها ما تعتمد الجذر ومنها ما تعتمد الجذع؛
- اعتُبر الحاسوب وسيلة يقوم على أساسه هدف نظم معالجة خصائص اللغة وتحليلها آليا؛
- لإرساء معالجة آلية ناجعة للغة ما، لا بد من اجتماع متخصصان اثنان يكملان بعضهما البعض، متخصص لساني يبحث في خبايا اللغة ويكشف عن أسرار ظواهرها، ومتخصص حاسوبي عارف بعتاد الحاسوب من أجل تصميم نظم تحليلية آلية جد متطورة تخدم مستويات اللغة وتعلمها وفق ظروف علمية؛
- تجمع اللسانيات الحاسوبية بين موضوعات نظرية، وأخرى تطبيقية، بيد أن الجانب النظري المهيمن في العالم العربي على غرار الجانب التطبيقي الذي ما فتأت الدراسات العربية بلوغة، وهذا راجع أساسا إلى عدم الأخذ بآراء العلماء الذين يناشدون بإشراك متخصص لساني ومهندس حاسوبي في عمل واحد لضمان تبلور التخصص وتطوره دونما الاستعانة بتحليلات صرفية وتركيبية غربية؛
- تكمن العلاقة المتينة بين اللسانيات والمعالجة الآلية في منطقهما الرياضي والاحصائي، ووظيفتهما الاتصالية.

التوصيات

من أهم التوصيات الاستشرافية التي ننادي بها، أن نعيد النظر في طريقة التعامل مع تخصص اللسانيات الحاسوبية، بحيث يجب على المتخصصين في اللسانيات والهندسة المعلومياتية أن يكونوا فرق بحث منسجم، لتكامل التخصص وحصول هدف المعالجة الآلية، وإحداث برامج وتطبيقات آلية ذات صبغة علمية للرفع من قيمة التعلم عن بعد، وتطوير تكنولوجيا التواصل بين المتعلم والمحتوى التعليمي أخذا بالاعتبار ظاهرة الفجوة الرقمية التي أظهرها وباء كورونا للعالم.

المصادروالمراجع

أ- الكتب

- بن عريبة راضية: محاضرات في اللسانيات الحاسوبية، ط. ١.ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر،٢٠١٧
- علي نبيل: اللغة العربية والحاسوب (دراسة بحثية)، مؤسسة تعريب، دون طبعة، الكويت، ١٩٨٨
- الفاسي الفهري عبد القادر: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط. ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب،١٩٩٠
- المالكي طارق: أنطولوجيا حاسوبية للنحو العربي: نحو توصيف منطقي ولساني حديث للغة العربية، ط. ١، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ٢٠١٠
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ
- -لموقت حمادي: اللغة العربية وإشكال التواصل في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ط. ٢، مطبعة طوب بريس، الرباط، غشت ٢٠١٧

ب- المقالات العلمية

- عواطف قاسمي الحسني: اللسانيات الخليلية الرياضية وآفاقها الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، الجزء الثاني،٢٠١٨
- ابن نافلة يوسف: المعالجة الالية وهندستها للمدونات اللغوية في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ضمن أعمال الندوة الوطنية: اللغة العربية والتقانات الجديدة، منشورات المجلس، الجزائر، الجزء الثاني، ٢٠١٨

جذاذات هندية في علم البلاغة والنقد

د. عبد المجيد إي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

عُرفت الهند منذ القدم بالحكمة والتأمّل والاهتمام الكبير بالأفكار العالية، فتدلّ الحقائق التاريخية على وجود كتابات نقدية في الهند مع أشعار الفيداس الدينية، وذلك خلال الفترة الممتدة من القرن الخامسَ عشرَ إلى القرن الخامسِ قبل الميلاد، وتطوّرت النظرية النقدية الهندية واضحةً في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو الفترة التي تعود إليها كتابات اليونانيين، كأفلاطون وأرسطو. بل إن الهنود في تلك الفترة ذهبوا إلى أبعد من اليونانيين، حيث اعتبروا الشاعر مؤسسا للقيم الاجتماعية والأخلاقية، واعتبروا المسرح مصدرًا للتطهير العاطفي، يتضح ذلك في «علم المسرح» (ناتياساسترا) لبهرتا مُني، في القرن الثاني الميلادي. وفي القرن الثامن بدا تيار شكلي وتيار معنوي تحت مسمى «راسادهافاني» اختصر ما قبله، وأسس لما بعده في النقد الهندي. يتميز الإبداع الهندي بالالتزام، وبالاعتراض الاجتماعي، وأحياناً بالخيار بين هذا أو ذلك، وغالباً ما يكون تعبيراً عن موقفٍ متمرّد. خلاصة القول: في اللغة السنسكريتية، كنوزٌ مُذهِلةٌ للأدب الكلاسيكي الهندي ونقده.

وفي القرن السادس عشر تعرضت الهند للتأثير الإسلامي القادم من بلاد فارس، فدخلت فيها أشكال شعرية فارسية، وانتهى المسرح الهندي القديم. ثم ما لبث التأثير الإسلامي أن تراجع تحت ضغط المؤثرات النقدية الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فاشتعلت معارك القديم والجديد والصنعة والطبع، فسعى بعض النقاد الهنود المحدثين إلى تبني مفاهيم نقدية غربية بأسرها، وأكد آخرون على أهمية العودة إلى الموروث الهندي القديم، كما فعل الناقد ناراسيمهاياه في تأسيسه لمدرسة «دفانيالوكا»

في جامعة ميسور بجنوب الهند.

وبعد هذه الجولة السريعة حول التراث الأدبي والنقدي الهندي، نناقش عما أخذ العرب من الهند في النقد، ودوره في تطور النقد العربي.

أكيدا، في عصر التدوين، حينما نقل العرب إلى لغتهم كلَّ ما وجدوه في العالم، أخذوا من الهنود أُسسَ النقد، بل آثروا النقد الهندي على النقد اليوناني والصيني. الدليل على ذلك، ما نقرأ في الجزء الأوّل في كتاب «البيان والتبيين» لأمير البيان العربي الجاحظ، فيذكر صحيفةً هنديةً في البلاغة. ويقول: وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العربُ وفارس والهند والرّوم؛ والباقون همجٌ وأشباه الهمج[١].

يقول: خبّرني أبو الزبير كاتبُ محمد بن حسّان، وحدّثني محمد ابن أبان – ولا أدري كاتب من كان – قالا:

قيل للفارسيّ : ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقيل لليونانيّ: ما البلاغة ؟. قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للروميّ: ما البلاغة ؟. قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل للهنديّ: ما البلاغة ؟. قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال بعض أهل الهند: جماعُ البلاغة البصرُ بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة[٢]..

ويروي الجاحظ في شأن البيان والبلاغة عن رجل هندي الأصل، هو إبراهيم بن السنديّ، كقوله مثلاً: وأخبرني إبراهيم بن السنديّ، فالحقيقة كان إبراهيم بن السنديّ هذا واحداً ممّن ساعد الجاحظ لبناء تفكيره البلاغي مستوحياً وجهات نظر الهنود وتعليقاتهم في مجال النظر العقليّ في البلاغة.

ويقول الجاحظ: إنّ بعض ما نُقل عن أهل الهند في شأن البلاغة والبيان واللَّسَن يشير إلى خبرة عميقة وتشقيق واسع ومعالجة ناضجة لصفاتِ المتكلّم البليغ أو صانع البيان الذي يُنتظر منه أن يُبلغ كُنه مراده إلى مخاطَبه محْدِثاً في نفسه أبلغ الأثر[٣].

ومما لا يماري فيه اثنان أنه كان تدوين البلاغة نقطةَ تحوّل في تطور النقد الأدبي، ولعبت دورا هاما في تطور أصول النقد أكثر من غيرها من العلوم العربية، كقواعد اللغة

١ البيان والتبيين، الجاحظ ، ج١، ص ١٣٧.

٢ البيان والتبيين، ج١، ص ٨٨.

٣ لبيان والتبيين، ج١، ص ٩٢.٩٣.

نحوا وصرفا، وعلم العروض، والمنطق، والفلسفة.

الأنواع البديعية الهندية

فقد أتى وبذل السيّد غلام علي آزاد البلغرامي، الألمعيّ المشبع بالثقافة الهندية والفارسية، جهوداً كبيرة في نقل المحسنات الكلامية الهندية إلى العربية، الدليل على ذلك، الجزء البلاغيّ لـ«سبحة المرجان في آثار هندوستان» ويريد المؤلف بـ «آثار هندوستان» مآثر الهنود في العلم والأدب.

يقول السيّد غلام علي آزاد البلغرامي : « وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند، كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفرانـد[٤] «

ويقول: «واستخرجتُ الأمثلة من الآيات العظيمة والأحاديث الكريمة ودواوين الشعراء ومجاميع الأدباء، وأضفتُ إليها ما سمح به الخاطر الفاتر وترشّح به السّحابُ القاطر»[٥] فخير مثال للمحسّنات التي نقلت عن الهندية إلى العربية:

النوع البديعي المسمّى التنزيه

هذا النوع استخرجه بعض الأهاند في مقابلة التشبيه، وهو أن يبرئ المتكلم شيئاً عن أن يماثله شيء آخر؛ كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٦] ﴾

وقوله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ[٧] ﴾

أو قول حسّان في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

وأحسنُ منك لم تر قطّ عيني وأحسنُ منك لم تلدِ النساءُ

فإنّ صنيع المؤلّف في تطبيق البلاغة الهندية على الأمثلة العربية، يضع أبصار الدّارسين العرب على كثير من آيات الحسن في الكلام العربيّ مما لم يفطن إليه الدارسون العرب، أو فطنوا إلى أجزاء منه ولم يفردوه بعنوان خاصّ.

٤ سبحة المرجان، ج٢، ص ٣٨.
٥ نفسه، ص ٤٠.
٦ الشورى/١١.
٧ الفجر/٧، ٨.

التفضيل على التفضيل

هو أن يفضَّل المتكلّم شيئاً على شيءٍ، ثم يفضَّل على المفضَّل شيئاً آخر وهلمّ جرّا، كقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في سعد بن عبادة: إنّ سعداً لغيورٌ وأنا أغيرُ من سعدٍ والله أغيرُ مني.

وقلتُ (السيّد غلام علي آزاد البلغرامي):

البدرُ أسنى من كواكب في الدجى وذُكاءُ أشرف منه في الإشراق

وسعادُ أزيدُ من ذكاءَ إضاءةً أحسِنْ بقدرة حضرةِ الخلاق[٨]

وكثيراً ما تأتي قيمة ما يأتي به المؤلّف في شأن المحسنات البلاغية من جمعه بين الأمثلة العربية والأمثلة الهندية للنوع البديعيّ الهندي الذي نقله. ومن ذلك مثلا ما يبدو في حديثه عن نوع يسمّيه:

تشبيه التمني

هو أن يتمنّى المشبّه به أن يحصل له كمالُ المشبه،

كقول القاضي عبد المقتدر الدهلويّ:

له جمالٌ إذا ما الشمسُ قد نظرت إليه قالت: ألا يا ليتَ ذلك لي

والتسوية

هو أن يحسب المتكلّم المتضادين في مرتبة واحدة لا يرجّح أحدهما على الآخر،

كقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قال الرجل: كيف أنصره ظالماً؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: تمنعه عن الظلم).

أخي القارئ، تفيدنا المصادر الموثوق بها أن عددا من العباقرة الهنود ساهموا في إثراء البلاغة والنقد الأدبي، ومنهم أيضا الإمام عبد الحميد الفراهي، هو من أهالي 'فريها'، إحدى قرى مدينة أعظم كره. من آثاره القيمة 'جمهرة البلاغة' ذكر فيه أصول البلاغة ومستواها في ضوء القرآن والسنّة وكلام العرب. وانتقد فيه أرسطو ونظريته في المحاكاة،

٨ سبحة المرجان، ج٢، ص ٦٧ – ٦٨.

وحدّد كثيراً من خاصيات القوّة في اللغة العربية. ومنهم إبراهيم عبد الحسين العريض الذي ولد عام ١٩٠٨ في مدينة مومبي الهندية، من أبوين عربيين. وهو صاحب أول عمل عربي متميز لرباعيات الشاعر الفارسي.

ومن دراساته النقدية

١.الأساليب الشعرية (١٩٥٠)،

٢. شعراء معاصرون، وهي دراسة تضم حوالي عشرين دراسة حول عشرين شاعرا(١٩٥٠)،

٣. الشعر والفنون الجميلة (١٩٥٢)،

٤.الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث (١٩٥٥)،

٥. جولة في الشعر العربي المعاصر (١٩٦٢)،

٦. فن المتنبي بعد ألف عام (١٩٦٣)،

٧. الدراسات الفنية عند مترجمي الخيام (١٩٩٨)،

٨. دراسات في الأدب والنقد.

واختتاما لهذه الورقة نكرّر: وحينما أصيب الأدبي العربي بمحنة الصناعة والتكلف، ومحنة التقليد في الأدب والنقد، حيث صارا جامدين لا قوة فيهما ولا روح ، ولا جدة فيهما ولا طرافة ، ولا متعة فيهما ولا لذة ، قبض الهنود يد الأدب والنقد وانقطعوا للأدب والإنشاء، الدليل على ذلك ما نقرأ في مقدمة «مختارات من أدب العرب» لأبي الحسن علي الحسني الندوي؛ يقول:

«أصبحت كتب التاريخ والأدب نسخة واحدة ، وأصبحت الكتابة صورة واحدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، لا يستثنى منها إلا عبقريان اثنان، أوّلهما ابن خلدون، وثانيهما **الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي**[٩] «. ثمّ بيّن الندوي ماذا خسر الأدب العربي ونقده بتقليد الغرب، ودعا إلى الاعتماد على كتب التاريخ والأدب القديم، والرجوع إلى أمهات الكتب التي تمثّل لنا العربية في جمالها الأول ، ونقائها الأصيل ، وسعتها النادرة ، والاعتصام بأسلوبها الموروث، يقول:

«إنّ هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية ، بل هو أكبر سنا وأسبق زمنا من الأدب الصناعي ، فقد دون هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يدوّن الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات ، ولكنه لم يحظ من دراسة

٩ مقدمة « مختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الحسني الندوي ص، ٨

الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظي به الأدب الصناعي ، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة ولباقتهم ، وهو المدرسة الأدب الأصلية الأولى[١٠]».

وعلى هذا الأساس، ألّف محمد الرابع الحسني الندوي مع تقديم أبي الحسن علي الحسني الندوي كتابه «**الأدب العربي بين عرض ونقد**». وهناك مقالات ومؤلفات عديدة قيّمة تعالج النقد، وقد نالت هذه المقالات والكتب إعجاب رجال التعليم، وأصحاب الذوق، ووقع من الأدباء والمعلمين موقع الاستحسان والقبول، كما استعانت كثيرا في تربية الذوق الأدبي، ومعرفة الفضل لأصحابه.

ختام هذه المقالة تثبت ثلاث حقائق؛ الأولى: إن للهند تراثا قديما في النقد، نقله العرب في عصرهم الذهبي. **الثانية**: للهنود إضافات قيّمة إلى علم البلاغة، وهو أساس النقد الأدبي. **الثالثة**: لعب الهنود دورا بارزا في محافظة الأدب والنقد الموروث.

المصادر والمراجع

(١) أبو الحسن علي الندوي ، مختارات من أدب العرب،مكتبة وحيدية ،دهلي .
(٢) أستاذ أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب . دارالقلم ، بيروت ، لبنان .
(٣) صالح آدم بيلو: من قضايا الأدب الإسلامي، دارالمنار للنشر، السعودية، جده .
(٤) عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : د/ دار الأدب الإسلامي قبرص .
(٥) غلام علي آزاد البلغرامي ، سبحة المرجان في آثار هندستان، مكتبة وحيدية ،دهلي .
(٦) محمد الرابع الحسني الندوي، الأدب العربي بين عرض ونقد
(٧) محمد الرابع الحسني الندوي : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، دار الصحوة ، القاهرة .
(٨) مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، المجلد ٥٧، العدد٢، ٢٠٠٦م، ص١ . ٥٩.

١٠ . نفس المراجع، ص ٩

مفهوم الاقتراض اللغوي ودوره في إثراء اللغة المليالمية

محمد رياض ڤي ڤي
باحث دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

المقدّمة

تتناول هذه المقالة ظاهرة الاقتراض اللغوي من العربية إلى المليالمية، بدءا بتحديد مفهومها و تعريف تفريعاتها ومرورا بالحديث عن الأسباب التي تجعل اللغات تقوم بعملية الاقتراض من لغات أخرى، و أيضا ذكر نتائج هذه الظاهرة و أخيرا عرض مجموعة من الألفاظ التي اقترضتها اللغة المليالمية من اللغة العربية.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور الذي لعبته اللغة العربية في إثراء اللغة المليالمية وإنماء مفرداتها، وتطوير أساليبها وتوسيع مجالات تعبيرها، هذه اللغة المحلية التي تعدّ من أكثر اللغات تواصلا مع اللغة العربية عبر مراحل مختلفة قبل الإسلام وبعده، حيث غذَّا الإسلام هذا التواصل، ونمَّاه ووسعه وطور جوانبه بعد اعتناق الشعب الملباري دين الإسلام، ونتيجة لهذا التواصل والاحتكاك بين الشعبين العربي والمليباري، حدث التبادل التجاري، والتمازج الاجتماعي، والتقارب الثقافي والفكري، وبذلك تحققت المنافع والمصالح المشتركة، ونتج خلال ذلك تأثير العربية في اللغة المليالمية، حيث اقترضت هذه الثانية من اللغة العربية كلمات تقدر بمئات الألفاظ في كل ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

الاقتراض اللغوي ظاهرة عالمية

اللغة- أيّا كانت- تنمو وتزدهر وتتطور وفقا للمعطيات والظروف الاجتماعية

والثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والفكرية، كما أنها تعيش حالات تدهور وتخلف في كل المستويات الصوتية والصرفية واللفظية المعجمية والدلالية التركيبية والأسلوبية نتيجة لتدهور الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي لأصحاب اللغة.

ومن العوامل التي تساهم في ازدهار اللغة، ازدهار الأمة ونموها في الجوانب الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية، كما هو الحال بالنسبة للغات العالمية الموصوفة بالحية والمتطورة، كالإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والألمانية والبرتغالية، والإيطالية، والصينية وغيرها، فقوة المجتمع في المجال الاقتصادي مثلا يضفي على اللغة مقومات القوة والحيوية في هذا المجال، وإن ضعفت في المجالات الأخرى، وكذلك الحال في الجانب السياسي، والثقافي الديني.

يقول إسماعيل مضر في كتابه تجديد العربية: "اللغة بمثابة جسم حي يولد، ثم ينمو، ثم يتوالد، وإن اللغة حي تموت كما يموت جميع الأحياء إذا امتنع عليها النماء، وتعذر التوالد، فإذا عدمت اللغة القدرة على التغذي بعناصر جديدة، وعجزت عن تمثيل تلك العناصر تمثيلا يحولها جزء من أصل بنيتها، فإن اللغة تموت كما يموت الحي"[١]، فانحطاط اللغة بانحطاط المجتمع، وقوة اللغة ونموها وازدهارها بقوة مجتمعها وازدهاره في كل مجال، وبخاصة في المجال الحضاري والعلمي.

مفهوم الاقتراض اللغوي وتاريخه وأسبابه

يعتبر الاقتراض اللغوي من بين أبرز الظواهر اللغوية في حياة اللغات، و هو ينتمي إلى مجال اللسانيات الاجتماعية، كما يعد ظاهرة طبيعية في كل اللغات الحية، و هو مظهر يدل على مدى حيوية اللغات و تطورها، و بالنسبة للغة العربية اضطرت إلى الاقتراض من اللغات التي احتكت بها منذ الجاهلية و عرفت ظاهرة الاقتراض اتساعا كبيرا في عصر صدر الإسلام، و هذا يرجع إلى انفتاح المجتمع العربي على الحضارات و المجتمعات الأخرى نتيجة الفتوحات الإسلامية.

و يعد الاقتراض بلا شك عاملا هاما من العوامل التي تؤدي إلى نمو اللغة و تطورها، كما يعد وسيلة من وسائل إثراء و إغناء اللغة بالإضافة إلى التوسع فيها، ولا تكاد تخلو أية لغة من لغات العالم من الاقتراض. لأن اللغة تعتبر بمثابة كائن حي تتطور بتطور المجتمع فهي وسيلة للتعبير و التفاهم بين أفراد المجتمع، و هي أداة للتعامل و تبادل الأفكار بين

١ مضر، إسماعيل، تجديد العربية، نقلا عن: عبد الله، مراد حميد، تطور دلالة المفردات المحدثة في النص اللغوي، مجلة الخليج العربي، المجلد (٤٠)، العدد:١-٢، السنة ٢٠١٢: ٨؛

الشعوب رغم اختلاف أجناسهم و ألوانهم، و احتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها و امتزاجها و تجانسها.

مفهوم الاقتراض

كلمة الاقتراض مأخوذة من قرض، ويدور معناها حول الأخذ والإعطاء والتبادل التجاري، وإصداء الخير للمرء، وكان يستعمل في إعطاء المال واقتطاعه لإنسان ليرده خلال أجل معين متفق عليه بين المقرض والمقترض، جاء في المعجم الوسيط: "القرض ما تعطيه غيرك من مال على أن يرده إليك"؛

يحدد الاقتراض اللغوي بأنه نقل لفظ من لغته الأصلية إلى لغة أخرى ليستخدم فيها دالا على المعنى الموضوع بإزائه في لغته الأصلية. ويعتبر سمة من سمات تطور اللغات و ليست ظاهرة عابرة. و بالتالي فالاقتراض اللغوي هو سيرورة دائمة تعين اللغات في استقطاب و ضم مفردات و ألفاظ جديدة تستعمل بنفس ما وضعت له في لغاتها الأصلية.

عموما، يعد الاقتراض اللغوي من أهم الظواهر اللغوية التي تخضع لها كل اللغات العالمية، و لا يمكن لأي لغة كيفما كانت أن تبقى بمعزل عن هذه الظاهرة التي تفيد اللغات و تساعدها على إغناء معجم اللغات بالألفاظ و المفردات الجديدة، بالإضافة إلى أنه لا يرتبط بزمان أو مكان أو لغة بعينها وإنما هو قانون عام يحكم كل اللغات.

دواعي الاقتراض اللغوي

الاقتراض ظاهرة عامّة في اللغات كلّها، ولا تكاد تخلو لغة من بعض الألفاظ المُدخّلة، وكلّ جماعة لغوية تقترض ألفاظا معيّنة تستعملها في لغتها الأصلية، والأسباب التي تدعو إلى الاقتراض عموما هي

أسباب اجتماعية فهي التي تكون متعلّقة بالمكانة والأسلوب، حيث تأتي الكلمات المقترضة في سياق حديث الأفراد عوض الكلمات الأصلية.

أسباب اقتصادية، وإنها نتيجة الحاجة إلى الكفاية الدلالية للغة وجعلها أكثر نفعا، ويمكن تحقيق الكفاية الدلالية من دون اللجوء إلى الاقتراض وذلك عن طريق الاشتقاق المبني على أصول اللغة ذاتها. يحدث الاقتراض عموما نتيجة الاحتكاك بين اللغة المانحة واللغة المقترِضة

أسباب سياسية، وتكون نتيجة علاقات الجوار كالاستعمار والهجرة،

أسباب علمية، وهي التي أخذها الغرب زمن نهضتهم من المصادر العلمية العربية التي كانت بحوزتهم.

نتائج الاقتراض اللغوي

يؤدي الاقتراض حتما إلى إغناء المعجم اللغوي بذخيرة هائلة من الألفاظ التي تعبر عن مجمل الظلال الانسانية، كما أنه يوفر لنا العديد من المصطلحات العلمية التي أضحت ضرورية في عصرنا هذا كما يتيح لنا أيضا فرصة الاختيار في استعمال الألفاظ، و هو يسد حاجة اللغة و يكمل نقصها.

كما يعتبر الاقتراض اللغوي من العوامل المهمة التي ساهمت في تحديث اللغات وعصرنتها، فهو يساعد على تزويد اللغة بروافد أغنتها و زادت من فصاحتها و بلاغتها بالإضافة إلى انسيابيتها. ثم إن اللفظة المقترضة قد تكتسب شهرة تنسيها أصولها وتبعدها عن جذورها ذلك عند ما تصادف قبولا من الناس، فإنها تشيع ويكثر استعمالها.

اقتراض الألفاظ العربية في اللغات الهندية

العلاقة بين العرب والهند

تطورت العلاقات الهندية العربية عبر سنوات طويلة منذ فجر التاريخ، وقد قامت تلك العلاقات على التبادل الثقافي، والهجرات وحركة السكان، فضلا عن التبادل التجاري. وتشير العديد من المؤلفات والمراجع التاريخية إلى اتصالات واسعة قامت بين منطقة الخليج العربي واليمن ومصر من ناحية، والهند من ناحية أخرى. واستمرت تلك الصلات في العصر الإسلامي، وفي ظل الاستعمار البريطاني الذي كانت طرق مواصلاته للهند من أبرز القضايا التي أصبحت قاسما مشتركا لحركات التحرر الوطني في الهند والعالم العربي.

تتميز العلاقات العربية الهندية بعدد من السمات، أهمّها اقتراب المسافة الحضارية بين المنطقتين، بحيث أصبح كل منها يمثل عمقا حضاريا للآخر. فتأثر العرب منذ قديم الزمان بالحضارة الهندية حيث تاجروا معها، ومن خلال التجارة جاءت الثقافة. وبالمثل فقد تأثرت الهند بالحضارة الإسلامية التي أقامت دولا عدة، وأثناء ذلك أقامت آثارا أصبحت خالدة وأشهرها تاج محل وقطب منار، كما أنشأت المدارس والجامعات وأشهرها جامعة عليكرة. وأصبحت الثقافة الهندية مختلطة اختلاطا وثيقا بالثقافة العربية

الإسلامية، في تجلياتها الأوردوية، التي كانت لغة البلاط والمفكرين والأدباء والمثقفين.

اقتراض الألفاظ العربية في اللغة الأردية

تتكون الهند من شتى اللغات والثقافات، والطقوس والتقاليد، يتكلم أهلها بلغات تنطق على مستوى العالم بفضل الدراسة والتدريس، وعن طريق خبرات الترجمة، والمهارات الوظيفية، وفي جانب آخر تنطق في مختلف مناطق الهند لهجات ولغات إقليمية من الرسمية والمحلية لايستطيع أن يفهمها حتى أغلبية من أبناء جلدتها من غير سكان تلك المنطقة.

ولكن اللغة العربية فيما بين هذه اللغات واللهجات قد حلت في المراكز التعليمية الإسلامية محل اللغة الأولى، بغض النظر عن تأثيرها في بعض اللغات الهندية من النواحي: الصوتية والتعبيرية والمعنوية أيضا، كاللغة الأوردية التي-بتأكيد ورأي بعض علماء اللغة بالهند-هي أكثر لغات العالم تأثرا بلغة القرآن، إذ أخذت الأوردية حروف الهجاء وعلم العروض وكثيرا من التراكيب والأوزان والصيغ من اللغة العربية، وأما بالنسبة للمفردات العربية فهي تستخدم في الأردية على أربعة أنماط، وهي على النحو المذكور أدناه:

كلمات عربية تنطق بالأردية باللهجة المحلية، وتفيد معانيها العربية أمثال: مشغول، ومقصد، وموت، ومعاني، كتاب، محفل، محض، مجموعه، ونحوها.

كلمات عربية منطوقة بلهجة محلية، وقد خصّص لها من معان في الأردية، مثلا: حفظ: معناها بالأردية حفظ القرآن الكريم. وكلمة "انتقال" تفيد في الأردية بمعنى "الموت"، أما في العربية فلاتفيد هذا المعنى إلا إذا قيل في الجملة "انتقل إلى رحمة الله تعالى».

كلمات عربية تفيد في الأردية معاني غير معلومة عند العرب أوعكس ما يستعملها العرب، مثلا: مدينة: معناها في الأردية، المدينة المنورة. –اتفاقية أو اتفاقًا: معناها في الأردية، صدفة.

كلمات عربية تستعمل بالأردية في كلام الفقهاء والقضاة والعلماء، ولايستخدمها العامة من الناس مثلا كلمة "إجماع" مصطلح فقهي لايستعمل في كلام العامة.

الاقتراض اللغوي في الميالمية

الألفاظ المقترضة من العربية إلى الميالمية

وقد اقترضت اللغة الميالمية كلمات من عدة لغات، على رأسها اللغة العربية، ثم أجرت بعض التعديلات على حسب ما يقتضيه النطق الميبارى، من قلب الحروف العربية غير الموجودة في النطق الميالمي إلى حروف ميالمية خالصة، كتحويل الثاء، والصاد، والشين ونطقها، سينا، وتحوير الطاء تاء، أو بين بين وهكذا هلم جر وصياغة الكلمة في قالب ميالمي جديد.

تقسيم الألفاظ المقترضة من العربية في اللمليالمية

تأثرت اللغة العربية في اللغة اللمليالمية بأشكال متعدّدة بسبب طول وعمق العلاقة بينهما، وههنا نقسم الألفاظ المقترضة إلى قسمين رئيسيين: ١- الألفاظ الدينية، ٢- الألفاظ العادية

الألفاظ الدينية

اعتنقت بلاد كيرالا الإسلام منذ عصر النبوّة حسب ما يراه المؤرخون، ووصلت في تربتها رسالته ودعاته قبل قرون، منهم من وصلوا بأغراض تجارية وقاموا معها بالدعوة الإسلامية، ومنهم من وصلوا لمجرد نشر تعاليمها، سكنوا في هذه البلاد وتزوجوا من نسائها وصحبوا أصحابها، وذلك دعا إلى اقتراض اللغة الميالمية ألفاظا عربية دينية، لا بدّ من معرفتها لمسلم لأداء حقوقه مع الخالق وسائر الكائنات.

منها ما يتعلق بالعقيدة مثل إيمان، الله، أحد، عرش، إله، توحيد، شرك، رسول، ملك وما يتعلق بيوم القيامة مثل آخر الزمان، قيامة، علامة، يوم وما يتعلق بالملائكة مثل عزرائيل، عتيد، إسرافيل، جبريل، نكير، منكر، مالك وما يتعلق الأنبياء مثل أسماء الأنبياء وهم كثيرون، وذكر منهم في القرآن خمسة وعشرين وما يتعلق بالخير والشر مثل شرّ، خير، بلاء، خيرات وما يتعلق بالصلاة مثل الأذان، الصلاة، الوضوء، تكبير، وقت، التحيات

الألفاظ العاديّة

توجد ألفاظ عربية أصليّة في اللغة الميالمية بواسطة الاقتراض، وهذه الألفاظ ليست مجرد ألفاظ دينية ولكنها عادية يستعملها المسلم وغيره، ويتناولها في التجارة

والسياسة والصحف والمجلات، وأكثرها دخلت في المعاجم المليالمية بعد التغييرات الملائمة لتناسب الحروف المليالمية.

منها ما يتعلق بالتجارة من المنتجات مثل عطر، عنبر، عود، كافور، حشيش أو المبادلات مثل قبول، قرار، سلم، راطل، راحل أو الأمكنة مثل محل، تاج محل، قطب منار.

ومنها ما يتعلّق بالسياسة من البلاد مثل حدّ، علاقة، إنام، قارة، فرقة، ملك، تعلق، ضلغ أو المؤسسات مثل خزانة، قانون مدني، خلافة، تعلق، بيت المال، محل، مركز أو الألقاب مثل أمير، وزير، كفيل، قاضي، كاتب، خليفة، خزانة، خلفاء، تحصيل دار، نواب، متولي، وكيل، منصف، وزير، سلطان، حاكم أو الإجراءات مثل عدالة، حبس، أمر، قسط، حوالة، كفالة، أحكام، خط، خراج.

ومنها ما يتعلق بالثقافة من العلاقات مثل أب، إخوان، أخ، أمّ أو المأكولات مثل حليس، حلوى، كباب، خمر، قهوة، قبوس، سكر، شاي، دعوة، شراب، ثريد، تنباك، سليماني، طعام، رمان، حريسة أو الأثاث مثل كرسي، كوز أو الملابس مثل قميص، قدر، جبة، بردة، برقع، لباس أو العلوم مثل عقل، علم، علامة، الجبر، خطيب، معلم، أستاذ، كتاب، قاري أو الفنون مثل قصيدة، قصة، غزل، دفّ، طبل، تصوير، نشيدة، بيت، مدح.

خاتمة

إن الاقتراض اللغوي في المليالمية من العربية هو سيرورة لا تتوقف و ليست خاصة بأي زمان أو مكان معينين، و لها مجموعة من الدوافع التي تنتج عنها و لعل أهمها هو التداخل اللغوي الذي يحدث بين لغتين أو أكثر و لا يخفى علينا أيضا أن عملية الاقتراض لا زالت سارية حتى في وقتنا الراهن، و لعملية الاقتراض فضل كبير يتمثل في إمداد اللغة العربية والمليالمية بالعديد من الألفاظ و المصطلحات التي تعبر عن مختلف التغيرات الحاصلة في المجتمع.

اللسانيات الحاسوبية: مفهومها وتاريخها وأهم منجزاتها

نادية عشاكي
جامعة ابن طفيل، المملكة المغربية

المقدمة

تعتبر اللسانيات الحاسوبية من المجالات الحديثة التي تستهدف الإحاطة بهذا المفهوم باعتباره علما بينيا وفرعا من فروع اللسانيات التطبيقية من خلال التعريف به كمصطلح حديث. لقد عرف هذا النوع من التطبيقات تطورا مع ظهور الحاسوب أو الشابكة « الانترنيت» الذي ساهم في حوسبة اللغة الأجنبية الأكثر شهرة في هذا المجال كاللغة الإنجليزية مقارنة مع حوسبة اللغة العربية التي تقتضي الاهتمام به أكثر خصوصا فيما يتعلق بمجال الترجمة الآلية، التي تعتبر من مجالات استخدام اللسانيات الحاسوبية، وتطبيق مناهج العلوم اللسانية التي تعنى باللغة الطبيعية، في تفاعل وترابط بين اللسانيات والحاسوب. وبهذا فإن هذه الدراسة تسعى إلى تناول موضوع البحث من حيث دراسته كمفهوم شامل يقتضي معالجته من خلال تاريخه وأسسه النظرية اللغوية وفق نظريات لسانية تتصور الحاسوب عقلا بشريا تقوم بتوصيف اللغة وتحللها، لكنها تدرك فيما بعد على أن الحاسوب آلة يتم استخدامها من طرف الإنسان وفق البرنامج الذي صممه بمختلف مناهجه، ثم تحاول هذه الدراسة التطرق إلى مجالات تطبيقات اللسانيات الحاسوبية ومنجزاتها المتمثلة في الترجمة الآلية، والتوثيق، والمعالجة الآلية للغة والكلام، وصناعة المعاجم الالكترونية، التلخيص الآلي...الخ.

وبهذا حاولنا دراسة هذا الموضوع من خلال تحديد مشكلة البحث في طرح إشكاليته، وأهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيار موضوعه، والدراسات السابقة التي لها علاقة

بالموضوع، ثم تحديد منهجية البحث والصعوبات التي واجهت الباحث، كما قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى ثلاث مباحث، حيث يتمثل البحث الأول في تحديد ماهية ومفهوم اللسانيات الحاسوبية، ثم مناهجها، أما المبحث الثاني، فحاولنا إعطاء لمحة تاريخية عن هذا العلم ونشأته وتطوره، في حين يتناول المبحث الثالث، مجالات تطبيقات اللسانيات الحاسوبية ومنجزاتها.

مفهوم اللسانيات الحاسوبية

تعتبر اللسانيات الحاسوبية من أحدث فروع اللسانيات التطبيقية، في زمن يتعاظم فيه الاهتمام بالآلة والتقنية.[١] وهي مجال معرفي لغوي يعتمد الحاسوب في معالجة البيانات والمعلومات اللغوية(اليوبي، ١٩٩٨، ص، ٤٦)، وهذا العلم كما يقول نهاد الموسى» نظام بيني؛ بين اللسانيات وعلم الحاسوب يعنى بحوسبة جوانب الملكة اللغوية الإنسانية» (الموسى، ٢٠٠٠، ص.٥٣). وترجمتها إلى برامج حاسوبية، حيث ينتسب نصفه الأول إلى اللسانيات وموضوعها اللغة، ونصفه الآخر حاسوبي وموضوعه ترجمة اللغة إلى رموز رياضية يفهمها الحاسوب، أو تطويع اللغة الطبيعية لتكون لغة تحاور مع الحاسوب بما يفضي إلى أن يقوم الحاسوب بكثير من الأنشطة اللغوية التي يؤديها الإنسان،[٢] وتقوم على تصور نظري يتخيل الحاسوب عقلا بشريا، محاولة استكناه العمليات العقلية والنفسية التي يقوم بها العقل البشري لإنتاج اللغة وفهمها وإدراكها (العناتي، ٢٠٠٥، ص.٦٢). وهذا يعني أن اللسانيات الحاسوبية هي علم مركب بين اللغة و الحاسوب كأداة تقنية تعالج المعطيات اللغوية في مجالاتها المتعددة. وفي هذا الشأن يقول إبراهيم بن مراد: فإن اللسانيات باعتبارها علما، ذات صلة وثيقة بالتقنيات الصناعية، وهذه الصلة لا تقل أهمية عن صلة العلوم الفيزيائية أو الكيميائية بالتقنيات الصناعية.[٣] وهي علم يعنى باستخدام الحاسوب و تطبيق مناهج العلوم المعتمدة عليه في دراسة اللغة، ولاسيما في الترجمة الآلية، وتمييز الكلام و الذكاء الاصطناعي، أي العمليات التي تقوم به الآلة بعد تلقينها المعلومات في حقل معين.[٤] ويعرفها نيوقس على أنها تشكيل للنظريات، والنماذج

١ العناتي وليد أحمد،» اللسانيات الحاسوبية العربية: رؤية ثقافية «، فكر ونقد، العدد١٢ ، أكتوبر٢٠٠٦ ، ص ٢٧.

٢ العناتي وليد أحمد، المرجع السابق، ص ٢٧.

٣ إبراهيم بن مراد، (٢٠٠١): المعاجم العلمية العربية المختصة ودور الحاسوب، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع ٠٤، ص. ٩٣.

٤ ينظر: البحث الخامس من الكتاب: ترجمة مصطلحات اللسانيات الحاسوبية وتعريفاتها عبر مواقع

اللغوية أو تنفيذها على الآلة، ويرى بإمكاننا النظر إليها على أنها وسيلة لتطوير نظرية لغوية جديدة بمساعدة الحاسب (الغامدي،٢٠١٧، ص٦-٥). ومن الواضح أن هذا المصطلح الجديد أصبح منتسبا ومرتبطا بالحاسوب باعتباره آلة « تتجلى فيها معالجة المعلومات بطريقة آلية»[٥] ويفهم من ذلك أن اللسانيات الحاسوبية هي مجال تتداخل فيه التصورات اللسانية والحاسوبية، وهي ناشئ من هذا التواصل مع الحواسيب، ويخدم الأهداف المتعلقة به التي تنحصر في حل المشكلات المعقدة وتتصل بحوسبة اللغة.[٦] كما يتضمن نمذجة النظريات اللسانية واختبارها.[٧] وبذلك فإن اللسانيات الحاسوبية تنشئ برامج حاسوبية معدة لمعالجة الكلمات والنصوص في اللغة الطبيعية، لم تكن تعتمد في أغلب الأحيان على ما تقدمه اللسانيات من معلومات حول الوقائع اللغوية. فعلى الرغم من الأهمية التي يكتسيها توثيق مصطلحات اللسانيات الحاسوبية وضبطها يظل العالم العربي بعيدا كل البعد عن هذا الإنجاز بسبب غياب الرؤية الاستشرافية، والدراية بالمستجدات المعرفية المتعلقة به (حجازي، ١٩٩٤، ص.٤١.).

وللسانيان الحاسوبية جانبان مرتبطان: جانب نظري وجانب تطبيقي، أما اللسانيات الحاسوبية النظرية، فتتناول قضايا في اللسانيات النظرية؛ أي النظريات الصورية الشكلية للمعرفة اللغوية التي يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها(الموسى ٢٠٠٠، ص٥٤) ويعنى بالبحث عن كيفية عمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغوية كالترجمة الآلية من لغة إلى لغة أخرى.(الوعر، ١٩٨٩، ص.٣١٧). وأما التطبيقي فيعنى بالناتج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة، وهو يهدف إلى إنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية من أجل تحسين التفاعل بين الإنسان والآلة؛ إذ إن العقبة الأساسية في طريق هذا التفاعل بين الإنسان والحاسوب إنما هي عقبة التواصل.» وتمثل الترجمة الآلية إحدى غاياته الأساسية، وهو استثمار النظريات الصورية للمعرفة اللغوية، وتطوير تطبيقات حاسوبية تتناول اللغة الطبيعية، و تحاكي فيها الفعل اللغوي عند الإنسان وهذا الفعل نوعان: تحليل وتركيب. فالتحليل يراد به الفهم، أما التركيب فيعني الإنتاج

الترجمة الآلية.

٥ بابا أحمد رضا، اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة»، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة تلمسان، الجزائر: د.ت، ص.٣. http://www.aot.org.lb

٦ استيتية سمير شريف، (٢٠٠٥)، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ط.١،عالم الكتب الحديث، ال أردن، ص.٥٢٧.

٧ بابا أحمد رضا، اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة»، مرجع سبق ذكره، ص.٥..

أو التوليد. فإذا كان الجانب النظري يختص بمعرفة كيفية عمل الدماغ الإلكتروني، فإن الجانب التطبيقي يختص بتسخير ذلك العقل لحل القضايا والمشكلات اللغوية، لذا ينبغي توصيف المواد اللغوية له توصيفا دقيقا بحيث تستنفذ كافة الإشكالات التي يستطيع الإنسان إدراكها.[٨]

وبهذا فاللسانيات الحاسوبية هي علوم حديثة تستخدم الحواسيب في تحويل النصوص والمعلومات اللغوية إلى لغات الحاسب الرقمية لتحليلها وترجمتها للغات أخرى (نبيل، ١٩٨٨، ص01). تقوم على التخطيط والتنظيم والبرمجة. وبذلك يقدم علم اللغة الحاسوبي نظريات وتقنيات تسهم في بناء اللغة وفهمها عن طريق استعمال الحاسوب، بمعنى أن اللغة تحتاج إلى الحاسوب لكتابة مفرداتها ومعالجتها معالجة رقمية، وتحدد خصائصها الآلية. وهو تحويل الوجود المادي للغة إلى نظام من البيانات على أساس البطاقات التقنية وتعد اللسانيات الحاسوبية فرع من اللسانيات التطبيقية المتصلة بالذكاء الاصطناعي.[٩] وفي معجم الحاسبات تعرف اللسانيات الحاسوبية بأنها:علم جديد تتقاطع فيه اللسانيات مع جهاز صوري تفرزه العلوم المنطقية الرياضية ويخضع للقيود التي تفرضها الآلات المعدة للمعالجة الآلية للمعلومة، ويؤدي البحث في هذا المجال إلى إنشاء نموذج خوارزمي[١٠] ويبين هذا التعريف ظهور علم جديد يبرز أهمية المعالجة الآلية للمعلومة وارتباطها الوثيق باللسانيات ذات اللغة الطبيعية في ظهورها، وتطورها المستمر لصياغة نموذج خوارزمي يتمثل في خطاطة رياضية للغة تستخدم في الحاسوب. كما يتبنى عبد الرحمن الحاج صالح تعريفا، بأن اللسانيات الحاسوبية تلتقي في علوم اللسانيات وعلوم الحاسوب، باعتباره «ميدان علمي وتطبيقي واسع جدا كما هو معروف إذ يشمل التطبيقات الكثيرة كالترجمة الآلية، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، وتعليم اللغات بالحاسوب.»[١١] ويتبين أن هذا العلم يشمل مجالات تطبيقية متعددة تعالج اللغة وأخطاءها. فهي دراسة علمية للغة الطبيعية من منظور حاسوبي، وهذه الدراسة لا يمكن أن تتم إلا ببناء برامج حاسوبية لأنظمة اللغات البشرية من خلال محاكاة نظام عمل

٨ العناتي وليد، (٢٠٠٣)، اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط.٢، دار الجوهرة للنشر، عمان، ص.٥٤-٥٥.

٩ منعم سناء، (٢٠١٥)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، منشورات مختبر العلوم المعرفية ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص: ٩٣- ١٠٠-١٠٢.

١٠ ينظر: معجم مصطلحات الحاسبات، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٤، ٢٠١٢، ص. ٧

١١ الحاج صالح عبد الرحمن، (٢٠٠٧)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج. ١، ص٢٣٠.

الدماغ البشري لنظم عمل الحاسب الآلي الذي يعتبر آلة ذكية تحاكي وظائف الإنسان وقدراته الذهنية.(مهديوي، ٢٠٠٨، ص.١٧).

وباعتبار الحاسوب آلة ذكية تحاكي قدرات الإنسان الفكرية، فإن اللسانيات الحاسوبية تسعى إلى تفسير كيفية اشتغال الفكر البشري باللغة نحو معرفتها واكتسابها، وبذلك فإن الحاسوب أصبح أهم المجالات التطبيقية التي تعمل على برمجة فرضياتها، واختبارها حول الكيفية التي يشتغل بها الدماغ البشري، وسرعة الانتشار الثقافي الواسع الذي يستخدم فيه الحاسوب لتداول المعلومات بحيث تستفيد منه اللغة في إنجاز تطبيقات لغوية، وذلك باللجوء إلى أساليب الذكاء الاصطناعي وهندسة المعرفة، فالعقل البشري له القدرة على إنتاج النظام الرمزي اللغوي الذي يستخدمه في التواصل، وتخزين المعرفة، ونقلها. ومن جانب ذلك حاولت جمعية اللسانيات الحاسوبية ACL تعريفها قائلة: «إنها الدراسة العلمية للغة من زاوية الإدراك الحاسوبي؛ وبالتالي فإنها تهتم بحوسبة مختلف النماذج والظواهر اللسانية؛ التي بإمكانها أن تكون قاعدة للمعارف على سبيل المثال. أما العمل بها فيبرره الإدراك العلمي بخصوصيات الظواهر اللغوية؛ أو ظواهر علم النفس اللساني تارة، والاحتياجات التكنولوجية لدراسة الخطاب أو أنظمة اللغة الطبيعية تارة أخرى»[١٢].

وتتألف مبادئ اللسانيات الحاسوبية من:» اللسانيات العامة بكافة مستوياتها التحليلية: الصوتية والنحوية والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية، وعلم الذكاء الاصطناعي وعلم المنطق ثم علم الرياضيات. إن كل هذه الفروع تتناسق وتتآلف لتشكل مبادئ علم اللسانيات الآلي»[13] وبهذا تهدف اللسانيات الحاسوبية إلى مقاربة القدرة اللغوية في فهم العمليات اللغوية، وكيفية تشكلها في العقل البشري، وجعل:» بعض ما يستقر في (اللاوعي) داخلا في دائرة وعي اللغة، وذلك هو الشرط الرئيس لنقل هذا الوعي إلى الحاسوب عند أهل اللسانيات الحاسوبية.[١٤] كما تهدف إلى جعل مستخدم الحاسوب، يتعامل مع حاسوبه بلغته الطبيعية وما يكتنفها من أخطاء.

---

١٢ http://acl.ldc.upenn.edu/p/p٧٩/

١٣ الوعر مازن، (١٩٨٤). اللسانيات والعلم والتكنولوجيا نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الإلكترونية. مجلة اللسان العربي، ع ٢٢، الرباط، ص١٩.

١٤ الموسى نهاد، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، مرجع سابق، ص٥٧.

منهج اللسانيات الحاسوبية

يبدو أن مفهوم «اللسانيات الحاسوبية» هو مفهوم شامل تتداخل فيه علوم اللسانيات بعلوم الحاسوب، وذلك بدراسة موضوعات لغوية عن طريق استخدام الحاسوب، مهما اختلفت المناهج والتوجيهات العلمية بين هندسية يطغى عليها التوجه الآلي التقني وبين معرفية يشيع فيها إنشاء النماذج الحاسوبية، سواء في جانبها النظري أو من خلال تطبيقاته المتعددة.[١٥] لكن يصعب تحديد منهج واحد لهذا المفهوم نظرا للاختلاف الواضح لتوجهات الباحثين وآرائهم العلمية التي تختلف من منظور لغوي معرفي يعالج بشكل آلي إلى اعتباره جزء من منهج الذكاء الاصطناعي، الذي يتضمن الفكر الطبيعي البشري الذي يعتمد على الدماغ في حل المشكلات كالترجمة اللغوية، كما يشمل قواعد تطبيقية رقمية تعتمد على الرموز الرياضية بخلاف من يعتمد على المناهج الإحصائية لإحصاء المواد اللغوية وتحليل اللغات البشرية وتركيبها، وهي في ذلك بحاجة إلى تمثيل مختلف المعارف اللسانية النحوية منها والدلالية في الحاسوب على غرار ما تمثل به في الدماغ البشري[١٦] وبالتالي، فإن اقتران اللسانيات الحاسوبية باللسانيات النظرية، له منهج خاص في دراسة الوقائع اللغوية وتحليلها، عن طريق الاستفادة من الأسس النظرية للسانيات العامة وحوسبتها من خلال المعالجة الآلية. ويمكن توضيح منهج اللسانيات الحاسوبية فيما يأتي:

اعتماد المنهج الوصفي

يتعين على المعنيين باللسانيات الحاسوبية في مسعاهم توصيف قواعد اللغة بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة لأغراض البرمجة الحاسوبية إتباع المنهج الوصفي؛ ويقوم هذا المنهج الوصفي على استقراء معطيات النظام الكلي للعربية الذي نص عليه علماء العربية في كتبهم على اختلاف مناهجهم قديما وحديثا. بيد أنهم في مسعاهم هذا لا يقفون عند الوصف المتعارف وحسب، بل يتجاوزن ذلك إلى ما لم ينص عليه الأوائل مما اعتمدوا عليه على الحدس البشري(كنالي،٢٠١٣، ص.٩).

---

١٥ مهديوي عمر، (٢٠٠٨)، توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية - الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، وحدة علوم اللغة العربية و المعجميات، ١٦.

١٦ الوعر مازن، (١٩٨٨)، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، دار طلاس، دمشق، ط. ١، ص. ٣١٧-٣١٩

اعتماد منهج النمذجة

يعتمد علم اللسانيات الحاسوبية على منهج النمذجة التي هي مجموعة من الفرضيات حول مستويات التمثيل يفسر بها الباحث مظهرا حاسوبيا للغة، ويطور فيها نماذج نظرية لتفاعل تلك المستويات، وتظهر جليا في وصف السيرورات الذهنية الخاصة باللغة أي اللغة الضرورية للتعبير عن الخوارزميات، حيث يتم تركيب اللغة وتحليلها، بالإضافة إلى تحليل المشاكل في مستواها الحاسوبي، والمقصود بالنمذجة صياغة نماذج أي نظام عملياتي تحاكي بنيتها العلائقية سيرورة معينة كسيرورة اللغة.[١٧]

وتقتضي العلاقة بين الحاسوب واللسانيات، أن يخضع الاثنان لمنطق واحد، حتى يحصل التفاعل بينهما والنمذجة. فاللغة قادرة على أن تتواءم وتتناغم مع منطق الحاسوب، فهي تحمل المقومات التي تجعل منها ممكنة التمثيل حاسوبيا.

ج. الدراسات المقارنة والتقابلية

تعتبر الدراسات المقارنة والتقابلية من مناهج الدراسات اللسانية والاستفادة من القدرة التخزينية للحواسيب وسرعة المعالجة للغات التي تعني تلك المناهج والبرامج التي تعتمد كمعطيات منتوجات لغوية التي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات اللغات الطبيعية.[١٨]

وبناء عليه، نشير إلى أن المنهج في اللسانيات الحاسوبية يكمن في معالجة اللغة حاسوبيا بناء على ثلاثة أركان محورية هي: التخطيط، التنظيم، والبرمجة التي تؤسس في اللسانيات الحاسوبية مفهوما مركزيا يدمج منهجين: المنهج التجريدي، الرياضي الصوري ومنهج متوالية طرفيات الوحدات الحدية المنتهية يتم بها تفريغ الشارات الضوئية في ذاكرة الحاسوب داخل نطاق الأركان الثلاثة السابقة.

المبحث الثاني: تاريخ اللسانيات الحاسوبية وتطورها

تزامن ظهور هذا المصطلح – اللسانيات الحاسوبية- مع ظهور الحاسوب سنة ١٩٤٨م، وما إن توافرت الوسائل التكنولوجية والأسس العلمية حتى خرج إلى الوجود

١٧ بابا أحمد رضا، اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة، جامعة الجزائر، مرجع سابق، ص ١٨.

١٨ Matcel Cori.Traitement automatique des langues et formalisation en linguistique. Université Paris X-Nanterre. Plurital, ٢٠٠٤. P ٠٣.

الكمبيوتر الرقمي[١٩] حيث تم توظيفه في دراسة اللغة ضمن مجهودات الباحثين الذين طوروا من مجالات تطبيقاته، ومن ثم ظهر علم جديد زاوج بين اللسانيات والحاسوب، سمي باللسانيات الحاسوبية، أو هندسة اللغة، أو علم اللغة الحاسوبي. وهذا ما ذكره هانز أوزوكريت-أستاذ اللغويات الحاسوبية في جامعة سارلاند الألمانية- في تعريفه لها على أنها علم يقع في مرتبة وسيطة بين اللغويات وعلوم الحاسب، التي تهتم بالجوانب الحاسوبية لملكة اللغة البشرية، وينتمي هذا العلم إلى فئة العلوم الإدراكية ويتداخل مع الذكاء الاصطناعي.[٢٠] لكن البحث اللساني الحاسوبي اتخذ شكله الرسمي الأكاديمي في عام ١٩٥٤م في جامعة جورج تاون، حيث اعتمد في بداياته على الترجمة اللغوية الآلية إلى اللغة الإنكليزية، فهذه الترجمة لم تحقق الأهداف المتوخاة منها نظرا لغياب العتاد اللساني القادر على استيعاب خصائص النقل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. كما حاول الألسني الأمريكي «نعوم تومسكي التأقلم مع متطلبات المعالجة الآلية للغة، وعمل بالتنسيق مع الحاسوبيين(جوزف،٢٠١٢، ص ١٧)، ثم أخذت معالم هذا العلم تتبلور وتتشكل، ودعائمه تترسخ بعقد الملتقيات والندوات وإصدار المجلات.[٢١] وهذا يعني أن بداية الخمسينات من القرن المنصرم شهدت ولادة المعالجة الآلية للغات البشرية عند الغربيين. بينما عرف العرب العلوم الشرعية التي كانت من أسبق العلوم الإنسانية استخداما لتقنية الحاسبات الإلكترونية، ونظم المعلومات حيث شرع العمل بها والإفادة منها في السبعينات من القرن الماضي. ويعتبر الإحصاء اللغوي هو الميدان الأول لتطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية حينما حاول الطبيب محمد كامل حسين عند لقائه بالدكتور علي حلمي موسى سنة ١٩٧١ الربط بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي والاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية للوقوف على نسج الكلمة العربية، حيث إدخال المواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، ووضع برامج له بإحدى لغات الكمبيوتر، ثم التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج.[٢٢] وهي عملية لا يمكن اعتبارها معالجة آلية، وإنما إحصاء لغويا باستعمال الحاسوب. غير أن اتصال اللسانيات

١٩ نبيل علي، (٢٠٠١)، الثقافة العربية و عصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، عالم المعرفة ٢٦٥- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص٦٨.

٢٠ أبو الحجاج محمد بشير، المعالجة الآلية للغة العربية، جهود الحاضر وتحديات المستقبل، مجلة لغة العصر، نقلا عن http://www.jamaa.net

٢١ الوعر مازن، (١٩٨٩)، دراسات لسانية تطبيقية، ط.١، دار طلاس، دمشق: ١٩٨٩، ص، ٣٢٥.

٢٢ العارف عبد الرحمن بن حسن، (٢٠٠٦)،» توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج»، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، عدد ٧٣، ص.٤٨-٥٠.

بالحاسوب هو من ابتداع القرن العشرين عصر ثورة المعلومات. ويرجع سبب ذلك الارتباط بين الحاسوب وعلم اللغة، إلى كون الحواسيب تمثل أوج التطور التكنولوجي، في حل كثير من مشكلاتها المعقدة، حيث استطاعت النظرية الحاسوبية أن تتكيف مع الحواسيب الحديثة النشأة، وأن تؤثر في العلوم المجاورة لها ومنها اللسانيات.[٢٣] وقد أكد تشومسكي هذا الاتصال حين اعتبر نسق القواعد الذي يشكل بنية النموذج التوليدي التحويلي نسقا تضبطه النظرية الحاسوبية؛ حيث يقول:»فاللغة باختصار يبدو أنها في جوهرها نظام حوسبي غني معقد البنية بدقة كاملة، وصارم في عملياته الأساسية.» وهذا يعني أن القواعد النحوية في النطق تشبه القواعد الصورية في الحاسوب أثناء أدائه.

ويستنتج مما تقدم أن اللسانيات الحاسوبية هي علم تتداخل فيه نظريات علوم اللغة، وعلم الحاسوب، حيث تعمل على معالجة الوقائع اللغوية في إطارها التقني الذي يعتمد على الحاسوب باعتباره آلة رقمية متعددة التخصصات في المعالجة الآلية التي تعددت مجالات تطبيقاته على اللغة. وهذا يعني أن اللسانيات الحاسوبية تعنى بما هو لساني لغوي يقوم بتحليل الأنظمة اللغوية على المستوى النظري من جهة، ومن جهة أخرى تعنى بمعالجة هذه اللغة من خلال تحليلها وتركيبها.

المبحث الثالث: مجالات تطبيقات اللسانيات الحاسوبية و منجزاتها

يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في سياق حديثه عن اللسانيات الحاسوبية بأنها» ميدان علمي وتطبيقي واسع جدا، إذ يشمل التطبيقات الكثيرة كالترجمة الآلية، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، وتعليم اللغات بالحاسوب، والعمل الوثائقي الآلي، وتنطيق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية وغير ذلك من البحوث الطلائعية.[٢٤]

وإذا كانت مجالات الإحاطة باللغات البشرية متعددة، فإن الحوسبة اللغوية ستتعدد أوجهها، لتشمل الدراسات الأسلوبية، والمعجمية، والتأليف النصي، والترجمة الآلية، وغيرها من التطبيقات، إذ إن:» التطور في هذا الحقل مرهون بمدى توسع معارفنا اللغوية، وقدرتنا على وضع أطر ملائمة للمشاكل اللسانية بطريقة تجعلها تتواءم ومتطلبات الحاسوب» .

إن التزاوج بين الحاسوب واللغة، قادر على إكساب اللغة الارتقاء، والكفاءة،

٢٣ Lazar (Judith), La science de la communication, Editions Dahlab, Alger ,٢e éd ,١٩٩٣, p.

٢٤ عبد الرحمن الحاج صالح، (٢٠٠٧)، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، ج ١، ص. ٢٣٠-٢٣١.

والحيوية، والمرونة، والخصوبة، والمنطقية، وستجد اللغة نفسها لغة للبرمجة، وتتجلى أهمية معالجة اللغة آليا، في إمكانية تحليل المواد اللغوية العالمية على الحاسبات الإلكترونية لمعرفة بنيتها وحركيتها. وبذلك فإن ميادين المعالجة وأشكالها ستتعدد وفق تعدد مستويات اللغة المتمثلة في الصرف، والنحو، والدلالة، والمعجم. وتبرز مجالات المعالجة الآلية للغات الطبيعة في الأصوات والأنظمة الصوتية، واستنطاق النصوص و الصرف، ووضع المعاجم اللغوية، ووضع برامج لمعالجة النصوص، وتجري المعالجة الآلية للغات الطبيعية في أربع مراحل، وهي: العلاج الصرفي؛ والعلاج التركيبي؛ والعلاج الدلالي؛ العلاج الواقعي (التداولي). ومن أهم هذه المجالات:

الترجمة الآلية

تعد الترجمة الآلية من أقدم مجالات استخدام الحاسوب في اللغة، وهي تعني حسب مجلة ميتاMétal «مجموع النظم التي تسمح بترجمة نص ما عن طريق الآلة وحدها دونما تدخل من أشخاص مؤهلين في هذا المجال أثناء عملية الترجمة، كما أنها تدخل الذكاء الاصطناعي عن طريق مساعدة الحاسوب لأداء فعل الترجمة عن طريق الأنماط اللغوية والمعرفية المخزنة بفعل تراكيب ومصطلحات يسترجعها في مقابل اللغة التي يترجم منها (بلعيد، ٢٠٠٠، ص.٢٠٢). وتمر بثلاث مراحل: مرحلة التحليل، حيث تبدأ عملية الترجمة بالتحرير المسبق، ويتم العمل على مراجعة مبدئية للنص المراد ترجمته، وتنقيحه، ثم يشرع الحاسوب في التحليل الصرفي للنص للتعرف على أجزاء الكلمات ومكوناتها، وبذلك يقوم الحاسوب بالتحليل النحوي للنص، ثم هناك مرحلة النقل على المستوى المعجمي والمستوى التركيبي، وأخيرا مرحلة التوليد أي التركيب على المستويين الصرفي والنحوي. وكانت فكرة الاستعانة بالحاسوب في الترجمة قد طرحت عام ١٩٤٩م بأمريكا، ثم تحولت إلى مشروع علمي عام ١٩٥١م في معهد ماساتشوستس للتقنية (M.I.T)، وكان عام ١٩٥٤م ميلاد الترجمة الآلية الفعلي، التي كانت مقتصرة على ثنائية اللغات، أي اللسانيات التقابلية، لكن حاليا يتم ترجمة عدد كبير من اللغات أي ما يعرف بالترميز الرقمي. أما واقع الترجمة الآلية في الوطن العربي فقد حدث في التسعينيات من القرن العشرين تطورا نوعيا في مشروعات الترجمة الآلية على المستويين النظري والعملي. فعلى المستوى النظري فقد اقتصرت الأبحاث النظرية على تحديد الصعوبات التي تعترض الترجمة الآلية، وكيفية التغلب عليها، أما على المستوى العلمي، فقد أسهمت فيها جهود ذاتية، وشركات تجارية، ومن ذلك برنامج شركة صخر المسمى (القاموس(،

وبرنامج الناقل العربي، وبرنامج ترجمان، وبرنامج المترجم، وبرنامج عرب ترانز... إلخ. و هكذا تكون الترجمة الآلية عبارة عن نص خام يحتاج إلى تقوية وتدعيم بشري من أجل تصفيته وترميم تراكيبه. وبذلك فإن الترجمة الآلية الصحيحة تحتاج إلى خبرة اللغويين العارفين بقواعد هذا النوع من الترجمة من حيث النحو والدلالة والتراكيب والصرف، وخبرة العارفين بتطبيقات الحاسوب لتوصيف اللغات الطبيعية.

صناعة المعجم الإلكتروني

يتطلب بناء المعجم الإلكتروني صياغة المصطلحات وتعميم استعمالها ونشرها وتداولها، إلا أن هذا الصنف من المعاجم يلم إلماما بجميع مستويات اللغة؛ أي أنه يعتمد على أدوات مشفرة وقاعدة معطيات مرمزة تخص مستويات اللغة، بحيث تخضع المادة المعجمية فيه لبناء يلم إلماما دقيقا بفروع اللغة، ويشترط في المعجم الإلكتروني الشمولية والعموم، لأن البرنامج اللساني لا ينبغي أن يفشل في العثور على أية معلومة كيفما كان نوعها، لأن أي خطأ في المعلومات المدخلة من شأنه أن يتسرب إلى باقي مفردات الجملة أو النص برمته، ومن ثمة عرقلة عمل البرنامج[٢٥] وكذلك المعجم فيه مفردات واضحة موائمة للمفردات المعجمية المراد معالجتها .كما تسعى اللسانيات الحاسوبية لإنشاء بنوك للمصطلحات، انطلاقا من تحرير مصطلحات مرفقة بمعلومات عن كل مصطلح، مفردة تكون مساعدة للمترجمين والمحررين والمتعلمين. ومن الأعمال في هذا الصدد نجد جهود منظمة المواصفات والمقاييس بوصفها شفرات المحارف الخاصة بتنميط لوحة المفاتيح العربية الحاسوبية ووضعها في الجهاز رهن إشارة المستخدم.[٢٦] كما يشترط في المعلومات أن تكون في المعجم الإلكتروني واضحة موائمة للمداخل المعجمية المراد معالجتها آلية. وبهذا، فإن المعجم الإلكتروني له علاقة بالبنوك المصطلحية، وذلك من خلال تنظيمه لها. وبذلك توفر المعاجم الالكترونية إمكانية البحث في المادة النصية المعجمية كلها.

إنتاج النصوص

كانت الحاجة للوصول لوسيلة تعوض الإنسان وتقيه عناء المراجعة والتصفح لمرات كثيرة للنصوص، فكان الحاسب بمحاكاته لذهن البشر خير بديل معتمد في ذلك برامج وأنظمة تمكنه من إعادة تصحيح وترجمة النصوص وتخزينها في ملفات مغلقة بالإمكان

٢٥ مهديوي عمر: توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٩٠.

٢٦ محمد الحناش، (٢٠٠٠)، محاضرات في اللغة العربية والحاسوب: جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص ١٧.

فتحها كلما دعت الحاجة لذلك. وبالتالي الحاسوب وفر إمكانية الإنتاج النصي المتعدد كالمراسلات والدعوات والتعليقات الصحفية والإعلانات الإشهارية.

التوثيق

وهو شكل من أشكال العمل البيليوغرافي الذي يستخدم وسائل متعددة كالكشافات والمستخلصات والمقالات البيليوغرافية إضافة إلى الوسائل والطرق التقليدية الأخرى كالتصنيف والفهرسة، وذلك لجعل المعلومات سهلة المنال والوصول إليها سهل أيضا. فالهدف من ذلك هو معالجة المعلومات الواردة بها بشكل يسهل على الباحث ولوجها عن طريق التجميع والاستخلاص والنشر، وذلك كالتصنيف الأوتوماتيكي للملفات والمؤلفات تبعا لفهارسها أو مؤلفيها أو مواضيعها. وعليه فإن البرامج اللّسانية الحاسوبية ترمي إلى توثيق المعلومات التي ترد على الذهن البشري كيفما كان نوعها ومهما بلغ حجمها.[٢٧] وبهذا أصبح الحاسوب الوسيلة السريعة التي يلجأ إليها الجميع لتسهيل عملية تبادل المعلومات، وتخزينها وأرشفتها.

تعليم اللغات بالحاسوب

إن اللسانيات الحاسوبية علم تطبيقي، اهتم بمجال أساس هو تعليم وتعلم اللغات والثقافات، وقد اعتمدت لتلك الغاية الحاسوب، باعتباره من أهم الوسائط التي تمزج بين الصوت والصورة والكتابة، والهدف الأسمى من هذه العملية هو تجاوز الطرق التعليمية التقليدية القائمة على "التلقين والتحفيظ والتسميع؛ أسلوبا أساسيا ورئيسيا في نقل المعرفة" (السيد محمود، ١٩٩٨، ص.١٣٧)، الشيء الذي أدى إلى إعداد برامج حاسوبية تعليمية، تتماشى مع النظريات البيداغوجية والتعليمية الراهنة، ولشركة صخر جهود في إعداد برامج لتعليم اللغة العربية، ومن ذلك برامج أ. ب. ث، ويماها yamaha، والمدقق الإملائي، وغيرها. أما بالنسبة لتعلم اللغة العربية، فيجب «إنجاز برمجيات تتماشى مع خصائص اللغة العربية، من حيث استخدام الحاسوب بهذه اللغة، وتعليم اللغة العربية وقواعدها بواسطة الحاسوب»[٢٨] بمعنى أن تكون اللغة العربية بالاعتماد على البرامج الحاسوبية، هي أداة التعليم و التفاعل، باعتبارها اللغة الواصفة، والمتعلمة أيضا.

---

٢٧ مهديوي عمر: توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقاربة لسانية حاسوبية - مرجع سابق، ص. ٢١.

٢٨ الهبايلي حسين، بن رحومة محمد كمال، (م١٩٩٦)، ميادين تطبيق استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، ص، ٢٢٠.

التحليل الصرفي الآلي

إن هذه المهمة تفيد جدا الباحثين والدارسين في القرآن الكريم، والمعاجم والكتب اللغوية، وذلك في عمليات الإحصاء للجذور ومشتقاتها واستخلاص نتائج دقيقة تصف أداء المؤلف أسلوبيا. وهكذا، يتضح أن علوم اللغة وعلوم الحاسوب يقوم على ثلاثة طرق، كما يقول راستيي Rasteir، الطريقة الأولى يكون فيها التحليل اللساني ذات أولوية بالنسبة للمعالجة المعلومية أو الحاسوبية، ويسمح هذا النوع بتحليل أولي للمدونة تبعا للمهمة المنتظر تنفيذها من الحاسوب. في حين، توجه الطريقة الثانية، وهي التحليل اللساني أو التحليل المعلومي في إطار إستراتيجية استعمال البرامج الحاسوبية.

الفهرسة الآلية

تشكل الفهرسة الآلية خطوة كبرى في مجال العقلنة الآلية لفهرسة الكتب، ويعد هذا البرنامج الأول من نوعه على الصعيد العربي. ومن مهامها: فهرسة الكتب وذلك عن طريق استخلاص الكلمات والتراكيب المفتاحية، كما أنه يتيح عدة اختيارات في مجال الفهرسة: ألفبائيا، أو وفق ساق الكلمة، أو حسب تكرارها. ويعتمد على ركيزتين أساسيتين هما: التحليل الإحصائي؛ وتقنيات التحليل.

الملخص الآلي

يمكن تلخيص خصائصه في قدرته الفائقة على استخراج الأفكار الرئيسية من الوثيقة وتقديمها بطريقة مختصرة؛ وتحديد حجم النص الأصلي، والجمل، والكلمات المرغوب إيجادهم في النسخة الملخصة؛ وبذلك فإن الملخص الآلي مهيأ ليصبح إحدى تقنيات المستقبل اللازمة في توفير الوقت عند التعامل مع الكميات الضخمة من المعلومات.

الصوتيات الحاسوبية

تعتبر الصوتيات أحد فروع علوم اللسانيات ويشكل المستوى الأدنى من مستويات الدراسات اللغوية، وقد تأسس على قواعد علمية صلبة فيما يتعلق بجمع قواعد البيانات ذات العلاقة بأصوات اللغة أو الدراسات. وهو يتعلق بأصوات اللغة من حيث مخارجها وخصائصها الأكوستية وسماعها، ومن أبرز التطبيقات المتعارف عليها حاليا في مجال حوسبة الصوتيات نجد التعرف الآلي على الكلام، وتوليد الكلام آليا، والتعرف على

المتحدث آليا.

خاتمة

بالرغم من حداثة علم اللسانيات الحاسوبية إلا أنها شهدت تطورا سريعا على المستوى التطبيقي، ظهرت على إثره برمجيات تتعلق بحوسبة اللغة، ومعالجتها معالجة آلية، تتخذ من حوسبتها مجالات متعددة تشكل أهم المحاور في اللسانيات الحاسوبية لفهم خصائص اللغات، خاصة تعلم اللغة، أو توثيق المعلومات أو استخدام الترجمة الآلية، أو صناعة المعجم الإلكتروني، أو العمليات الحاسوبية الخاصة بمعالجة النصوص، كالبحث في النصوص والمدونات الكبرى. لكن رغم ذلك، فإنها تحتاج إلى جهود كبيرة لتنميتها وتوظيفها في خدمة اللغة بصفة عامة و اللغة العربية بصفة خاصة.

وبهذا، فإن نجاح البرامج الآلية المعالجة للغة الطبيعية متوقف على النظرية اللسانية ومدى قدرتها على تحليل الظواهر اللسانية اللغوية تحليلا صحيحا.

ومن أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث:

- أن مفهوم اللسانيات الحاسوبية يعتبر من المصطلحات الحديثة المعاصرة التي دخلت علم اللسانيات التطبيقية كفرع من فروعها؛
- أن اللسانيات الحاسوبية مجالاتها متعددة ومختلفة في تطبيقاتها؛
- أن اللغة لها علاقة تطبيقية تقنية بالحاسوب، وأثر اللسانيات الحاسوبية على البرامج المتعلقة بمعالجة اللغات الطبيعية معالجة آلية؛
- أن اللسانيات الحاسوبية لها عدة مناهج، كالمنهج الوصفي، والنمذجة، والمنهج التجريدي، الرياضي، ومنهج متوالية الوحدات الحدية المنتهية؛
- أن التزاوج بين الحاسوب واللغة، قادر على إكساب اللغة الارتقاء، والكفاءة، والحيوية، والمرونة، والخصوبة، والمنطقية، وستجد اللغة نفسها لغة للبرمجة والمعالجة الآلية.

توصيات

من مجمل التوصيات التي تهتم باللسانيات الحاسوبية:

- اهتمام الباحث العربي بعلم البرمجة والمعالجة الآلية للغة الطبيعية تيسيرا لأعماله التطبيقية والتحليلية.
- العمل الجماعي بين علماء اللغة والهندسة والحاسوب كفيل بتطوير علم اللسانيات وربطه بالحاسوب

- حوسبة اللغة العربية وترجمتها، أي جعل الحاسوب قادرا على معالجتها إفرادا وتركيبا وممارسة التدقيق الإملائي والنحوي عليها، فكلما ازداد الوجود الرقمي للغة معينة ازدادت الحاجة لحوسبتها
- دعم اللغة العربية وترقيتها إلى مكانة مهمة في مجال اللسانيات الحاسوبية حتى ترقى بالاهتمام بين اللغات العالمية
- تزويد الحاسوب بكم هائل من النصوص العربية المشكولة والقابلة للمعالجة الآلية.
- انجاز بحوث ميدانية علمية عن البرامج الآلية المعتمدة في اللسانيات الحاسوبية.
- الاهتمام بدراسة هذا العلم في جميع المؤسسات التعليمية.

المصادروالمراجع

المراجع بالعربية

الكتب

- استيتية سمير شريف، (٢٠٠٥)، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص، ٥٢٧.
- جوزف طانيوس لبس، (٢٠١٢م)، المعلوماتية واللغة والأدب والحضارة (الرقم والحرف)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط ١، ص ٢٢٤.
- حميدي بن يوسف، (٢٠١٩)، مفاهيم و تطبيقات في اللسانيات الحاسوبية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط، ١، مجلد، ١، ص، ١٦٢.
- خالد حوير الشمس، (٢٠٢٠): اللسانيات الحاسوبية: تنظيرا وتطبيقا، ط ١، مركز الكتاب الأكاديمي، جامعة ذي قار. ١٤٠ ص.
- صالح بلعيد، ٢٠٠٠، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر ص ٢٠٢.
- عبد الرحمن الحاج صالح،(٢٠٠٧)، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، ج ١، ص. ٢٣٠-٢٣١.
- عبد الله بن يحيى الفيفي، مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية(٢٠١٧)، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط ١، ١٩٤ ص.
- محمود فهمي حجازي، (١٩٩٤)، المصطلح العربي الحديث، ووسائل وضعه وحصيلة تطبيقاته في المؤسسات العربية المصطلحية المختصة، مركز اللغة العربية، جامعة القاهرة، ص.٤١.
- معجم مصطلحات الحاسبات،(٢٠١٢)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٤، ص. ٧
- الموسى نهاد، (٢٠٠٠)، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ط١، مج ١، ص ٢٩٤.

- الهبايلي حسين، بن رحومة محمد كمال، (١٩٩٦)، ميادين تطبيق استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، ص، ٢٢٠.
- الوعر مازن، (١٩٨٩)، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- سورية- دمشق. ص.٣١٧.
- المقالات من الانترنيت
- أبو الحجاج محمد بشير، المعالجة الآلية للغة العربية، جهود الحاضر وتحديات المستقبل، مجلة لغة العصر، نقلا عن http://www.jamaa.net
- بابا أحمد رضا، « اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة»، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة تلمسان، الحزائر: د.ت، ص.٣: www.aot.org.lb

الأبحاث العلمية والمقالات

- إبراهيم بن مراد، (٢٠٠١): المعاجم العلمية العربية المختصة ودور الحاسوب، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع ٠٤، ص. ٩٣.
- بلقاسم اليوبي،(١٩٩٨)،" اللسانيات الحاسوبية: مفهومها وتطورها ومجالات تطبيقاتها"، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس،عدد ١٢، ص ٤٦
- سعيد فاهم، (٢٠١٥)، قراءة في الإسهامات اللسانية الحاسوبية العربية- آفاق ورهانات- جامعة مولود معمري مركز البحث العلم والتقني لتطوير اللغة العربية مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد ٣٦. ص ١٢٩- ١٣٩.
- السيد محمود أحمد،(١٩٩٨)، اللسانيات وتعليم اللغة، ط ١، دار المعارف للطباعة والنشر، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة، عدد، ٩، تونس، ص، ١٣٧.
- **طارق عبد الحكيم أمهان**، (٢٠١٨)، اللسانيات الحاسوبية ومشكلة حوسبة اللغة العربية خطوة باتجاه الحل، شبكة الألوكة، مج. ١، ص ٢٣.
- العارف عبد الرحمن بن حسن، (٢٠٠٦)، « توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج»، مجلة المكتبات و المعلومات العربية، عدد ٧٣، ص.٤٨-٥٠.
- عبد الرحمن الحاج صالح، (٢٠٠٧)، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج ١، ص، ٤٤٤.
- العناتي وليد أحمد، (٢٠٠٥)، اللسانيات الحاسوبية (المفهوم، التطبيقات، الجدوى)، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، المجلد السابع، العدد الثاني، ص٦٢..
- العناتي وليد أحمد،» اللسانيات الحاسوبية العربية: رؤية ثقافية «، فكر ونقد، العدد، ١٢، أكتوبر٢٠٠٦ ، ص ٢٧.

- العناتي وليد، (٢٠٠٣)، اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط.٢، دار الجوهرة للنشر، عمان، ص.٥٤-٥٥.
- محمد الحناش، (٢٠٠٢)، محاضرات في اللغة العربية والحاسوب: جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص ١٧.
- منعم سناء،(٢٠١٥)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، منشورات مختبر العلوم المعرفية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص٩٣- ١٠٠-١٠٢.
- مهديوي عمر، (٢٠٠٨)، توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية- مقاربة لسانية حاسوبية- الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، وحدة علوم اللغة العربية والمعجميات، ص، ١٧.
- نبيل علي، (١٩٨٨)، اللغة العربية والحاسوب، مؤسسة تعريب، الكويت، ص١٠.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، عالم المعرفة ٢٦٥- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير ٢٠٠١ م، ص٦٨.
- وجدان محمد صالح كنالي، اللسانيات الحاسوبية العربية، الإطار والمنهج المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية ٠٧-١٠ماي ٢٠١٣، دبي، ص٩.
- الوعر مازن، (١٩٨٤)، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا... نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الإلكترونية. مجلة اللسان العربي، ع ٢٢، الرباط، ص١٩.
- الوعر مازن، (١٩٨٨)، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، دار طلاس، دمشق، ط.١، ص. ٣١٧-٣١٩
- اليوبي، نقلا عن برجس عزام، وكتابه مراكز المعلومات، ص، ٥٠.
- يوسف زهير الزرعي، (٢٠١٨م): إسهامات النظريات اللغوية الحديثة في اللسانيات الحاسوبية، وانعكاساتها على اللغة العربية دراسة: نظرية-تطبيقية، رسالة الماجستير في الدراسات اللغوية، جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، ١٧٨ ص.

المراجع بالأجنبية

- Lazar (Judith), La science de la communication, Editions Dahlab, Alger ,2e éd .,١٩٩٣, p. ٣٦.
- Matcel Cori. Traitement automatique des langues et formalisation en linguistique. Université Paris X-Nanterre. Plurital. Octobre ٢٠٠٤. P ٠٣.

مزايا العربية

أ.د. أحمد إبراهيم رحمة الله
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت سابقا

كما أنتم تعرفون أن اللغة العربية هي مشتقة من الأصل السامي (SEMETIC) ومنها السريانية والعبرية والكلدانية حيث هناك بين هذه اللغات مشابهات كثيرة مثل شمس يقابلها بالسريانية شمسو وبالعبرية شمس وبالكلدانية شمسا.

نقدر هنا أن أصل هذه اللغات كان واحدا. هكذا يثبت بعض العلماء ادعاءهم بأن العربية هي اللغة الأصلية القديمة عند البشر. قد يعتبر أن القحطانيين الذين كانوا يعيشون فى صحراء يمن القديمة منذ قديم الزمان وكانوا منفصلين من بقية الشعوب فلغتهم لم تكن مختلطة باللغات الأخرى واتفق العلماء الباحثون فى تاريخ اللغة العربية على أنهم عرب وانضم إليهم فيما بعد العدنانيون أو الناس فى شمال الجزيرة.

وهم كانوا ينطقون العبرانية والكلدانية ثم تعلموا لغة الجنوبيين القحطانيين وأصبحوا جميعهم فيما بعد العرب ونسوا أو تركوا لغة أبيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

هكذا يقر بعض العلماء أن البابليين والسبط أيضا فى عصرهم الأول كانوا عربا كما كان د/طه حسين يصره فى كتابه فى الأدب الجاهلي (ص:٨٢) أن أصل اللغات فى العالم كان العربية كما كان بعضهم يدعون بأن أبا البشر آدم عليه السلام نزل من الجنة إلى الأرض بلغته العربية فيجوز لنا إجراء بحث مفيد إلى طيات تاريخ هذه اللغة.

فهنا أريد أن الفّت اهتمامكم إلى خصائص هذه اللغة القديمة التي لم تتغير أبدا عبر القرون الماضية. ومن ثم أريد أن أتحدث عن خمس عشرة مزية من مزايا العربية بالإيجاز.

قدم اللغة

قد ذكرنا آنفا أن اللغة العربية أهم ميزاتها هي قدمها رغم أنها لاتزال تبقى حية حتى الوقت كما أنها جارية المفعول فى نواحي الحياة كلها مع جميع تراكيب اللغة القديمة كما هي تقريبا وهي كانت تستعمل من أكثر من خمسة عشرقرنا حيث لم تبق فى العالم أية لغة أخرى سواها بهذا القدم. ولكنا نرى أن اللغات الحديثة أمثال الإنجليزية والفرنسية قد أصبحت تراكيبها مبهمة حتى لا نقدر فهمها فهما يسيرا فلا نستطيع اليوم فهم لغة الأديب الإنجليزي المشهور تشاوسار(Chaucer) الذى عاش فى القرن السادس عشر الميلادي.

أما العربية فقد بقيت على امتداد تاريخها الطويل محافظة على أصواتها وألفاظها وأركانها وأحكامها كما على وحدتها وجملتها، ولم تصدع لتنقسم إلى أن تصير اللهجاة المحلية الدارجة أو التفاوت المحلي فى النطق والكلام لغة ولغة مختلفة متفاوتة وإنها لم تنقسم حتى إلى العربية القديمة وإلى العربية الحديثة كما يدعي بعضنا حتى يمكن لأي ولد من العرب الذي يدرس العربية اليوم أن يقرأ ما كتب أجداده عن عواطفهم ومشاعرهم قبل خمسة عشر قرنا بسهولة ويفهمه كل الفهم ويتمتع به كما يتمتع طلاب اليوم تلاوة امرؤ القيس خصوصا معلقته وفيه

«مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل»

سعة العربية

هذه من مزايا العربية الهامة. وكان الكاتب فى العربية يختار من الألفاظ ما يليق لموضوعه بدون أي مشقة أو عنت إذا ضاق عليه بعض الألفاظ حيث توجد فى هذه اللغة ألفاظ كثيرة كما تقدر هذه اللغة أن تعين موقعا لكل لفظ بأدق المناسبة و الدلالة لأنها لغة الثراء والغنى والسعة ولولا هذه السعة فكانت هذه اللغة مضيقة ولا توجد فيها كثرة الأسماء للمسمى الواحد. وقد عرفنا أن بعض العلماء فى اللغة قد عد أسماء السيف والأسد فى العربية وسجلوا فى الأوراق فتكون هذه الأوراق عديدة فهي تدل على سعة اللغة.

مرونة العربية

هي ما تتعلق بسعة اللغة أي هي تسمح للغة أن تولد الكلمات بواسطة القياس والاشتقاق والتعريب وغيرها من الطرائف والروافد الكثيرة. تأمل البيت لامرؤ القيس :

أفاد وجاد وساد وقاد وذاد وعاد وزاد وأفضل

هذا البيت يظهر ثراء اللغة وغناها أو كثرة مفرداتها ومرونتها. وفى هذا السياق عندنا عبارة من مقدمة ابن خلدون: «فالعربية جد غنية بثروة لغوية لا قدرة لأحد على أن يحصيها إحصاء، لأن هذه الثروة من الفخامة والسعة بحيث لا تسلس قياذها لمن يريد حصرها أو إحصاءها ، وإن أكثر مواد اللغة العربية غير مستعمل، وكثير منه غير معروف. قد قال الكسائي : قد درس من كلام العرب كثير وقال يونس بن حبيب البصري عن أبى عمرو أنه قال: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير».

أما غنى الألفاظ فتفيد اللغة العربية مرونة وسعة أكثر من أية لغة فى العالم المعاصر، أما الفرنسية فلا تحتوي إلا على ٢٥٠٠٠ كلمة والإنجليزية على ١٠٠٠٠٠ كلمة فقط عندما عددها فى العربية ستة ملايين وستمائة وتسع وتسعين ألفا وأربعمائة لفظ (٦٦٩٩٤٠٠). وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله عن غنى العربية: «لسان العربية أوسع الألسنة مذهبا و أكثرها ألفاظا، والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عن أهل الفقه».

الاشتقاق

«أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي» هذا حديث قدسي ورد فى مسند الإمام أحمد. فالمراد بهذا الحديث أن الله تعالى قد قال أن كلمة الرحم اشتقت من اسم الله تعالى الرحمن. فنرى أن اللغة العربية قد اتسعت فى هذا الطريق لجميع مصطلحات الحضارة بما فيها من علوم وفنون وآداب. هكذا عرفنا أن العربية تأخذ من الأصل الواحد عدة فروع كما يتفرع الفعل الماضي المجرد الثلاثي إلى أشكال عديدة أمثال فاعل، أفعل، تفعّل و استفعل. وقد تعجب الكاتب الانجليزي تي بي إرفينج (T.B. Irving) بهذا التميز العربية ثم تمهر فى العربية واعتنق الإسلام وقال: "إن هذه القوة فى اشتقاق الألفاظ تقودنا إلى هذه الثروة المدهشة من المفردات التي نواجهها حين نتعلم العربية. إن الجذور الصرفية العربية الكثيرة جدا بالإضافة إلى الموازين الصرفية الكثيرة جدا أيضا تجعل العربية من أوسع وأعظم لغات فى العالم، وإذا أخذنا هذه الخاصية فقط من بين جميع خاصيات العربية بعين الاعتبار، فان العربية جديرة بأن نسعى إليها ونتعلمها، وإنها واحدة من اللغات الكلاسيكية العظيمة وتقف جنبا إلى جنب مع الإغريقية وغيرها" (د/حمد بن ناصر النخيل: مغالات وآراء فى اللغة العربية- الطبعة الأولى – دار السبل بالرياض – ١٤١٥هـ) .

المترادفات

هذه الميزة للعربية هي خاصية التكوين الداخلي التي تجعلها منفردة بين اللغات فى العالم.

بعض الألفاظ يدل على شيء واحد مع اختلاف دلالتها المتفاوتة حسب درجات الشيء وأحواله وألوانه فمثلا العطش يدل عليه الظمأ، والصدي، والأوام، والهيام ويصور كل لفظ فيها درجة العطش. إذا اشتد العطش فيستعمل الظمأ وإذا اشتد الظمأ فالصدي وإذا اشتد الصدي فالأوام وإذا اشتد الآوام فالهيام، هكذا المترادفات هي الألفاظ تظهر فيها ألوان المعاني وظلالها حيث أن العربية تؤمن بالمعنى وتختار له اللفظ المناسب على حد تعبيره.

دقة الفروق العربية

هناك كتاب لأبى هلال العسكري على الفروق اللغوية ويدعي فيه أن العربية تتميز بالفروق الدقيقة بين الألفاظ والكلمات فتخيلها مترادفة مثل الحقيقة والحق، فالحقيقة ما وضع من القول موضعه فى أصل اللغة حسنا أو قبيحا ، أما الحق ما وضع موضعه من الحكمة فلا يكون إلا حسنا. هكذا الفرق بين الصفة والنعت، فالنعت يتغير من الصفات والصفة لما لا يتغير ويتغير فالصفة أيضا أعم من النعت. هكذا الفرق بين العلم والمعرفة، فالمعرفة أخص من العلم.

الجمع بين الضدين

هذا أيضا من خاصيات الغربية. هي قلب معنى الكلمة (بمعنى انقلاب) إلى ضده المعروف تأثيرا للسياق فمثله التعزير معناه عقوبة دون الحد ولكن فى القرآن الكريم نجده بمعنى التعظيم والتبجيل فى سورة الأعراف قوله تعالى : "فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (١٥٧).

الانفراد ببعض الحروف الخاصة

اللغة العربية تنفرد ببعض الحروف كحرف الضاد والعين كما تتألف الحروف فى الكلمة الواحدة بمعايير معينة. هكذا يوجد بعض الاعتبارات بالنسبة إلى طول الكلمة أو قصرها وابتذال الكلمة أو سموها وقرب المخارج أو بعدها. "المثل السائر" هو كتاب مشهور لابن الأثير وقد أورد فيه المؤلف مثل هذه الامتيازات للغة العربية. هكذا قد صنف

ابن سنان الخفاجي كتابا باسم "سر الفصاحة" وهكذا كتاب آخر "الطراز" للعلوي.

نضوج اللغة

قد سبق الذكر أن العربية هي أقدم اللغات فى العالم فطبيعي أنها تعتبر أكثر ناضجة لغويا. وفيها قال الأستاذ عبد الله مجددي: "إن نظم الإعراب هو من أهم النظم اللغوية التي يميز العربية من غيرها من اللغات، فقد أعطى هذا النظام الدقيق مرونة خارقة للمتكلمين بالعربية يجعلهم غير ملتزمين بترتيب عقيم للكلمات يدل على الوظائف النحوية لها. مثلا يجوز كل ترتيب فى العربية عندما لا يجوز فى الإنجليزية إلا s v o (فاعل – فعل – مفعول). زيد أكل طعاما أو أكل زيد طعاما أو طعاما أكل زيد.

سهولة العربية قراءة وكتابة

قد عد بعض العلماء سهولة قراءة العربية وكتابتها من خصائصها، لأنها تقرأ كما تكتب وتكتب كما تملى إلا بعض القواعد القليلة التي لا يحتفل بها عند المقارنة بخلاف اللغات الأخرى الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

لغة الحكمة والبيان

هناك مثل شائع منذ قدم فهو إذا أردت أن تخاطب كلبك تخاطبه باللغة الألمانية، وإذا أردت أن تخاطب حصانك فخاطبه باللغة الإنجليزية. وإذا أردت أن تخاطب زوجتك فخاطبها باللغة الفرنسية وإذا أردت أن تخاطب فيلسوفا أو حكيما تخاطبه باللغة العربية.

التغليب والالتفات

هذان أسلوبان متميزتان فى اللغة العربية المنفردة. ما هو التغليب ؟ هو نقل الاهتمام من شكل إلى شكل آخر كما نجد فى الآية الكريمة فى سورة الإسراء فى قول الله تعالى: "قال اذهب فمن شبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا". هنا اذهب فعل أمر أو صيغة المخاطب ومن تبعك منهم فى صيغة الغائب وقد جعل الفاعل هنا المخاطب يغلب على الغائب فى الأمر للذهاب. أما أسلوب الالتفات ففيه قوله تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحرحتى إذا كنتم فى الفلك و جرين بهم بريح طيبة – يونس ٢٢) هنا قد لفت القائل النظر من "بكم" إلى "بهم" لأنه قال فى أول الجملة "يسيركم" ثم "إذا كنتم" فهذا هو الالتفات.

العربية لتأليف القلوب

اللغة العربية لها خاصية عجيبة لتغريب عواطف الناس الذين ينطقون بها ولو تباعدت السياسات حولهم. هذا ما نرى اليوم فى الشعب العربي المنقسم فى مختلف الدول العربية فى تبادل مشاعرهم وتجاذب وجدانهم رغم التفاوت والأنظمة القائمة فيها.

تأثير العربية فى اللغات الأخرى

هناك مزية أخرى للغربية وهي أنها أثرت كثيرا فى اللغات الأخرى مثل الأردية والبشتو والبنجالية والماليزية والكانوري والهوساء وفيها تستعمل حروفها فى كتابتها كما أدخلت آلاف الكلمات العربية إلى اللغات المختلفة الأوربية والآسياوية مثل اللغة الهندية والميالمية والتاملية. هناك توجد فى اللغة الإسبانية مائة الكلمات المبدوءة ب "ال" وكلها من أصل عربي.

لغة القرآن

لقد حظيت العربية بهذه الميزة العظيمة التى استحقت بها الصدارة و الخلود والصمود والشرف الباقى إلى يوم القيامة ذلك لكونها لغة القرآن الكريم وقد اكتسب القرآن لهذه اللغة فضيلة عظيمة. هذه الفضيلة المميزة هي الفضيلة القرآنية التى أنهضت أناسا فى جميع أنحاء العالم لخدمة هذه اللغة العجيبة الخالدة ولا تزال تبقى إلى الأبد.

أهمية علامات الترقيم في الكتابة العربية

أ.د. أشفاق أحمد
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بناراس الهندوسية

علامات الترقيم

وهي رموز اصطلاحية، تكتب بين الجمل والكلمات، والفقرات لتيسير عملية الفهم على القارئ. وهي عنصر أساسي من عناصر التعبير الكتابي، ولها صلة وثيقة بالكتابة الإملائية.

وهي تسهل الفهم على القارئ، وتجوّد إدراكه للمعاني، وتفسر المقاصد، وتوضح التراكيب... أثناء القراءة.

الملاحظة: تكتب جميع علامات الترقيم ملاصقة للكلمة التي تسبقها، ولا يترك بينهما فراغات.

- هل يمكن فهم معاني الجمل التالية فهما صحيحا بدون وضع علامات الترقيم في أواخرها؟
- ما أحسن الرجل
- ما أحسن الرجل
- ما أحسن الرجل

وبعد وضع علامات الترقيم في أواخرها

- ما أحسن الرجل.
- ما أحسن الرجل!

- ما أحسن الرجل؟

الفاصلة (،).

- ويطلق عليها أيضا الفارزة، والشولة. وتوضع بين الجمل والمفردات المعطوف بعضها على بعض.
- مثال: محمود طالب مثقّف، لا يؤذي أحدا، ولا يكذّب في كلامه، ولا يقصّر في دروسه.
- بعد المنادى: يا خالد، اتق الله.
- بعد حروف الجواب في أول الجملة: نعم، لا، بلى. نعم،...

الفاصلة المنقوطة (؛)

- وتسمّى أيضا (الفصلة المنقوطة)، و(الشولة المنقوطة)، و(القاطعة). وتوضع:
- بين جملتين إحداهما سبب للأخرى.
- مثال: الطالب اجتهد في مذكّراته؛ فكان الأول على رفاقه.
- بين جملتين بينهما مشاركة أو علاقة في المعنى.
- مثال: سئل عمر بن عبد العزيز...: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: "ذقت حلاوة الدنيا؛ فوجتها مرة عواقبها، فاستوى عندي حجرها وذهبها".

النقطة (.)

- وتسمّى أيضا (الوقفة). وتوضع بعد نهاية الجملة التامة المعنى.
- مثال: آمنت بالله.
- الحقيقة مرّة.
- خير الكلام ما قل ودل، ولا يطل فيمل.

النقطتان الرأسيتان (:)

- وتسمّيان علامة التوضيح والحكاية أو نقطتي التفسير والبيان. وتستعملان في سياق التوضيح والتبيين.
- مثال: ...
- سألته: من أين لك هذا؟ فأجاب: من أبي.
- قال الحكماء:...

- قال تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا".

الشرطة (-).

- وتسمى (الوصلة)، و(المعترضة). وتقوم مقام السائل والمجيب في الحوار، وبين العد والمعدود (١-...، ٢-...)، وحصر الجمل المعترضة.
- مثال: الصادق- وإن كان فقيرا- محبوب.
- -كيف حالك؟
- -١...

علامة الاستفهام (؟).

- توضع بعد الجملة الاستفهامية، أو بعد حرف الاستفهام أو اسم يدل على الاستفهام، وخاصة بعد الأدوات التي تدل على الاستفهام. (هل، كيف، أ)
- مثال: متى عدتم من السفر؟
- : لا نعرف على وجه اليقين تاريخ وفاة الخليل بن أحمد: هل توفي سنة مئة وسبعين للهجرة؟ أو أنه توفي عام خمس وسبعين ومئة؟ أو كانت وفاته سنة ثمانين ومئة؟ سنحاول عرض الروايات المختلفة.

علامة التأثر ((!)

- وتسمّى أيضا علامة التعجب، وعلامة الانفعال. وتوضع بعد الجمل التي تعبر عن الانفعالات النفسية (التعجب، والفرح، والحزن...)
- مثال: ما أقسى ظلم القريب!
- يا بشراي!
- وا مصيبتاه!
- ويل للخونة!

علامة الحذف (...)

- نقاط ثلاث متتالية، وتوضع مكان ما يحذفه الكاتب من كلام غيره، أو للدلالة على إسقاط نقطة أو أكثر...
- وتسمى أيضا (نقطة الاختصار) أو (نقطة الإضمار). وهي ثلات نقط (لا أقل ولا أكثر).

- مثال: قرأت روايات نجيب محفوظ كلها: خان الخليلي، والسكرية، واللص والكلاب...

علامة التنصيص (« »)

- يحسن للجميع استخدام الأقواس التالية للتنصيص « »، ولكن يستخدم أيضا " ". ويطلق عليها أيضا علامة الاقتباس أو المزدوجتان أو الشناتر.
- يوضع بينهما ما ينقله الكاتب من كلام غيره، أو عند ذكر عناوين مقالات، أو أبحاث، أو عند الحديث عن لفظة معيّنة...

علامة الحصر (...) أو القوسان الهلاليان

- توضعان وسط الكلام، ويكتب بينهما العبارات والألفاظ التي ليست من أساس الكلام، مثل الجمل الاعتراضية أو التفسيرية، أو الإشارة إلى مرجع سابق...
- يستخدم أيضا القوسان المستطيلان.
- مثال: دخلت ثالث الحرمين (المسجد الأقصى) وصليت فيه.

الإشارة المائلة (/)

- تستخدم آيضا في البرمجة وآيضا في التاريخ مثل:
- مثال: تاريخ اليوم هو ٢٠٠٩/٦/١٠
- الإشارة المائلة المعاكسة (\)
- تستخدم في البرمجة وعناوين المواقع.
-

يفضل عدم استخدامها في النصوص الآدبية.

- وإلى جانب هذه العلامات، هناك علامات الترقيم العديدة الأخرى. ولكنّها لا تستخدم لكتابة النصوص الأدبية؛ فلا نناقشها هنا.

الإملاء

- أهمية الإملاء في الكتابة.

همزة الوصل وهمزة القطع

- همزة الوصل:
- هي همزة يتوصل بها إلى النطق بالحرف الساكن الذي يليها.

- تستخدم همزة الوصل في الأسماء:
- الأسماء العشرة: اسم، وابن، واثنان...
- مصدر الفعل الخماسي: اجتماع، وابتداء...
- مصدر الفعل السداسي: استدلال، استقرار...
- في الأفعال:
- ماضي الخماسي: اجتمع، ائتلف...
- ماضي السداسي: استقبل، استوعب...
- أمر الخماسي: استوعب، واجتهد...
- أمر السداسي: استخرج، واستقبل...
- أمر الثلاثي: أكتب، وأدع...
- وفي الحروف: همزة ألـ التعريف.

همزة القطع

- تكتب وينطق بها في أيّ مكان جاءت. وهي تكتب ألفا فوقها همزة (أ) إن كانت مفتوحة أو مضمومة، وألفا تحتها همزة (إ) إن كانت مكسورة.
- تستخدم همزة القطع في:
- ١- جميع الأسماء، إلا ما تقدّم ذكره في همزة الوصل: إحسان
- ماضي الثلاثي المهموز: أخذ...
- ماضي الرباعي: أحسن، أجرى...
- أمر الرباعي: أكمل...
- همزة المضارع: أسافر، أجاهد...
- في كل الحروف همزتها همزة قطع ما عدا (ألـ) التعريف.

ISSN No. 2320-4451 ISSUE 1 VOLUME 3 ● DECEMBER 2020

دراسات أدبية ونقدية

الخيال العلمي في الأدب ومرآته في الأدب العربي

د.مريم الهاشمي
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية بكليات التقنية العليا، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

يعاني أدب الخيال العلمي لبسًا في الأفهوم ويتقاطع مع أجناس أدبية أخرى - كما يذكر الكاتب الأستاذ محمد الياسين - كالفانتازيا والأسطورة والخرافة ؛ بل يلتبس عند البعض إلى الرواية البوليسية، ليقف أغلب النقاد محبطين من استخلاص تعريف وأفهوم واضح لهذا الأدب ، فمن ذهب إلى أنه ذلك الأدب الذي يتعامل جزئيا أو كليا مع موضوعات الغرائب والخوارق والمخاطر ، ما يعني أن أدويسا هوميروس و رسالة الغفران وحكايات ألف ليلة وليلة وحيّ بن يقظان والكوميديا الألهية وأعمال بورغس وكافكا ستكون مؤهلة لأن تكون أدبا خياليا علميّا . ونجد كذلك من يذهب إلى أن أدب الخيال العلمي يُدرج تحت مصطلح القصص العلمي التصوري ، وهو ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا ، ويعتبر ضربا من قصص المغامرات في أحداث تدور عادة في المستقبل البعيد أو على كوكب غير كوكب الأرض ، وفيه تجسيد لتأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة أخرى في الأجرام السماوية والتأمل في أسرار الحياة؛ لنجد الاختلاف بين المفهومين في الرؤية والدلالة والاتفاق في خصيصتي الغرائبية والمغامرة ؛ لنصل بذلك إلى أن أدب الخيال العلمي هو أدب مرتبط بالفانتازيا والأسطورة والقصة العلمية التقنية والخرافة وحكايات الرعب ومن هذا الترابط نقف على جذور هذا الأدب الذي يأخذ به إلى الأصل الديني أو الأسطوري أو الفنتازي وبمن يراه أدبا نسبيا أو ابنا شرعيا للتقنية الحديثة .

وما يعنينا هو حضور أدب الخيال العلمي في أدبنا العربي ، وهو ما تأثر به كغيرها من الأجناس الأدبية التي قد كانت لها جذورها في الحكاية الشعبية أو الأسطورة الشفاهية ، إلا إن الحضور كجنس أدبي متأثر بالتقنيات العلمية أو العجائبية أو غيرها فهو ما كانت الريادة للفرنسيين في ذلك عبر كاتبهم جون فيرن، ومما لا شك فيه أن النهضة العلمية بعيد الحرب العالمية الاولى قد أذكت مخيلة الأدباء ، وما لبث وأن ظهر هذا النوع من الأدب في الأدب الانجليزي في كتابات هيربرت جورج ويلز التي حملت سمات أدب الخيال العلمي ، وظهر كذلك في الأدب الأمريكي في كتابات إدغار بورغس بوصفه رائدا لأدب الخيال العلمي في أمريكا . أما في الأدب العربي فكانت الإرهاصات إن صح التعبير – كما ذكرنا – في الأدب الشعبي واستحضار الجن والعفاريت والمعجزات والخوارق ؛ ولكن ندرك أن قصص الخيال العلمي العربي الحديثة لم تظهر نتيجة تطور حقيقي متسلسل من الأدب الشعبي وإنما بتأثير من الترجمات التي وصلتنا من منتصف القرن التاسع عشر ، إلا إنه في ذات لا يمكن ان ننكر دور الإرث الشعبي أو الأسطوري لأدبنا العربي ، فالكتابة بطبيعة الحال هي قراءة غيرية في مؤلفات ، والكاتب الموسوعي ذو المخيلة الواسعة هو قارئ موسوعي ، نجح في بناء مستويات قرائية وفق شمولية قراءاته لتؤثر وتخرج وتنفجر في كتاباته. ومن رواد كُتاب أدب الخيال العلمي في الأدب العربي هو يوسف عز الدين عيسى من مصر في التمثيليات الإذاعية ، وجاء توفيق الحكيم ليدخل بأعماله المسرحية أدب الخيال العلمي .

وأخذ أدب الخيال العلمي في التطور ، وتنوعت الطريقة التي تناول بها مبدعوها موضوعاتهم ، فجاءت الكتابة على شكل القصة والرواية والمسرحية ، وتناول النقاد البنية الفنية وخصائصها الأدبية من التأثير الداهش و طريقة التدرج في الحدث و اللغة والغرائبية والفانتازية وقضية التنبؤ والكائنات الفضائية الذكاء الاصطناعي والمجتمعات المستقبلية أو المعلوماتية ، و الانحطاط والانقطاع ، والمدينة الفاسدة و الهندسة الوراثية والكون الموازي أو قد تأخذ منحى أدب تحذيري وغيرها من قضايا وفنيات أدب الخيال العلمي .

إن مطالب الإنسان العربي وأحلامه الفنتازيا كانت وما زالت ضرورية له ، فالعربي الذي يعاني الفراق والغربة والشتات والحرب والفقر والبطالة ، لم يتغير عن العربي الذي كان يعاني فراق أهله بسبب الفتوحات الإسلامية أو طلب الرزق أو العلم ، فحينها استخدم مخيلته في حكايات الطيران على ظهر الجن والعفاريت أو باستخدام المرآة السحرية ؛ بل

لجأ إلى الاسرائيليات والحكايات الدينية من كرامات الأولياء أو الصوفية ، واليوم وهو الزمن الراضخ للمادية المتطرفة والكثير من البؤس الإنساني ، فقد تمكن كاتب الأدب الخيال العلمي من اختراق الحاجز الإقليمي ؛ فالفقد أو الغياب هو الأس الأول لولادة الكثير من المنجزات الأدبية العظيمة ، ولا مبالغة في الزعم أن للخيال وجها خلاصيا ، وذلك بقدرته الاختراقية على الخيال المتعارف عليه واكتساب حياة مستقبلية غرائيبية تساعده من الخلاص المؤقت ومحاولة للتأمل المتأني في سبيل استمرارية ممارسة الحياة ، وهو حضور خاصية « القبح « – أحيانا - في الأدب ، والقبح شأنه شأن الهجاء ، يندرج تحت مظلة الملهاة (الكوميديا) أو السخرية أو التهكم ويصعب تعريفه تعريفا مقبولا إذ تتغير معانيه من حقبة إلى حقبة، ومن حركة ثقافية وفكرية إلى أخرى، وهو كمصطلح أدبي أو فني لم يحض بالاهتمام الكافي، واعتبره المعاصرون صيغة «جمع النقيضين» أو الصراع التصادمي بين الأضداد، وبهذا فهو صيغة مناسبة –أحيانا – للتعبير عن إشكاليات كثيرة في الأدب ، والمعنيون بدراسة القبح يشيرون إلى أنه يسود في المجتمعات والحقب التاريخية المتسمة بالصراع أو التغير الحاد ، والقبح كشكل أدبي وفني ليس بدعة العصر الحديث، بل ضرب جذوره في الحضارة الرومانية المسيحية، حيث تطور في فن الرسم التي كانت خاصيته الواضحة نسج العنصر الإنساني بالحيواني بالنباتي بالمعماري في لوحة واحدة ، ومن المؤكد أن هذا الخلط يحتوي جانبا من الرعب ممزوجا بالهزلي المضحك . وهوما نجده في بعض أدب الخيال العلمي ، ويرى الكثيرون في القبح أسلوبا ذا وظيفة تصحيحية ، إذا يجعلنا نرى العالم الحقيقي من منظور جديد يتصف بالواقعية والموثوقية، ولكن السؤال هو هل استجابتنا كمتلقين للقبح له أثر تحريري أو قمعي يفضي إلى التوتر؟ لذا نجده ثنائي الوظيفة ، وبما أنه لا يحاكي الواقع أي لا ينسخه بل يعيد صياغته ، فإنه من أداة الخيال العلمي لا يخوض في قضايا من شأنها أن تحتمل الخطأ والصواب ، إنه لا يقدم في المآل سوى صورة خيالية وحسب .

الأعمال النثرية القديمة في الإمارات:دراسة تاريخية

د. صابر نواس محمد
أستاذ مساعد بكلية مدينة العلوم العربية، بوليكال، كيرلا

في دراسة عن تطور الشعر المعاصر في الخليج العربي يشير محمد مصطفى هدارة إلى أن هناك ثلاث عناصر مشتركة حكمت البداية الأدبية، وهي التي سببت للتطور في دول الخليج العربية ومنها الإمارات؛ أولها الارتباط القوي بين حركة الإصلاح الاجتماعي والتجديد الأدبي: فرواد الإصلاح الاجتماعي هم أنفسهم رواد التجديد الأدبي في آن واحد، فقد اتخذوا من إنشاء المدارس وافتتاح النوادي الثقافية وتأسيس الصحف سبلا إلى وصول الهدف وحصوله، وثانيها؛ أن التطلع إلى التنوير والتحديث في مجال الفكر والأدب في الإمارات يعتبرها سابقا على ظهور النفط، وبعبارة أخرى، لم يكن النفط هو السبب الأول في ظهور النهضة الأدبية في البلاد، وإنما كان من أسباب ساعدت على تهيئة المناخ العام لقبول التجديد، كما يقال «الخليج ليس نفطا فقط»، فقد شهد العقد الثاني من القرن الماضي إقبالا على افتتاح المدارس، وقد افتتحت أول مدرسة نظامية في دبي عام ١٩١٢م على يد تاجر اللؤلؤ المشهور أحمد بن دلموك، وثالث هذه العناصر أن هناك رغبة واضحة وعملية هادفة في قبول التجارب الأدبية الجديدة والترحيب بالجديد والإفادة منه. ويرجع ذلك إلى طبيعة سكان الإمارات وأرض الخليج التي لم تكن محدودة لدولة فقط، بل تمتد حدودها إلى الأمة العربية بأسرها، وأهلها أهل أبحار وتجارة ومن هنا جمعوا بين العصبية العربية من جهة والطابع العملي المرن الذي اكتسبوه من التجارة

من جهة أخرى. فقد نسب الإماراتيون الأدباء إلى قلوبهم وعدهم كأحد منهم. فأصبح الرافعي والمازني والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وشوقي والزهاوي والرصافي وإيليا جزءا من ثقافتهم الحديثة.

كما تعتبر الحركة الثقافية التي جرت في مجتمع الإمارات العربية نتاجا للتفاعلات التي حدثت وتحدث في هذا المجتمع. وقد تطور هذا النتاج في شكل إطارات فنية وغير فينة. تستمد قضاياها وموضوعاتها من الواقع والمعارف العامة، ويمكن تقسيم هذه الحركة إلى مراحل.

مرحلة سيادة الأدب الشفهي

وهي الحقبة التي كان يشكل البحر والأنشطة الاقتصادية المرتبطة به الأساس المعيشي لأفراد المجتمع بشكل عام، وقد أفرزت هذه الحقبة إطارات ثقافية مثل الشعر والرقص الشعبي ورواية الخرافات والحكايات الشعبية وتعكس هذه الأطر الفنية علاقة الإنسان بالمحيط الذي يعيش فيه. فترى الشاعر يتحدث عن قلة الرزق وصعوبة الحياة. أما راوي الحكايات فهو يروي قصصا مرتبطة بنمط الحياة نفسه. وبشكل عام ساد الأدب الشعبي أو ما يعرف بالأدب الشفهي هذه المرحلة وهو ينسحب على كثير من الأشكال التي تستخدم الكلمة المنطوقة كالأقوال المأثورة والأمثال والحكايات والخرافات والملاحم والأزجال والأشعار.

تنوعت أنماط القصص الشعبية والحكايات الشفوية في تلك الفترة ما بين القصص الدينية التي تستهدف غرس القيم الدينية ومبادئ الإسلام في نفوس الجيل الناشئ والقصص الشعبية والتراثية التي تستهدف نقل التراث العربي الأصيل وما فيه من قيم كالشجاعة والفروسية والكرم والمروءة، فضلا عن القصص الاجتماعية التي ترتبط محاورها بالبحر والصحراء بكمية كبيرة. ويطلق على هذا النوع من القصص الشعبي اسم (الخروفة). وقد ركزت القصص الدينية على الجوانب المتصلة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وسائر الأنبياء والرسل. ومن القصص الشعبية التي سادت هذه الحقبة قصة (البديحة) وقصة «العيل» أي العجل والبديحة قصة تدور حول علاقة سمكة ببنت من الإمارات. ويلاحظ في هذه القصص الشعبية أنها تتضمن رفضا للظلم الاجتماعي. وقد يعيش الباطل في القصة أو الحكاية الشعبية طويلا، ولكن الحق والعدل ينتصران في النهاية. كما تميزت القصص الشعبية بالتأكيد على مكانة كبار السن، فكبار السن هم حملة القرآن والقيم النبيلة ينبغي أن يقدم لهم واجب الاحترام الاجتماعي

باعتبارهم مصدرا لهذا التراث.

ويلاحظ أيضا أن قصص التراث الشعبي ركزت على القيم الإيجابية أكثر من تأكيدها على القيم السلبية. فهي تؤكد على رفض الخيانة والظلم وتدين القيم السلبية لحد العقاب وتظهر حكايات التراث الشعبي الفئات التي يقع عليها الظلم الاجتماعي. وهي عادة ثلاث فئات تشمل الإناث والصغار والفقراء، وهي العناصر الضعيفة اجتماعيا إلى حد كبير. وتروي الحكايات الشعبية أن من يعملون على رفع الظلم عن هذه الفئات هم إما كائنات من خارج البشر كالأسماك أو من البشر مثل الأغنياء أو كبار العادلين كما احتلت سير بطولات الأجداد جانبا هاما من القصص والشعر الشعبي.

يعرف الدكتور أحمد أمين المدني: «خروفة وهي الاسم المحلي الذي يستخدمه سكان الإمارات للدلالة على الحكاية الشعبية. بأن كلمة (خروف) بتشديد الراء وضمها مشتقة من الخرافة ومعناها الكلام المستملح المكذوب» ولا شك في أن القصص الشعبية في الإمارات شأنها شأن بقية دول الخليج خاصة والدول العربية عامة. تنوعت أنماطها ما بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية والحكاية الفكاهية وحكاية المعتقدات. على الرغم من غياب أجهزة الإعلام وغيرها من وسائل الترفيه كان عندهم التكامل والترابط الاجتماعي وتواصل الناس بعضهم مع بعض وانتشار المجالس الشعبية. كانت القصص الشعبية كثيرة الانتشار والتداول على مستوى الأسر وفي الملتقيات العامة والمجالس النسائية والرجالية. وقد اختلفت الأنماط والنوعيات والمضامين والرموز المتعلقة بتلك الحكايات ما بين البيئات والفئات الاجتماعية المختلفة.

وقد شملت الحكاية الشعبية في الإمارات أنواعا عديدة. منها: حكايات عن الجن وحكايات عن السحرة وحكايات عن الصالحين والصحابة والصوفية وحكايات عن البطولات وحكايات تعرض لما جرى وما يجري في الحياة اليومية وحكايات عن المخطوفين والمجانين وأخرى عن قضاة السوء وحكايات عن الأسفار إلى الهند وإفريقيا وغيرها.

وهذه الحكايات لا تخرج عن عنصرين ثابتين كقطبي الرحى هما الفرح والحزن وتتفرع منها أنواع تصف واقع المعاش، والناس في الإمارات يحبون الحكاية مهما كان الموضوع مبهجا أو مكدرا، مفرحا أو محزنا، وغالبية تلك الحكايات أو النوادر مجهولة الأصل لا يعرف قائلها، وهي أحيانا تنسب إلى بعض الأشخاص. إن بعض هذه الشخصيات خيالية وبعضها حقيقية ومن ذلك أن شخصيات «أبي الغصن» و«جحا العربي» و«ابن ثابت» تمثل شخصيات حقيقية. وقد ذكر البستاني في دائرة المعارف بعض نوادر جحا،

ولكن جحا بنوادره وحكاياته سيظل يعيش في مجالس الإمارات وإن لم يذكر اسمه، لأنه يمثل لدى الكثيرين رمزا للنادرة الفكاهة والحكاية الشعبية وكل ما تبعث على انفراج الأفواه بالضحك والقهقهة.

ومن الأنماط الأخرى التي يمكن تصنيفها ضمن القصص الشعبية في الإمارات تلك التصورات العجيبة والغريبة التي تناقلتها العامة عن عالم الجن وهي تتضمن كثيرا من المزعبلات والخرافات. ومن أمثلتها أبو صنكل « المسلسل» «أم الدويس» «أم الهيلانة» ويصور الخيال الشعبي في ذلك الوقت أم الدويس أو أم داس، والداس هو المنجل، وهي امرأة خرافية من نوع الجنيات تحمل بيدها منجلا أو منجلين وتظهر ليلا وتعطر نفسها بالكثير من العطر لتجذب اهتمام الرجال إليها. فإذا لاحقها رجل صرعته بمنجلها. وكانت العامة ترفع ضررها بالرقى والتعاويذ. أما «المسلسل» فهو مارد من الجن تكثر عنه الحكايات الغريبة حيث إنه يظهر في أغلب الأحيان على شواطئ البحر يخيف الناس ويرهبهم.

وكانت الجدات والأمهات والآباء يبدعون (الخروفة) ويؤلفونها للأطفال. فبعد صلاة العشاء يجتمع الأطفال وحتى الشباب حول القاص الذي يسرد قصصا حول عمل المعروف أو إنكاره أو حول بنات الجن وصيادي السمك والغواصين مثل حكاية (الحطاب والحية) وحكاية (العيض والحصبة) وقصة (الصياد والحلم) و(الملك فيه قرون) و (الحاكم والإمام) وما إليها. وتختلف طريقة سرد (الخروفة) من شخص إلى آخر فبعض النساء يسردون (الخروفة) بطريقة تجعل التالي يطالب بإتمامها، لذلك تبقى راسخة في ذهنه. ويتربى على القيم والحكم التي تزخر بها «الخراريف» مثل آداب المائدة والحديث والجلوس. كما أنها تحمل تحذيرا للأطفال من تعريض أنفسهم للمخاطر. فكانت الأم تستخدمها لتخويف الطفل من الخروج من المنزل بعد صلاة العشاء. وفي النهار عندما تكون الشمس حارة لتجنيب الطفل مخاطر ضربة الشمس أو الرمال الساخنة. وتبعا لطبيعة الطفل تقال الخراريف. فالأطفال الأشقياء الذين يكثرون الخروج من المنزل تقال لهم خراريف عن الجن. وقد تكون قصص «الخراريف» متشابهة مع الأدب الشعبي العالمي. لكن هناك فرق بسيط بينها حسب طبيعة البلد وعاداته وتقاليده. ولا بد من تضمينها حكمة تثبت الود في النفوس وتحث على السعي إلى الخير.

إن أبرز الملامح والقيم في القصة الشعبية فهي تمثل خلاصة تجارب ومواقف إنسانية متفاوتة في مدى تعقيدها، وقد تناقلتها الألسن منذ زمن بعيد، ثم أضافت إليها

دون أن تفقد سحرها وجاذبيتها الأولى، وهي ساهمت في ترسيخ سمات المجتمع ومعتقداته ومقوماته النفسية والاجتماعية لدى الناشئة بالإضافة إلى الدور النقدي الذي لعبته بنقد الأخطاء حيث قامت بدور توجيهي، وتضمنت أسس التربية التي تنشدها الأسرة نظرًا لانطلاقها من نبض الحياة العامة، كما قدمت هذه القصص الشعبية أفكار المجتمع ومعتقداته في قالب درامي مميز، يجمع بين المتعة والإثارة والأسف والندم والحزن والفرح. فهناك قصص المحبين والبائسين والحزاني وحكايات الرحلات بحثا عن الدانة (اللؤلؤة) أو الحبيبة الضائعة وحكايات الخيانة والغدر والكذب والحيلة وقصص الغباء والجهل عند بعض النسوة.

إضافة إلى ما سبق ذكره عن القصة الشعبية كانت الأمثال الشعبية تمثل تعبيرا صادقا تارة بالتصريح وتارة بالتلميح عن مشاكل الحياة وطرائق التفكير فيها، وألوان العيش في الممارسات التي يمر بها ابن الإمارات في حياته العامة، فضلا عن واقع الحياة التي عاشها الأجداد بخيرها وشرها. وقدمت فكرة صادقة محددة المعالم عن حياة الأجداد ومشاكلهم وطرائق تفكيرهم في الماضي. وتتميز هذه الأمثال بالروعة والجمال وإصابة الهدف والدقة في التعبير والأصالة في التفكير.

أما الشعر فقد احتل أهمية خاصة في مجتمع الإمارات، ففي كل مناسبة أو حدث أو قضية كان الشاعر يلقي قصائده في مجلس الشيوخ. وكانت له مكانة اجتماعية محترمة وكان له تأثير وقيمة في حياة الناس، ومعظم القصائد كانت مرتبطة بفعاليات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وباهتمامات إنسان الإمارات في البر والبحر وفي الحل والترحال، وكانت المجالس الشعبية المسائية التي اشتهرت بها المنطقة تقوم بدور المنتديات الأدبية، فقلما يخلو مجلس شعبي من ديوان لعنترة بن شداد وللمتنبي وغيرهما.

المصادروالمراجع

- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر المعاصر في الخليج العربي، محاضرات الموسم الثقافي الثالث، ندوة الثقافة والعلوم، دبي،١٩٨٩-١٩٩٠م.
- فاطمة خليفة أحمد، نشأة الرواية وتطورها في دولة الإمارات العربية المتحدة، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، طبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- موزة عبيد غباش: دراسات في التراث الشعبي في مجتمع الإمارات،دار النفائس،بيروت،الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- عبد الله عبد الرحمن: الإمارات في ذاكرة أبنائها: الحياة الثقافية العامة - الحكايات الشعبية في الإمارات، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- يوسف حسن نوفل: الملامح المشتركة في التجربة القصصية والروائية في الخليج، الملتقى الثالث للكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الجزء الثاني، ٢٠٠٧ م.
- ثابت ملكاوي: الرواية والقصة القصيرة في الإمارات: نشأة وتطور، المجع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- مرسي عبد الله محمد : «دولة الإمارات العربية وجيرانها» دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

دراسة أدبية وقيمية وروحية في ظلال الشعر الجاهلي

د. محمد سليم محمد سلطان
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة بيرادينيا، سريلانكا

خلاصة البحث

عرف العصر الجاهلي بعصر الشعر والمعلقات، وكان الشعر ديوانهم وحياتهم وحقيقتهم وصورتهم وصفتهم. وكان الشاعر رئيس القبيلة ولسانها، وهو يصوّر قيم مجتمعه ومزاياهم وشخصياتهم ومفاخرهم كما يفيض لسانه بالشعر الديني الروحي الجذاب للمتذوقين في الشعر العربي كما قال الشعر في أغراض كثيرة. فنحاول أن نكشف في هذا البحث ما يضمن الشعر الجاهلي بالأمور المحبوبة الغامضة، والقيم الروحية في هذا الميدان. ولو وصف عصرهم عصرا جاهليا، وعصرا خلفيا، وعنصريا، في ميدان، ولكن له تاريخ عريق ومحمود بقيم عالية يسجله مجرى التاريخ في آخر. فنحاول في هذا البحث التاريخي أن نكتشف من القيم المحمودة التي لفتت فكرة المتذوقين في الأدب العربي الجاهلي مما يشمل من الأخلاق الفاضلة والآداب الحسنة، والمعاني الروحية التي صيغت وانسكبت على لسان الشعراء الجاهليين.

الجاهلية وملكة شعرهم

فقد أدب العصر الجاهلي أو الشعر العربي تاريخه، ولكنه يذكر قرنا ونصفا قبل البعثة النبويّة مما خط امرأ القيس ومهلهل حيث يقول عنه الجاحظ: « أمّا الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السّن، أوّل من نهج سبيله، وسهّل الطّريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام

– مائة وخمسين عاما، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام «[١] وإنّ ما قبل هذا التّاريخ في الشعر العربي مجهول، ويمكن تسميته بالجاهليّة الأولى.[٢]

فإن الشعر عقلية الأمة التي يظهر فيها، وكان الشاعر الجاهلي يتوخى أغراض الشعر الجاهلي ومذاهبه، ويصدر حكمه الشامل الذي ينبع على التأثر والانفعال الفطري. ويذكر البعض «والشعر الجاهلي قائم على الإحساس المادي»[٣]، وكان الشعر الجاهلي يعبر عن خشونة ألفاظ الشاعر تارة وعن نعومته تارة أخرى، أو تعبر عن فظاظة طباعه، وانفعالاته الفطرية الثائرة أو عن لطيف معشره وأدبه[٤]. ولكن نجد عند الدراسة عن أشعار الجاهلية خلاف ذلك من الغرائز الفطرية الفاضلة، والأخلاق الكريمة والاجتماعية التي انضم بها حياة المجتمع الإنساني.

الإنسانية في الأدب العربي القديم

وصف العرب العصر الذي كان قبل بعثة الرسالة المحمدية بالعصر الجاهلي. ولو بحثنا عن العوامل التي أثرت في الشعر العربي القديم فوجدناها كالبيئة ونظام القصيدة، والتقاليد ورجال الدين، وفقدان الحرية، وعدم الإيمان بقيمة الإنسان، وضعف النقد، ومع غلبة هذه السلبيات يتضح في قصائده الأدب الصادق مثل كونه إنسانيا، روحيا بطبعه، وإن الأدب الحقيقي الخالد هو الذي يتناول مواضيع إنسانية، يشترك فيها العالم بأسره، فيغنيها بلسان ويحلق بنا في السموات، بعيدا عن سفاسف الأرض، معتصما بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة. وقلنا إن المواضيع التي يعالجها في الأدب الشعري هي مواضيع إنسانية ملازمة، تخطر ببال كل انسان، فيسأل عنها، ويتأمل فيها، لأن في كل انسان روحا حساسة. وأما الشعراء فهم الذين ينقلون إلينا تجاربهم الناضجة، التي تهز الإنسانية جمعاء، فهي مواضيع روحية إنسانية، أن بعض النقاد القدامى أشاروا إلى المعاني الشريفة التي اعتبرناها قيما روحية إنسانية، فرحنا نتحرى مواطنها في الشعر العربي القديم.[٥] وأن الأدب الحقيقي هو الذي يرفعنا عن المادة، فإنّ هؤلاء لم يبتعدوا عن اتباع قيم جليلة ومحمودة لدى الإنسانية كما كان لديهم بعض الصفات الرذيلة.

---

١ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، طبعة الحلبي، ج١، ص: ٧٤

٢ شوقي ضيف، ١٩٦٠، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط ١١، ص٣٨

٣ القيم الروحية في الشعر العربي، ثريا عبد الفتاح، ص: ٥١

٤ المرجع السابق، ص: ٥٧

٥ القيم الروحية في الشعر العربي لثريا عبد الفتاح، ص: ٧١

ولو لفتنا النظر بحياة حاتم الطائي فإنّه يتمثل مضرب مثل في الجود عند العرب، وافتخرت به قبيلته وانتشر صيتها. وعنترة بن شدّاد يكون كذلك مضرب مثل في الشجاعة لدى قبائل العرب. ومن البديهي أنّ حياة العرب قبل الإسلام لم تكن كلّها ثأرا وسفك دماء، ولم تكن روح العصبية سدّا بينهم وبين تحلّيهم بالقيم الخلقية، مع الأخذ بالثّأر بعض الأحيان، وانتزاع الحقّ بالقوّة، ورفض الظّلم والعدوان، والتّخلق بالشّجاعة من أجل أهداف نبيلة.

وكانت في القبائل العربية ظاهرة التكاتف والتعاون للآخرين، وفضّلت القوّة والمنعة والقدرة والشجاعة وكثرة العدد لديهم.

وعرف العرب بفضائل ومكارم الأخلاق، ولم يكونوا يفعلون الخير لذاته فحسب، بل كانت فيهم عفّة، واعتدال، وزهادة في اللذات إن كان فيها ما يخل بالمروءة، والأمثلة على هذا الموضوع غزيرة، ونذكر هنا مثالين غيضا من فيض على سبيل المثال من نصائح حاتم الطائي لزوجته، وقول المثقب العبدي:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فإنّي لست آكله وحدي

أخا طارقا أو جار بيت فإنني أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي[٦]

وقال المثقّب العبدي:

أجعل المال لعرضي جنّة إنّ خير المال ما أدّى الذمم[٧]

القيم المحمودة في ظلال الشعر الجاهلي.

إنّ صفحات العصر الجاهليّ مزوّد بالقيم المحمودة، ومما عبر عنها الشعراء العرب القدامى في ميدان الأدب الجاهلي ما يلي:

الكرم

وهو من أبرز صفات العرب في العصر الجاهلي، لأن هذه الخصلة من مباهاتهم، وله كلمات عديدة في العربية كالكرم والجود والسّخاء والعطاء والجدوى أو الجداء والنوال والمدد والعون والغثاء وغيرها غزير في المعاجم، ورفعوا من كان لديه فضل الكرم، ودعي صاحب الكرم من عظماء قومه، وشرّف صاحبه "[٨] وسئل بعض الأعراب عن الكرم،

٦ .ديوان حاتم، ص ٤٣

٧ . المفضل الضبي، المفضليات، ص ٤٠١

٨ أبو حاتم السجستاني، ١٩٦١م، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب

فقال: «طعام مبذول، ونائل موصول، ووفاء لايحول»[٩]. ووصفه العرب بأنّه من أشرف ملابس الدنيا، به الحمد، ويرفع الذم، ويستر العيب، ويحمى العرض، كما قال الشاعر:

ندافع عن أحسابنا بلحومها وألبانها إنّ الكريم مدافع[١٠]

ومن أبرز صفات القيادة والسيادة الكرم فهو من ميزة العشيرة، والكريم يستشار في الأمور التي تهمّ القبيلة، وقال حاتم:

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيّدا[١١]

لولا زهير لما ذكر هرم بن سنان، ولولا المتنبي لما اشتهر سيف الدولة، فالشعراء هم الذين يخلدون الأشخاص، ونعلم أنّ سبب تخليد الشعر لهؤلاء هو كرمهم، فقد كان هرم بن سنان كريما حين دفع الديات، فالكرم إذن وسيلة للثناء وبقاء الذكر، وهذا ما آمن به الناس منذ القدم

الضيافة

وكان العرب يعيشون في الصحراء وينتقلون من مكان إلى مكان، وكانت ظروفهم في تعاون أحد لآخر، وعند سفره وترحاله وحيدا وهو يحتاج إلى مرافقة الآخرين، وفي وسط الصحراء لا ماء فيها ولا طعام له، وهو متكل بالسماء والأرض عندئذ، لا يكون أمامه مفر يأوي إليه، فالاستفاضة ذكرت من سجاياهم وواجباتهم.

كما قال حاتم الطائي لزوجته:

إذا ما صنعت الزّاد فالتمسي له أكيلاً فإنّي لست آكله وحدي[١٢]

فحين يتوفّى الشخص الكريم يبقى ذكره بالعطاء، هذا ما نفهمه من شعر حاتم إذ يقول:

العربية، مصر، ص ١٣٣

٩ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مكتبة الحياة، بيروت، ج ١، ص ٦٤٧

١٠ أبو تمام، الحماسة، شرح الأعلم الشمنتري، ١٩٩٢م، تحقيق علي المفضل حمودان، مركز جمعية الماجد بدبي، ج ٢، ص ١٠٠٨

١١ ديوان حاتم، ص ٧٥

١٢ . ديوان حاتم الطائي، ص ٦٢

أماوي إنّ المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر[١٣]

وكان العرب مفطورين بجمع الثّناء والحمد، كما قال لبيد:

أقي العرض بالمال التلاد وأشترى به الحمد إنّ الطالب الحمد مشتري

وكم مشتر من ماله حسن صيته لأيّامه في كلّ مبدي ومحضري[١٤]

كان العرب يحفظون عرضهم بالإنفاق على الآخرين، ومن شعر حاتم الطّائي إذ يقول :

ذريني يكن مالي لعرضي جنّة يقي المال عرضي قبل أن تتبدّدا[١٥]

وكان الفرح الفرط بالضيافة لدى العرب.وقد اهتمّوا بضيوفهم إلى أقصى حدّ، وسبب ذلك يتبيّن في قول محمّد مبروك نافع: «أن الامتناع عن إكرام الضيف، أو الإضرار به يعتبر جريمة من الجرائم ضدّ مبادئ الأخلاق والشرف المعترف بها في البادية»[١٦]، وكانوا يوقدون النيران أمام خيامهم يستجلبون بها ضيوفا ويقول حاتم أيضا لغلامه أيام الشتاء:

أوقد فإنّ الليل ليل قرّ والريح يا موقد ريح صرّ

علّ يرى نارك من يمرّ إن جلبت ضيفا فأنت حرّ[١٧]

يكاد حاتم يعتق عبده إذا جلب ضيفا بناره الذي يوقده إظهارا لشدّة فرحه بقدوم الضيف. وكانوا يوصون لأولادهم بالاهتمام بصرف المال للآخرين، يقول ذو الأصبع العدواني لابنه:

ابني أنّ المال لا يبكي إذا فقد البخيلا

وابسط يمينك بالندى وامدد لها باعا طويلا

وابذل لضيفك ذات رحلك مكرما حتى يزولا[١٨]

---

١٣ ديوان حاتم، ص٨٣

١٤ ديوان لبيد، دار صادر، بيروت، ص ٦٧

١٥ ديوان حاتم الطّائي، ص ٦٧

١٦ محمد مبروك نافع، ١٩٨٤م، عصر ما قبل الإسلام، طبعة القاهرة، ص ٢١٠

١٧ ابن عبد ربّه الأندلسي، ١٩٦٥م، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٣، ج ١، ص١٩٧

١٨ أبو الفرج الأصفهاني، ١٩٦٥م، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ج ٣، ص ٩٥،٩٦

وكانوا يداومون بالاستضافة، وقال حاتم:

قدوري بصحراء منصوبة وما ينبح الكلب أضيافه

وإن لم أجد لنزيلي قرى قطعت له بعض أطرافه[١٩]

وكانوا ينفقون على القربى والرحم والمحتاجين، وقال حاتم:

لا تعذليني على مال وصلت به رحما وخير سبيل المال ما وصلا[٢٠]

وأكثر العرب من الإنفاق على المحتاجين والسائلين، وغمروهم بعطاياهم، ولا سيما في وقت الأزمات والعسرة. يقول أبو ذئيب الهذلي:[٢١]

لنا صرم ينحرن في كلّ شتوة إذا ما سماء الناس قلّ قطارها

يقول إنّهم إذا أتى الشتاء وأجدبت الأرض وضاق الناس، ينحرون مجموعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين، وذلك كناية على عظم كرمهم وإسرافهم في بذل المعروف. وكانوا يفضلون الضيافة بذبح الإبل، ويؤثرون ضيوفهم على أنفسهم، وينفق ما عنده من القليل والكثير، ويستقبل الضيوف بطلاقة الوجه عند أوّل وهلة، ويذكر عنه حاتم:

سلي الجائع الغرثان يا أمّ منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل أبسط وجهي إنّه أوّل القرى وأبذل معروفي له دون منكري[٢٢]

الوفاء بالعهد والأمانة

كان العرب قبل الإسلام يقدرون الوفاء بالعهد، واعتبروه كأمر عقدي، ومخالفته جرما يهدم الشرف والأخلاق، وللوعد الصادق، احترام وخضوع، حتى لقبوا النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم في الجاهلية بالأمين والصادق. فإذا وعد أحدهم وعدا أوفى به، وأوفت معه قبيلته.

وكانوا يضربون المثل ب «أوفى من السموأل» وذلك عندما أودع امرؤ القيس عند السموأل دروعا وسلاحا، وذهب إلى قيصر يستنجد به على أعدائه، واستغل هذه الفرصة الحارث بن شمر الغسانى فطلبها من السموأل وأصر على انتزاعها منه، ولكنه أبى

١٩ . ديوان حاتم ، ص ١٣

٢٠ . ديوان حاتم، تحقيق وشرح د. حسين نصار، شركة ومكتبة البيتائي الحلبي، ص ٤٠

٢١ السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ج ١، ص ٧٨

٢٢ . الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، ط ٤، د.ت، ج ١، ص ٣٣

وتحصن بقصره في تيماء، وكان ابنه خارج القصر، فأخذه الحارث الغساني رهينة عنده، وأخذ يساومه، وهدده بقتل ابنه إن لم يستجب لمطلبه، إلا أن السموأل ظل محافظا على عهده فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف، والسموأل اختار الوفاء، وأسلم ابنه للقتل، حتى وهو يرى ابنه يذبح أمامه وفي ذلك يقول السموأل:[٢٣]

وفيت بذمة الكندي أني إذا ما ذم أقوام وفيت

وقد رسمت قصيدة المثقب العبدي الوفاء فيقول فيها:

لا تقولن إذا لم ترد أن تتمّ الوعد في شيء نعم

حسن قول نعم بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم [٢٤]

رسمت هذه القصيدة جانبا من المُثل الأخلاقية من حيث الوفاء بالعهد والتمسك بالكلمة والابتعاد عن الرياء والنفاق.

ويحضّ الأعشى على الوفاء بالعهد وأداء الأمانة حتى ولو كلّفه ذلك حياته، ويريد خلود ذكره بين الناس بأنّه وعد فأوفى، فقال:

ولا تعدن الناس ما لست منجزا ولا تشتمن جارا لطيفا مصافيا

وإن امرأ أسدى إليك أمانة فأوف بها إن مت سمّيت وافيا [٢٥]

وأمّا عامر بن الطفيل فيصوّر لنا أنّ الشريف إذا وعد فلا بدّ من أن يكون حريصا على الوفاء بوعده لما فيه من خير وعلوّ مكانة بين الناس جميعا، فيقول:

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إبعادي وأنجز موعدي[٢٦]

وقال كعب بن زهير المزني:

أرعى الأمانة لا أخون أمانتي إنّ الخؤون على الطريق الأنكب[٢٧]

فكانت كلمة الوفاء لها شعور وأثر بالغ في العصر الجاهلي، فإن لم يوف انتقصت مرؤته، فالوفاء من أخلاق العرب الأصلية. فإن كان هذا حديثهم عن الوفاء فليس معنى ذلك أنّ الغدر ونقض العهد ما وجد هناك، بل وجد فيهم هذا وذاك، وتلك سنّة الحياة

٢٣ . عروة بن الورد، ١٩٦٩م، ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر، بيروت، ص ٦٩

٢٤ . المفضّل الضبي، المفضليات، ص ١٦٦

٢٥ . مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق مصطفى السقا، ص ٢\٣٠٢

٢٦ . ديوان عامر بن طفيل، ١٩٥٩م، دار صادر، بيروت، ص ٥٨

٢٧ . أبو تمام، الحماسة، المرجع السابق، ص ١٠١

وطبيعة المجتمعات البشرية في كلّ الأزمنة والأمكنة.

الحلم

وكان الأحنف بن قيس، يقول: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم الذي جاءه خبر قتل ابنه، فلما جاءوا بالقاتل، أقبل عليه وقال لمن حوله: أرعبتم الفتى، ثم دنا منه وقال: يا بني لقد نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت في عضدك، وأشمت عدوك وأسأت لقومك، ثم أمر أن يخلّوا سبيله، وما حل حبوته ولا تغير وجهه.[٢٨]

كان في العرب حلماء عدّوا مضرب الأمثلة في الحلم، غير أنّ الحلماء كانوا قلّة، وكان الحلم يعتبر من الفضائل، ولم يتصف به منهم إلاّ بعض كبار السن. غير أنّ هؤلاء الحلماء كانوا إذا ثاروا جاءت ثورتهم عارمة تجتاح ما أمامها، ذلك لأنّ الفرق بين الحلم والضعف دقيق غاية الدقّة.

وفي إحدى مراثي المهلهل لأخيه كليب، فهو يعدد مناقبه فيذكر منها أنّه كان حليما عفوا مع قدرته على العقاب والانتقام، فقال:

وإنّك كنت تحلم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار[٢٩]

وقال عبد قيس بن خفاف:

وإذا هممت بأمر سوء فأتد وإذا هممت بأمر خير فافعل

وإذا تشاجر في فؤادك مرّة أمران فأعمد للأعف الأجمل[٣٠]

جاءت أشعار كثيرة في الحلم، اقتصرت على شعرين دون الاستقصاء، وكان العرب يفضّلون الحلم ويمدحونه، وكذلك ينكرونه إذا كان مطلقا، فيعتبرونه عندئذ ذلّة لاتطيقها أنفتهم، ولذا كانوا يشيدون ببعض الشدّة والعنف في أحوال معيّنة.

الصبر والقناعة

فقد عاش العربيّ في بيداء مليئة بالمخاوف من الوحوش الضّارية، والحيات السّامة، وتعوّد علي هذه الحياة، وصبر على التّفرد بالفلوات والقفار، لأنّه جبل على هذا الخلق، فقد صبر على أهوال المعارك وعلى نوائب الدّهر، ولم يثنه هذا الخلق على ما نزل به

٢٨ . أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص١٤٠

٢٩ . لويس شيخو، ١٩٩٩م، شعراء النصرانية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ١٦٣

٣٠ . أبو تمام، الحماسة، ج ٢، ص ٢

من نوازل، وما حلّ به من خطوب جسام، فهو يخشى شماتة الأعداء، ولوم الأصدقاء، وهو حرّ كريم يأبى الذّلّ والجزع، لأنّه أدرك أنّ الجزع لا يُجدي نفعا، ولا يردّ فقيدا، لذلك تمسّك بهذا الطّبع، وأثنى على الصّابرين في البأساء والضراء، وافتخر بذلك، وتجرّع مرارته، فتعوّد على هذه الحياة وصبر عليها وصبر على نوائبها وفي ذلك يقول الجمّال العبدي:

لا النائبات لهذا الدهر تقطعنى والصبر مني على ما نابني خُلُقُ

إنّ الكريم صبور كيفما انصرفت به الصروف إذا ما أفلق الفرق[٣١]

وأحسن ما قيل في الصبر على نوائب الدهر قول عبيد بن الأبرص:

صبّر النفس عند كلّ ملم إنّ في الصبر حيلةَ المحتالِ

ربما تجزع النفوسُ من الأمر له فُرجةٌ كحل العِقالِ[٣٢]

ولا بأس من الاعتذار عند الجزع إذا عَظُمت المصيبة وجلّت، كما ذكر أعشى راثيا:

فإن جزعنا فمثل الخطب أجزعنا وإن صبرنا فإنّا معشر صبر[٣٣]

عفّة النفس والغيرة

العفّة وهجر ما عند الآخرين والترفّع عن ذلك كان من صفات الأشراف، يقول عبيد بن الأبرص:

لعمرك إني لأعفّ نفسي وأستر بالتكرّم من خصاص[٣٤]

يقول الأصبع العدواني عن عفّة نفسه ولسانه عن فحش القول وفاجره، وعن كبحه نفسه وانتصاره عليها حتّى لا يلام بإثم ليس من خلقه:

ولا لساني على الأدنى بمنطق بالفاحشات ولا فتكي بمأمون

عفّ يؤوس إذا ما خفت من بلد هونا فلست بوقاف على الهون[٣٥]

---

٣١ . حماسة البحتري، ص ١٢٨

٣٢ . ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٢٨

٣٣ . حماسة البحتري ، ص ١٣١

٣٤ .ديوان عبيد، ١٩٥٨م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص ٨٦

٣٥ . المفضليات، ص ١٦٠

وانظروا إلى عنترة بن شدّاد يجهر بأنه ما كان يدخل المعارك طمعا في الغنائم رغم كونه من الفقراء، بل كان يقنع بما يجده في حياته، فهو يقول ذلك مخاطبا محبوبته عبلة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلم

يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم[٣٦]

وانظروا إلى عفّة نفس الشنفرى حين يتناول الطعام مع أصحابه، يتفضّل على الآخرين وهو أحوجهم إلى ملء بطنه، هذه قاعدة تربويّة، على كلّ إنسان إدراكها ليقضي على الشره والطمع، فإذا طبّق الإنسان ذلك فهو الغني المتفضّل، يقول الشنفرى:

وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أشجع القوم أعجل

وما ذاك إلاّ بسطة عن تفضّل عليهم وكان الأفضل المتفضّل

وأعدم أحيانا وأغنى وإنّما ينال الغنى ذو البعدة المتفضّل[٣٧]

صلة الرحم

إنّ صلة الرحم فهي علاقة فطريّة بين الإنسان وذويه، وإننا نجد في شعر ذلك العصر ما على أنّ بعضهم جنح إلى جمع شمل الأسرة، ومن صلة الرحم أن يكون الإنسان ليّن الجانب لأهله، وهذا من الأمور الصعبة الوجود في العصر الجاهلي لأنّ في قلوبهم شيئا من الغلظة والصلابة، لا تنقاد للنصح بسهولة، وذلك الذي دفع الشعراء أن ينادوا بلين الجانب موصولا بصلة الرحم، ونصرة العشيرة متى نزل بها مكروه، يقول الأعشى:

ولا تزهدن في وصل أهل قرابة ولا تك سبعا في العشيرة عاديا

ولا تخذلن القوم إن ناب مغرم فإنك لا تعدم إلى المجد داعيا[٣٨]

يقول الشاعر عبيد في صراحة تامّة تقديره لوالده، وأنّه يبذل قصارى جهده لكي يصون أباه ويحفظ عرضه، وإن الإنسان بارّ بوالديه أو بأحدهما فهو حميد الصفات كريم الخصال، فقال:

---

٣٦ . ديوان عنترة، ص ٢٠٩

٣٧ . ديوان الشنفرى، ص ٦١-٦٢

٣٨ . مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٣٠٢

وأكرم والدي وأصون عرضي وأكره أن أعدّ من اللئام [٣٩]

وكان حاتم يدعو إلى صلة الرحم، وإكرام الأهل والعشيرة بأن يكون الإنسان متحمّلا عنهم صعوبة حياتهم، ومتجاوزا عن هفواتهم، وحلاّلا لمشكلاتهم، وكافّا لأذى الغير عنهم، فقال:

تحلّم على الأدنين واستبق ودّهم فلن تستطيع الحلم حتى تحلّما

متى ترق أضغان العشيرة بالأناة وكفّ الأذى يحسم لك الداء محسما [٤٠]

حماية الجوار ورعاية الجار

وقد وضح لنا الشعر العربي أن ثمة أعرافا سار عليها الإنسان في الجاهلية والتزم بها تجاه الجار، وأهمها حمايته والدفاع عنه كفرد من أفراد قبيلته. ويرينا أيضا في بعض جوانبه أن القبيلة إذا ما قبلت بجوار شخص، وجب على أبنائها أن يراعوا حقه، فيضمنوا له الحماية، ويكفلوا له عدم الاعتداء عليه أو على أهله وماله، فإذا حدث من ذلك شيء كان عليهم أن يوفوا بذمتهم، ويعوضوا جارهم ما أصابه، أو ما فقد منه، وإلا أصبحوا عرضة للذم والهجاء.

وأن قيمة الوفاء للجار قد ترسخت في نفوس كثير من العرب، فلا غرابة أن يعدها الشعراء في أشعارهم من أبرز المفاخر. ولا يقتصر الفخر بحماية الجار ورعايته على الفرد وحده، بل يمتد ليشمل القبيلة كلها، ويفخر الشاعر بقبيلته بكونها حريصة على من يجاورها، وأمينة على أهله وماله، ووفية له مدة جواره لها.

وكذلك كلمة الجار تشمل من يسكن في البيوت المجاورة. فعلى الإنسان حقوق لهم، والمجتمع الجاهلي أدّى هذه الحقوق في أكمل وجه.

ويعبّر الشاعر عمرو بن كلثوم عن حماية قومه للجار بأنهم كانوا يدافعون عن ديار الجيران قبل الدفاع عن ديارهم، ويدرؤون الأخطار عنهم قبل أنفسهم، ويدفعون عنهم الديات إبقاء على حسن جوارهم، وفي ذلك برهان عن الإيثار الخلقي، فيقول:

ونحن إذا عماد الحيّ خرّت على الأحفاض نمنع من يلينا

ندافع عنهم الأعداء قدما ونحمل عنهم ما حملونا [٤١]

٣٩ . ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٨٦

٤٠ . موسوعة الشعر العربي- العصر الجاهلي- ص ٥٠١

٤١ . الزوزني، شرح المعلّقات السبع، ص ١٢٦. ومختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص ٣٦٦

والشاعر الأعشى هجا قوما بأنّهم يملئون بطونهم ويتركون جيرانهم جوعى لا يجدون ما يطعمون، لأنّ في ذلك عيبا وإهانة لا تغتفر، فلا يفعل ذلك إلاّ من حقرت نفسه وضعفت عزيمته، والأولى للكريم أن يمدّ يد العون لجيرانه حتى تتآلف القلوب، فقال:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم السماء الطالعات الشواخصا[٤٢]

وافتخر كثير من الشعراء بإكرام جيرانهم، ومن ذلك قول الشاعر المثقّب العبدي:

أكرم الجار وأرعى حقّه إنّ عرفان الفتى الحق كرم[٤٣]

وصرّح حاتم الطائي عن نفسه بأنّه لا يتطلّع على أسرار الجار، ولا على معرفة سرّ بيته ليفضحه، لأنّه يعلم أن الكريم من اكتمل شمائله، فقال:

فأقسمت لا أمشي إلى سرّ جارة مدى الدهر ما دام الحمام يغرّد[٤٤]

الشجاعة

ويرينا الشعراء أن الشجاعة كانت أبرز القيم، لما لها من أثر في حياة الإنسان العربي ومعاشه، وأظهر العربي الشجاعة للدفاع عن النفس وعن القبيلة وعن الحقّ، ذلك أن حياة البادية التي عاش فيها العربي طلبت منه قوة في مواجهة الدفاع عن القبائل الأخرى. وكانوا لا يقبلون ذلاّ ولا هوانا، وصاحوا في أسواقهم وأشعلوا حروبا وضحّوا أنفسهم. ومدحوا الإقدام والموت في ظلال السيوف، وهجوا الموت على الفراش وسمّوه حتف الأنوف. قال السموأل بن عاديا عن ذلك:

وما مات منّا سيّد حتف أنفه ولا طلّ منّا حيث كان قتيل

تسيل على حدّ الظباة نفوسنا وليس على غير الظباة تسيل[٤٥]

العدل

جاء في الشعر الجاهلي طلب العدل من الملك بالتفريق بين المذنب والبريء، وهذا هو

٤٢ .ديوان الأعشى، دار صادر، ص ٩٤

٤٣ . موسوعة الشعر العربي - العصر الجاهلي- ج ٢، ص ١٨٨.

٤٤ . ديوان حاتم، ص ٣٥.

٤٥ .ديوانا عروة بن الورد والسموأل بن عاديا، ١٩٦٤م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص ٩١.

أحد أركان معلّقة الحارث بن حلّزة، فقال:

وأتانا من الحوادث والأنباء خطب نعنى به ونساء
أن إخواننا الأراقم يغلون علينا في قيلهم إحفاء
يخلطون البريء منّا بذي الذنب ولا ينفع الخليّ الخلاء[٤٦]

الحكم والأمثال

الحكمة قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة، ويكون الحكم سليمة تقبله العقول وتنقاد له النفوس والمشاعر، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم.

وفي ديوان زهير نجد عنه كثيرا:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم[٤٧]
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم[٤٨]

الحزم

الحزم هو ضبط الأمر والأخذ فيه بثقة، وهو استعمال الشدّة فيما يقتضي الشدّة، واللين حيث يحسن اللين، وهو الحسم في إرادة الفعل مع النّية الخالصة لتحقيقه ومطابقة القول الفعل. وهذه الصفة اعتبرت شرفا للانسان في ذلك المجتمع، ولذا افتخروا بها. كما نلاحظ ذلك في قول الخنساء التي تحدّثت عن أخيها صخر:

وما الحزم في العزاء والجود والندى غداة يرى خلف اليسارة والعسر[٤٩]

القيم الروحية في ظلال الشعر الجاهلي

ونظر العرب في العصر الجاهلي إلى الله نظرا بأديانهم السابقة، يرضى على قومه

٤٦ . الزوزني، شرح المعلّقات السبع، ص١٥٦، ١٥٧.
٤٧ . عبد الستار السطوحي، مختار من روائع الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، دار الاعتصام، ص ١٢.
٤٨ . شرح المعلقات السبع، ص: ٨٩
٤٩ . الخنساء، ديوانها الشعري، تحقيق عبد الحوفي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص ٤٢.

تارة، ويسخط عليهم تارة أخرى، وهو الذي ينزل الروح على من يشاء، ويردها متى شاء، واتبعوا ما عرفوا في التوراة والإنجيل، وقد ظهر هذه الأفكار في الشعر الجاهلي، على أن الشاعر الجاهلي لم يعالج مشكلة الله معالجة عامة، ولم ينظم في الله قصيدة تأملية خاصة، بل كان يذكره عرضا ببيت من الشعر أو بيتين لحاجة في نفسه، دون أن يبحث في جوهره،[٥٠] وينفقون من غير انتظار لوجه الله أيضا في كرم بعضهم، لأن العرب في العصر الجاهلي نظروا إلى الله كما نظر الإسرائيليون إليه من قبل، وجل ما نجده عن فكرة الله آراء متفرقة هنا وهناك، بعضها متأثر بالآراء الإسرائيلية وبعضها بالمسيحية. ويقول حاتم:

فلو كان ما يعطى رياء لأمسكت به جنبات اللّوم، يجذبنه جذبا

ولكنّما يبغى به الله وحده فأعط، قد أربحت، في البيعة الكسبا[٥١]

وقال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[٥٢]

وآمن من لديه المعرفة عن الأديان السابقة، أن الله الحاكم الأكبر الذي يقسم الخلائق إلى درجات، والله يمنح السائل، وهو الخالد وغيره زائل وباطل، وهو غفور رحيم شكور، وقول لبيد عليه:

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها[٥٣]

وقال عبيد بن الأبرص:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلبيب[٥٤]

وقال عبدة بن الطبيب:

أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع[٥٥]

وقال السفاح بن بكير:

٥٠ . القيم الروحية في الشعر العربي، ص: ٧٢، ٧٣

٥١ .ديوان حاتم الطّائي ص ٤١

٥٢ . ديوان لبيد، ص: ٢٨

٥٣ . شرح القصائد العشر ليحيى بن على التبريزي، ص: ١٧٤

٥٤ . جمهرة العرب لمحمد بن الخطاب القرشي، ص: ٣٧٢

٥٥ . المفضليات للمفضل بن الضبي، ص: ٦١

صلى على يحيى وأشياعه رب غفور وشفيع مطاع[٥٦]

ومن قصائد أمية بن الصلت وهو يمتاز عن الآخرين لانتمائه بالمسيحية، وهو يؤمن أن الله خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، وعيونا وأنهارا، والليل والنهار، فهو الواحد الصمد، المحيي والمميت، كقوله:

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال

بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يرين ولا رجال[٥٧]

وقال:

خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب كريم بمهاة شعاعها منشور[٥٨]

إن ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، فقد آمن بإله واحد قادر وهو الذي رأت خديجة أن تستعين به عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان له خبرة بالديانات وتاريخها، والنبوات وسننها، ومعرفة بأهل الكتاب الذين عندهم أخبار الأنبياء وعلمهم[٥٩]. وهو كان من الشعراء المسيحيين:

لا تعبدون إلها غير خالقكم فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به وقبل قد سبح الجودي والجمد

مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد[٦٠]

خاتمة البحث

هذا البحث يصوّر قيم المجتمع الجاهلي الذي شاع خاصة على ألسنة الشعراء ومزاياهم وشخصياتهم ومفاخرهم كما فاض على لسانهم الدين الروحي الجذاب شعرا للمتذوقين في أغراض كثيرة. وغرضنا في هذا البحث أن نكشف ما يضمن الشعر الجاهلي بالأمور المحبوبة الغامضة والقيم الروحية في هذا الميدان.

٥٦ . المفضليات، ص: ١٥٤

٥٧ . ديوان أمية بن الصلت، ص: ٤٩

٥٨ . ديوان أمية بن الصلت،ص: ٣٧،٣٨

٥٩ . السيرة النبوية للإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص: ١١٨

٦٠ . الأغاني، ج٣، ص: ١٢١

فإن الشعر من عقلية تلك الأمة ويعبرها شاعر تلك الأمة. ونحن عندما ندرس عن الشعر الجاهلي يتصور في ذهننا صورة غير ما نذكر في هذا البحث، ولإزالة هذا المفهوم الخاطئ قام الباحث في هذه العجالة أن يكتشف تصويرا جديدا مستدلا ضمن الشعر الجاهلي للنكات التي يأتي بذكرها. وهناك من يذكر أن الشعر الجاهلي قائم على الإحساس المادي، والبعض يعبر أنه خشونة ألفاظ الشاعر تارة ونعومته تارة أخرى، أو تعبير عن فظاظة طباعه، وانفعالاته الفطرية الثائرة أو عن لطيف معشره وأدبه، والبعض يقول: إذا أردت أن تعرف عن الشعور الإنسانية ادرس الشعر الجاهلي، خلاف هذه الآراء والأقوال الجائرة قام الباحث بحثا علميا لارشاد طالب الأدب العربي أن ينهل من داخل الشعر الجاهلي فلسفة علمية وأدبية يتبنى به حياته الأدبية العلمية، لأن الأدب الحقيقي هو الذي يرفعنا عن المادية، فإنّ دراسة الشعر الجاهلي يمهدنا إلى اتباع قيم جليلة ومحمودة لدى الإنسانية كما يجعلنا بعيدين عن سفاسف الأمور، معتصما بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة. وأن العرب عرفوا بفضائل ومكارم الأخلاق، ولم يكونوا يفعلون الخير لذاتهم فحسب، بل كانت فيهم عفّة، واعتدال، وزهادة في اللذات، والأمثلة على هذا الموضوع غزير، ويحث الباحث على دراسة هذا البحث العلمي لطلاب اللغة العربية والأدبية، والباحثين، وينفع بها الإسلام والإنسانية جميعا.

المصادروالمراجع

- ابن أبي الصلت، أمية، ١٩٣٤م، ديوان أمية بن أبي الصلت، المطبعة الوطنية، بيروت.
- ابن دريد الأزدي، مقصورة ابن دريد، ١٣٣٩م، مطبعة وسطفى الحلبي، مصر.
- ابن رشيق، الحسن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٨١م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٥، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- أبو تمام، ١٨٨٩م، شاهين عطية، ديوان أبي تمام الطائي، المطبعة الأدبية، بيروت.
- أبو تمام، ١٩٢٧م، شاهين عطية، ديوان الحماسة شرح التبريزي، مطبعة السعادة، مصر.
- أبو تمام، شرح الأعلم الشمنتري، تحقيق علي المفضل حمودان، ١٩٩٢م، الحماسة، ط١، مركز جمعية الماجد، دبي.
- الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، ١٩٣٦م، دار الكتب المصرية، بيروت.
- الأعشى، ميمون بن قيس ١٩٩٤م، ديوانه، دار صادر.
- التبريزي، شرح القصائد العشر، ١٣٥٢هـ، المطبعة المنبرية، مصر.

- تميم بن مقبل، شرح مجيد طراد، ١٩٩٨م، ديوان تميم بن مقبل، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٦٥م، الحيوان، ط٢، طبعة البابي، مصر.
- حاتم، تحقيق وشرح حسين نصار، د.ت، ديوان حاتم، شركة مصطفى البابي الحلبي.
- الخنساء، تحقيق عبد الحوفي، د.ت، ديوان الخنساء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- زهير بن أبي سلمى، شرح علي حسن فاعور، ١٩٨٨م، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الزوزني، الحسن بن أحمد، ١٩٩٧م، شرح المعلقات السبع، ط٢، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان.
- عنترة، أمين سعيد، شرح ديوان عنترة، المطبعة العربية، مصر.
- القرشي، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، ١٣٣٠هـ، المطبعة الخيرية، مصر.
- قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، ١٩٦٢م، ديوان قيس بن الخطيم، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- ملحس، ثريا عبد الفتاح، القيم الروحية في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، السيرة النبوية، ٢٠١٣م، ط١٢، المجمع الإسلامي العلمي، الهند.

السخرية في القصص المصرية الحديثة

د. شفيق سي بي
استاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية مدينة العلوم العربية
بوليكال، مالابرام، كيرالا الهند

أدب السخرية هي صياغة فنية شائعة لدى الكتاب والشعراء تستبطن فيها قدرا من الحكمة والذكاء قصدا لإبراز النقائص والعيوب فردية أو جماعية، فلا يخلو أيّ جيل من الأجيال إلاّ نجد فيهم تاريخا في هذا الفن وذلك أنّ النفس البشرية بطبيعتها تسعى إلى وصول مجالات البهجة والسرور، وتبحث عن السعادة في حياتها واللّذة الأدبية في أوقات فراغها ، فهذا الفن يمنح لنا من السعادة باعتراض الفكاهات المرحة والنوادر المضحكة من الحياة ويزيل الشيئ الكثير من هموم الإنسان.وقد عرفت السخرية في الكتابات الأدبية قديمها وحديثها، مثلا البخلاء للجاحظ، وكليلة ودمنة لعبد الله ابن المقفع، وقد شهد هذا الفن كثيرا من التطورات من مبدأه في العصر الجاهلي في نصوص الشعراء الجاهليين كنوع من الهجاء وما شابهه[١]، وسار على منواله في العصر الأموي حتى رسخ بأيدي الجاحظ في النثر العربي، ومن هنا أصبحت السخرية تترسخ كفن قائم بذاته ، الموجّه غالبا إلى كشف معايب المجتمع ونقائصه قصدا لإصلاحه.

وإن لمصر أهمية كبيرة في التاريخ العربي، والسخرية لديهم قديمة منذ عصر الفراعنة ويمتاز المصريون بسلييقتهم في كلام فكه ممتع، فيتلذّذون بفكاهاتهم في مواقف حرجة، فكانوا يروّحون أنفسهم في مجالس تنعقد فيها السخرية،[٢] كما نراها عند ملوك مصرالإسلاميّة، فأصبحت مجالس الملوك مسرحا للتلك السخرية والنوادر، وكانت

١ د/ طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص: ٩
٢ الهوال، حامد عبد ،السخرية في أدب المازني، ص:٧٥

السخرية في مصر أكثر تنوعا، وأغنى وسيلة وأدنى إلى المرح، وأبعد عن العمق في التأمّل، وأكثر زهدا في طرق الفلاسفة والعلماء،[٣] وظهر في تلك البقعة في العصر الحديث الأدباء البارزون الساخرون، وفي طليعتهم يمكن ذكر العباقرة مثل عبد العزيز البشري، وعباس محمود العقاد، ويوسف السباعي، وإبراهيم عبد القادر المازني وغيرهم كثر.

القصة في مصر الحديثة

الفن القصصي له جذور عميقة في التراث الأدبي المصري[٤]، وفي العصر الحديث اخذت القصة تظهر وتنتشر وصارت مصر من أنشط البلدان العربية في تأليف القصص الجديدة، وفي البداية كانت القصة مترجمة من الأدب الغربي فوجد كثير من الأدباء في هذا المجال[٥]، ثم ووجدت محاولتين في مجال القصص منها محاولة في إطار المقامة، ومحاولة جديدة خالصة، ومن هذه المحاولة محاولة "زينب" لمحمد حسين هيكل، وبعد هذه المحاولة ظهر عديد من القصص وجاء محمد تيموربقصته "في القطار" التي نشرها عام ١٩١٨م في مجلة السفور وتعتبرها أول قصة عربية خالصة في شكلها الفني،[٦] وجاء بعدها سلسلة من الأدباء في مجال القصة ومن أهمهم الأديب الكبيرعباس محمود العقاد وقصته "سارة" ومحمد المويلحي بقصته "حديث عيسى بن هشام، ويوسف إدريس صاحب القصة "أرخص ليالي" وحافظ إبراهيم بليالي سطيح، ومحمد لطفي بـ"ليالي الروح الحائر"، ومصطفى لطفي المنفلوطي صاحب "العبرات" يضم فيها تسع قصص، والأديب الكبيرنجيب محفوظ له سلسلة من القصص مثل همس الجنون، ودنيا الله، وتحت المظلة، والشيطان يعظ، والفجر الكاذب، وغير ذلك.

السخرية في القصة المصرية الحديثة

تحتل السخرية مكانة هامة في القصص المصرية فحفلت القصص الحديثة كما حفلت القصص في العصور السابقة بمظاهر السخرية لتعبير عن مشاعر الإنسان، ولتحفيف ضغوط الحياة، والارتقاء بأحاسيس البشر فبرز كثير من الأدباء الذبن كتبوا قصص ساخرة رائعة في مصر الحديثة، فصارت أسماؤهم متألقة في سماء الأدب[٧]، وظهر

٣ ضيف شوقي، الفكاهة في مصر، ص:٥

٤ يوسف محمد، الظواهر القصصية عند العرب، ص:١٦

٥ المصدر السابق، ص:٢٠٩

٦ ضيف شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: ٢١٠

٧ الهوال\ د- حامد عبد لسخرية في أدب المازني، ص:٧٦

في مصرالحديثة الأدباء البارزون الساخرون في مجال الأقصوصة ومن أهمهم.

كامل الكيلاني (١٨٩٧-١٩٥٩) صاحب قصص الأطفال جاء الأديب بعدة قصص ساخرة وفكاهية للأطفال ومن أهمها "عفاريت اللصوص" و"بنت الصباغ" و"حذاء الطنبوري" والأرنب الذكي" و"أبوالحسن" وغير ذلك، والسخري تظهر في قصته "أبو الحسن" كما يلي:

"ولما جاء وقت النوم ألقى الخليفة الدواء في شراب أبي الحسن فقام الخادم وحمله إلى القصر، وجاء الصباح فأيقظوه، ورأى نفسه في قصر الخليفة مرّة أخرى، والجواري حوله يحيّينه فارتبك أبو الحسن وكاد يجن من الدهشة وخيل إليه أنه في منام، ثم غنته الجواري، وأقبلن عليه باسمات، وجاءه الوزير جعفر يحيّيه، فقال أبو الحسن: من أنا؟ أتراني حالما؟ فقال له :أنت الخليفة هارون الرشيد، فقال أبو الحسن لأحد الخدم: إذ كنت أنا في يقظة فعض أذني، لأثق بأنني يقظان، وأتثبّت من أنني لست في حلم، فعض الخادم أذنه، فصرح أبو الحسن من شدّة الألم وقال: الأن عرفت أنني لست نائما، وأيقنت أنني لم أكن حالما الآن أدركت أنني خليفة هارون الرشيد. وكان الخليفة يرى ذلك كله ويسمعه، فدخل الغرفة وقد كاد يقع على الأرض من شدة الضحك"[٨].

وعالج الأديب الكبير عميد الأدب العربي طه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣) السخرية في كتاباته، وله دور بارز في أدب السخرية في مصر، وسخر طه حسين عديدا من الأشياء في مؤلفاته، ونرى السخرية في قصته "نادي الشياطين"[٩] وفيها نقد ساخر لمملكة إبليس، وهناك يقرع الشياطين لقلة الغاوين والمنحرفين، ونرى السخرية فيها كما يلي:

"قال إبليس :فأين النساء؟

قال الشخص الماثل (شيطان) : تكبرت، كنا أشجع من نفوسنا وأقدر منا على الاحتمال، فآثرنا البقاء فيما يكتنفهن من ضيق، حتى يلغنهن أمرك أو يأتيهن الموت.

قال إبليس: ولم يخدكم مارأيتم من صبرهن واحتمالهن؟

ثم سكن إبليس قليلا ثم قال: بم يدعوك هذا الحي من قريش؟

قال الشخص الماثل: يدعونني هبل.

قال إبليس: ويزعمون أنك أكبر آلهتهم، فعد إلى مكانك مدخورا مخذولا، لأؤمرن

٨ كيلاني كامل، أبو الحسن، ص١٣

٩ حسين طه- نادى الشياطين- مجلة الأزهر- ١٤٢٨هـ ، فبراير٢٠٠٧م ،جزء ١، ص ١٢٠-١٢٣.

عليكم النساء منذ الليلة، ولأعقدن لواءكم للعزي".[١٠]

وللأديب يوسف ادريس(١٩٢٧-١٩٩١) دورهام في القصص الساخرة في مصر، وكتب الأديب عدة قصص في موضوعات متنوعة وتجسد له السخرية في بعض قصصه مثل قصة "أرخص ليالي" و"حادثة شرف" و"أم الدنيا" و"بيت من لحم"، ونجح يوسف إدريس في استخدام أسلوب السخرية في هذه القصص خاصة في مجموعته القصصية "أرخص ليالي" والتي تميزت بالواقعية الخاصة من حيث الموضوع وطريقة العرض ونجاحه في رسم الشخصيات والأحداث ثم تطورت هذه السخرية عن طريق امتزاجها بالنظرة الفلسفية المتعددة البعد النفسي[١١]. تتجلى السخرية من قصته "أرخص ليالي" في السطور التالية:

"كان الشيطان ساعتها شاطرا.. ولكن طنطاوي بدعوته أشطر.. الله يخرب بيتك ياطنطاوي..

وماذا عليه لو سحب عصاته (المشمش) ذات الكعب الحديد ومر على سمعان، وانطلقنا إلى عزبة الملابسة، فهناك سامر، وليلة حنة، وغوازي، وشخلعة، وعود، وهات إيدك..

وإنما.. من أين يا عبد الكرم(النقطة)؟ ثم.. المساء قد دخل ويجوز أن سمعان ذهب يصالح امرأته من خالها والطريق خائنة، والدنيا كحل..

يا ناس!.. لماذا هو الخائب الساهر وحده؟ وطنطاوي لا شك قد استنظف مصطبة رقد عليها في (دركه)، وراح في النوم. نامت عليه البعيد أثقل حائط

وماذا يحدث لو عاد إلى بيته هكذا كالناس الطيبين، ولكن امرأته فأيقظها، وجعلها تنير المصباح، وتمسح زجاجته، وتشعل الموقد، وتسخن له رغيفا وتحضر الفلفل الباقي في الغذاء، وحبذا لو كان قد بقي شئ من الفطيرة التي غمزتها بها أمها في الصباح، وآه لو صنعت له بعدها كوزا من الحلبة، وجلس كسلطان زمانه يرقع الثلاثة مقاطف التي بليت مقاعدها ويصنع لها آذانا وقد تملصت آذانها؟"[١٢]

والسخرية واردة في عدة قصص أخرى في مصر وكثير من الأدباء الكبار عالجو السخرية في قصصهم ومنها قصة عبد الله النديم وله دور بارز في الكتابات الساخرة ومن قصصه الساخرة وردت في صحيفة "التنكيت والتبكيت" ومحمود تيمور(١٨٩٤-١٩٧٤)

١٠ حسين طه- نادى الشياطين- مجلة الأزهر- ١٤٢٨هـ ، فبراير٢٠٠٧م ،جزء ١، ص ١٢٠-١٢٣

١١ سليمان، مشيرة أحمد فرح، السخرية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس، ص:٤٢٠

١٢ إدريس يوسف، أرخص ليالي، ص:١٠

نرى السخرية في كتابه "الوثبة الأولى" والأديب الكبير الحائز بجائزة نوبل نجيب محفوظ (١٩١١-٢٠٠٦) جاء بعديد من المؤلفات في مجال القصص والروايات، ويحتفل بعض قصصه بالسخرية ومن أهمها مجموعته القصصية "همس الجنون" وهذا الكتاب يشتمل على قصص ساخرة رائعة تدور معظمها حول سخرية الفضائح سواء في المجتمع الراقي أو في عالم القاهرة السفلى و يوسف السباعي(١٩١٧-١٩٧٨) وهو يضفي على قراؤه نوعا من البهجة حيث يمتاز بالسخرية في كتاباته، وكتب عدة قصص والسخرية تظهر في قصصه "صور طبق الأصل"، و في"ياأمة ضحكة" وكتب السباعي"ياأمة ضحكة" سنة ١٩٤٨م، بطريقة فلسفية ساخرة تنتهي القصة غالبا بسؤال فلسفي عن الإنسان ميزه الله عن باقي المخلوقات بنعمة العقل والتي لم يحسن استغلالها حتى الآن. ثم ظهر العديد من القصص التي اختلط فيها الكوميديا بالسخرية، وترجم مصطفى لطفي المنفلوطي بعض القصص من الأدب الغربي واشتمل بعضها على السخرية، وأديب حسين مؤنس له قصة باسم "عموم الزير" التي تسخر فيها العهد الناصري، والأديب الكبير محمود السعدني يعالج السخرية في قصته "الولد الشقي و"المتعوس في بلاد الفلوس"، وجاء الأديب محد مستجاب بالقصة الساخرة "آل مستجاب" وتميزت أعماله بالاستخدام الراقي لمفردات اللغة وصياغة إبداعاته في جو يختلط فيه الحلم مع الأسطورة في واقعية ساخرة، وغيرهم كثر.

المصادروالمراجع

- طه نعمان محمد أمين:السخريّة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة،١٩٧٩م.
- هيكل أحمد، تطور الأدب الحديث في مصر، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.
- حسين طه- نادى الشياطين- مجلة الأزهر- ١٤٢٨هـ ، فبراير٢٠٠٧م ،جزء١، ص ١٢٠-١٢٣.
- سليمان، مشيرة أحمد فرح، السخرية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس، دار المنظومة، العربية السعودية،١٩٩٤م.
- كيلاني كامل، أبو الحسن، دار المعارف، مصر،١٩٨٩م..
- تيمور محمود، الوثبة الأولى، دار الحديث للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٣٧م.
- ٧) ضيف شوقي، الفكاهة في مصر، ط٣، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني في الأفلام المصرية

د. محمد رياض. ك. و
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت

مقدمة

القضية الفلسطينية تعتبر القضية المركزية والقضية الراهنة المهمة للأمة العربية على الخصوص، والعالمية على العموم، والسينما كأداة تقدر على رصد القضية ووسيلة اتصال جماهيرية، قامت بمهمة طرح مواضيع القضية الفلسطينية، وطرح واقعها، وتحليل ظروفها ومعالجة جوانبها المختلفة من خلال أفلام روائية ووثائقية، ونجحت السينما العربية في توجه الحديث عن القضية الفلسطينية، وشرحها إلى مختلف الأوساط من خلال بيان حق أهل فلسطين على الأرض، ومعالجة الصراع العربي الصهيوني، وإبراز معاناة اللاجئين الفلسطينيين، وفضح لا شرعية الكياني الصهيوني، وفضح عدوانية الحركة الصهيونية، وحق العودة، والحفاظ على الخصوصية الفلسطينية، وحماية الذاكرة الفلسطينية.

المحطات السينمائية العربية الأربعة المتميزة المصرية والسورية واللبنانية والعراقية لها اهتمام بالغ بالقضية الفلسطينية ومعالجة جوانبها المختلفة، فهذا البحث يتناول المساهمات المصرية في إخراج السينما التي تعالج القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني. اهتمت السينما المصرية بالصراع الفلسطيني والإسرائيلي بشكل بالغ، ولها دور كبير في تناول القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب وطرح جوانبها الاجتماعية والسياسية والثقافية أمام العالم.

فيلم "فتاة من فلسطين"

فيلم ظهر عام ١٩٤٨، من إخراج محمود ذو الفقار، يعتبر كأول فيلم مصري، يقوم بتناول القضية الفلسطينية، عن إنتاج وسيناريو لرائدة السينما المصرية عزيزة أمير، وقصة الفيلم تدور حول حب بين الفتاة الفلسطينية والطيار المصري، والزواج بينهما، رغم أن الطيار غني من أسرة برجوازية، والفتاة من أسرة فقيرة، وهذا الفيلم وإن لم يقصد بإخراجه طرح المسألة الفلسطينية، يتطرق من خلال قصته إلى الموضوع الفلسطيني سطحيا، وذلك أيضا أول تجربة في السينما المصرية في التناول والحديث عن القضية الفلسطينية[١].

فيلم "نادية"

فيلم من إخراج فطين عبد الوهاب، يطرح الحرب الفلسطيني غير مباشر، وفكرة الفيلم هي حول "نادية" التي تعمل كمدرسة في إحدى مدارس البنات، وهي تعيش بعد وفاة والديها من أجل شقيقيها الصغيرين، هما "منير" و"ثريا"، حتى لا تتزوج من أجل تربيتهما، وأخوها منير يتخرج من الكلية الحربية، ويستشهد في ميدان الحرب في فلسطين، وهذا الفيلم يصور الحرب في فلسطين على نحو غير مباشر.

فيلم "أرض الأبطال"

فيلم أنتج عام ١٩٥٣، للمخرج نيازي مصطفى، قصته تقع في أجواء حرب فلسطين ١٩٤٨، وذلك أن البطل يصدم حين يعلم أن والده الثري يريد الزواج من فتاة يحبها، حتى يدخل البطل في الجيش متطوعا، ويشترك في الحرب، ثم يرى البطل فتاة جميلة في مدينة غزة، ويحبها ويقرر الزواج ولكن يفقد بصره في الحرب بسبب أسلحة فاسدة

١ بشار إبراهيم، فلسطين في السينما العربية، دمشق، منشورات وزاة الثقافة، ٢٠٠٥، ص ٧١-٧٢.

التي قام بتوريدها أبوه إلى الجيش، وهذا الفيلم لا يتناول القضية الفلسطينية والصراع الإسرائيلي مباشرا ولكن القصة تقع في أجواء حرب فلسطين ١٩٤٨.

فيلم "الله معنا"

فيلم أنتج عام ١٩٥٤، للمخرج أحمد بدرخان، يتناول حرب فلسطين والأسلحة الفاسدة موضوعا، وذلك أن الفيلم تدور قصته حول الضابط "عماد" الذي يشارك في حرب فلسطين، وخطيبته "النادية" بنت عمه التاجر الثري، ويصاب عماد خلال الحرب بهذه الأسلحة الفاسدة ويتم بتر ذراعه، ثم يتم الاكتشاف إلى أن والد خطيبته هو أيضا أحد الرجال الذين تم بهم توريد الأسلحة الفاسدة للجيش، والخطيبة ساعدت عماد في بحث أوراق والدها، حتى وجدت على دليل الذي أدى إلى عرض أن والدها هو أحد هؤلاء المستوردين، ولكن يموت أبوها عند القبض إبان انفجار قنبلة يدوية فاسدة.

فيلم "شياطين الجو"

وفي عام ١٩٥٦ أخرج نيازي مصطفى فيلما بعنوان "شياطين الجو"، يتناول قصة حب وتنافس بين ثلاثة جنود مظليين، فرغلي وعواد وأحمد في أجواء حرب ١٩٤٨ بفلسطين، وذلك يتقابلون لأول مرة بعد عملية ناجحة ضد القوات الاحتلالية أثناء الحرب، ثم يستدعون لمهمة بهبوط بالمظلات في أرض استولى عليها الصهاينة، أما فرغلي، يكسب المال لحبيبته القروية، وأحمد قد تزوج قبل أن يستدعى للمهمة، وعواد جاء من قريته باحثا عن ثأر وتاركا حبيبته ورائه في القرية، والفيلم يصور العملية العسكرية ومقاومة الجيش الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي من خلال قصة ثلاثة جنود.

فيلم "وداع في الفجر"

وفي عام ١٩٥٦ أخرج حسن الإمام فيلما بعنوان "وداع في الفجر" الذي يصور مقاومة فلسطين من خلال ضابط طيار مشاركا في حرب فلسطين، ووالده الغني يريد تزويجه من بنت شريكه، ولكن كان قلبه مولعا في الحب مع بنت فقيرة زينب، حتى تزوجها، لكنه لا يكاد يطمئن قلبه بالزواج، ثم دعي للمشاركة في حرب فلسطين ضد الصهيونية، وفي الحرب تسقط طائرته، وتقع في أيدي الأعداء، ثم تصل الزوجة رسالة رسمية بوفاة زوجها، عاشت بعدها عيشة مريرة، استولى عليها الحزن واليأس، وأصابت بصدمة شديدة، وبشلل في ساقيها، ولكن الشاب المدرس الذي يعيش بجوارها أخلص في حبها

وخدمتها، حتى عقد الزواج بينهما، ولكن زوجها الطيار لم يمت، ويهرب من الأعداء، ويعلم قصة زوجته، وتخبره الزوجة أنها لا تستطيع أن تترك الشاب المخلص.

فيلم "أرض السلام"

من إخراج كمال الشيخ عام ١٩٥٧، يصور مقاومة المناضلين وحياتهم في فلسطين من أجل الحرية وتحرير بلادهم من الإسرائيليين، ويحكي قصة أحمد الفدائي المصري الذي يختفي داخل قرية فلسطينية، ويتحدث عن قصة فتاة فلسطينية اسمها سلمى التي تساعده في تنفيذ العملية الفدائية، ومحاولتهما في إنقاذ الفلسطينيين من المخاطر، وتتطور الصداقة بينهما إلى حب، وينتهي الفيلم بزواجهما، وهذا الفيلم يعتبر خطوة كبرى في تناول القضية الفلسطينية كأحد محوره الأساسي، وأكثر نضجا ووضوحا في معالجة مقاومة المناضلين.

فيلم "طريق الأبطال"

فيلم للمخرج محمود إسماعيل عام ١٩٦١، يصور حرب فلسطين، وقصة ضابط في الجيش وفتاة يحبها، وذلك أن الفيلم يتناول قصة فتاة تتذكر كيف كانت لاهية ومستهترة، من خلال أنها كانت تحب أديبا صحفيا في بدايتها، ولكن أسرتها فرضت عليها أن تهجرها، ثم يصبح الأديب ضابطا في الجيش، ويذهب ليشارك في حرب فلسطين، وبعد الأيام تدخل هذه الفتاة في سلك التمريض للجيش متطوعة، وتصادف حبيبها في الجبهة الذي لفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها.

فيلم "صراع الجبابرة"

وفي عام ١٩٦٣، أخرج زهير بكير فيلما بعنوان "صراع الجبابرة"، يأتي في ضمنه القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني، تتطور القصة حول شاب يفر من مصر إلى غزة بسبب اتهامه بجريمة قتل راقصة، وبعد وصوله إلى غزة يهاجم القوات الإسرائيلية، ويقع أسيرا في أيديهم، ويلتقي بجاسوسة صهيونية، وفي نهاية الفيلم يظهر أنها ليست بجاسوسة بل فدائية مصرية في لباس الجاسوسة، وتستشهد بعد أن تبادلت الأمور الهامة إليه.

فيلم "الناصر صلاح الدين"

وفي عام ١٩٦٣، أخرج يوسف شاهين فيلما اسمه "الناصر صلاح الدين"، الذي

يتحدث عن تاريخ القضية الفلسطينية والحروب الصليبية ضد المسلمين، وتحرير القدس بيد القائد الكبير صلاح الدين الأيوبي، وهزيمة الصليبيين وقائد الفرنجة ريتشارد قلب الأسد.

فيلم "حب وخيانة"

وفي عام ١٩٦٨، ظهر فيلم "حب وخيانة" للمخرج سيد بدير، فيلم يقدم قصة رمزية عن القضية الفلسطينية من خلال قصة عصام الطالب في كلية الحقوق الذي يتكافل أهل الحارة، ويدافع عنهم من بطش سلامة المملوكي، ولكن الفيلم خسر في تقديم لجوهر القضية الفلسطينية من خلال الرموز.

فيلم "الخوف"

وفي عام ١٩٧٠، أخرج سعيد مرزوق فيلما اسمه "الخوف"، فيلم يصور نكسة حزيران ١٩٥٧ وتأثيراتها على حياة الشعب، من خلال الرموز وقصة الفتاة سعاد التي اضطرت أن تهاجر إثر النكبة، وتسوق حياة الخوف منذ مأساة الحرب، ويرصد الفيلم انعكاساتها النفسية والجسدية والاجتماعية.

فيلم "الظلال على جانب الآخر"

من إخراج غالب شعث، وإنتاج جماعة السينما المصرية، يبرز القضية الفلسطينية مباشرا من خلال عمر الذي قدم من الضفة الغربية إلى مصر للدراسة، وعمل من أجل فلسطين في مصر حتى يبدو حقيقة القضية الفلسطينية والمسألة السياسية الوطنية القومية.

فيلم "ناجي العلي"

وفي عام ١٩٨٢، ظهر فيلم اسمه "ناجي العلي" للمخرج عاطف الطيب، يتحدث عن الفنان رسام الكاريكاتور الفلسطيني ناجي العلي، وفي الفيلم تصوير لنكبة ١٩٤٨، واللجوء إلى لبنان، والحياة في المخيمات، ومقاومة الشعب الفلسطيني، والأحداث الهامة التي وقعت في فلسطين في الستينات والسبعينات، وهذا الفيلم نجح بشكل كبير في تناول المسألة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، من خلال عرض صمود ناجي العلي أمام الصهيونية في تسجيل القضية الفلسطينية في أعماله الكاريكاتورية، ومواقفه الوطنية والقومية.

فيلم "الأقدار الدامية"

وفي عام ١٩٨٢، أخرج خيري بشارة فيلما روائيا طويلا بعنوان "الأقدار الدامية" الذي يتناول القضية الفلسطينية بشكل مباشر، من خلال قصة اللواء حلمي باشا الذي يشارك في حرب ١٩٤٨ ومعه ابنه سعد، ولكن زوجة حلمي حورية تخونه وتعيش مع الكابتن كمال، في حين تعلم ابنتها علية هذا، وعندما يرجع حلمي يرى هذه الواقعة ويموت من الصدمة، ثم يرجع سعد وتخبره علية بما حدث، في نهاية الفيلم يتطوع سعد للقتال ضد الصهيونية، وتبقى علية وحيدة، وهذا الفيلم نجح في بيان جوانب الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتأثيراته في الحياة الاجتماعية.

فيلم "القبطان"

أنتج عام ١٩٩٧، للمخرج سيد سعيد، يحكي الأحداث في مدينة بور سعيد عام ١٩٤٨، التي وقعت إثر الهزيمة العربية في فلسطين عام ١٩٤٨، يتناول قصة بطله القبطان الشاب الذي يعيش بين العبث والتمرد، والذي يملك قدرات خاصة لغزو قلوب النساء، ويتحدث عن حبه مع هيلينا الزوجة الهاربة من زوجها وعلاقاته الأخرى مع النساء، وفي الفيلم تصوير للأحداث وقعت في فلسطين إبان حرب ١٩٤٨ ولجوء الفلسطينيين إلى مصر، يصلون إليها بالقوارب والمراكب عبر قناة السويس.

فيلم "صعيدي في الجامعة الأمريكية"

وفي عام ١٩٩٨، أخرج سعيد حامد فيلما اسمه "صعيدي في الجامعة الأمريكية"، يأتي بالمواقف القومية للطلبة المصريين الذين يدرسون في الجامعة الأمريكية، وذلك بالرغم أنهم يدرسون في الجامعة الأمريكية، كانوا يتبعون المواقف ضد مفهومات الثقافة الأمريكية، والطلبة في هذا الفيلم يظهرون موافقهم في القضية الفلسطينية، ويقومون بالفعالية التي تؤكد على التأييد التام للنضال الفلسطيني والكفاح القومي.

فيلم "أصحاب ولا بيزنس"

وفي عام ٢٠٠١، أخرج علي إدريس فيلما بعنوان "أصحاب ولا بيزنس"، الذي ظهر في حيز الوجود في وسط اندلاع انتفاضة الأقصى في فلسطين، يتناول القصة والأحداث التي تدور في أحد القنوات التلفزيونية من خلال مذيعين كريم نور وطارق السيوفي اللذان يقدمان برامج ترفيهية، وهذان المذيعان يتنافسان بينهما في العمل والملابس والعلاقات

بالجنس الآخر وغيرها من الأمور داخل القناة وخارجه، وفي الفيلم يتنافسان على حملة إعلانات ضحمة لإحدى شركات الملابس والتي تكسب مالا كثيرا، ولكن ميعاد هذا يتصادف مع اندلاع انتفاضة الأقصى، حتى يضطر كريم أن يذهب من غير رغبة منه لتسجيل الوقائع الفلسطينية، وذلك بسبب الدسائس التي مارسها زملاء له في القنان وهو في فلسطين يصور اعتداء إسرائيل على الفلسطينيين، ويجد فرصة أن يتعرف على الفدائي، ويوصيه بتصويره حينما يقوم بعملية استشهادية لعرضها في القناة، ويتأثر بالانتفاضة وينقلب الحال وتتغير نظرته بالتمام، ولكن القناة لن تسمح للمذيع ببث ما صوره من العملية الاستشهادية حتى يقع الصدام بينه وبين أصحاب القناة، هذا الفيلم يتناول العمليات الاستشهادية التي تعد أبرز الظواهر لمقاومة الشعب الفلسطيني التي ظهرت خلال انتفاضة الأقصى، من خلال تقديم صورة الفتى الفلسطيني الذي يقوم بعملية استشهادية، والفيلم يحمل رسالة أن كل واحد من العرب عليه أن يشاهد ويعرف حقيقة ما يجري في فلسطين حتى يترك العبث، ويلعب دوره في مقاومة العدو الصهيوني، ويقدم الفيلم مقاطع من أغنية نشيد فلسطيني.

فيلم "بركان الغضب"

وفي عام ٢٠٠٢، أخرج مازن الجيلي فيلما اسمه "بركان الغضب"، يحكي أحداث فتى فلسطيني اسمه خالد شبيب في غمرة انتفاضة الأقصى، والذي يرى مقتل أبيه على أيدي جند الاحتلال الصهيوني، ويخوض في المقاومة مع أصدقائه، ويصل إلى أماكن تجمعات الجنود، ويتمكن أن يعرف على تحركاتهم وعلى ضرب الجنود، وينجح في اغتيال أحد الجنرالات، وفي الفيلم يسعى خالد شبيب لحل جذري لهذه المشكلة، ويرى جمع السلاح حلا، حتى يصل إلى مصر لعقد صفقة السلاح، والفيلم يقدم رسالة إلى عالم العرب بأن

الفلسطينيين في أمس الحاجة إلى الأسلحة.

فيلم "قليل من الحب.. كثير من العنف"

من إخراج رأفت الميهي، يصور أحداث مختلفة، منها، قصة كاتب علي الذي سينتحر بسبب ما يرى من الأخبار والصور، وجندي أمريكي على حاملة الطائرات، والقيادة الفلسطينية تعود إلى غزة بعد ثلاثين عاما، والمفاوضات بين القيادة الفلسطينية والإسرائيلية، ومحاولة الاتفاق على منع الاعتداء على الإسرائيليين من داخل أراضي الحكم الذاتي، وخبر عن أول الدماء الإسرائيلية التي تسيل على أرض قطاع غزة بعد يومين فقط من تسلم الفلسطينيين لسلطة الحكم الذاتي، وفي الفيلم صوت لعمرو موسى، فيه يوكد على ضرورة الاتفاق على القدس وعلى التفاوض بصدد اللاجئين والمستوطنات.

أفلام وثائقية

فيلم "القدس"

وفي عام ١٩٥٥، أخرج كمال مدكور فيلما تسجيليا اسمه "القدس"، الذي يعد أول الأفلام التسجيلية الفلسطينية تتناول القضية الفلسطينية، وهذا الفيلم يصور الأماكن الأثرية والسياحية في مدينة القدس، وأول فيلم ظهر عقب مأساة حزيران ١٩٦٧.

فيلم "معسكر اللاجئين في غزة"

فيلم أنتج عام ١٩٥٥، أخرجه حسن حلمي، يصور حياة اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات غزة ومعاناتهم فيها، وذلك أن هذه المخيمات كانت في البداية معسكرات جيش الانتداب البريطاني، ثم حولت إلى المخيمات بعد مغادرة القوات الاحتلالية، وأسكن فيها آلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم إثر نكبة ١٩٤٨ ونكسة حزيران ١٩٤٧.

فيلم "أجراس السلام"

وفي عام ١٩٦٥، أخرج رمسيس نجيب فيلما اسمه "أجراس السلام" الذي يعرض الأماكن الأثرية والدنيوية والسياحية في فلسطين من خلال بيان تاريخ فلسطين وقضيتها من الاحتلال الإسرائيلي ومقاومة الفلسطينيين.

فيلم "صورتي الجديدة"

من إخراج حسام علي، يصور العلاقة بين طالب مصري وطالبة فلسطينية اللذان يدرسان في كلية الفنون الجميلة، الطالب يهتم بالشكل في لوحاته، ويتخرج في الكلية، ويلتحق بالجيش، وفي حين الطالبة ترتكز على أمور المخيمات الفلسطينية، وتصير فدائية، وهذا الفيلم يتناول حياة اللاجئين في المخيمات الفلسطينية والأعمال الفدائية في فلسطين.

فيلم "ثلاثية رفح"

وأخرج حسام علي عام ١٩٨٢ فيلما مميزا اسمه "ثلاثية رفح"، يصور القضية الفلسطينية والعدو الصهيوني والممارسة العدوانية، القسم الأول يحمل اسم أبو شنار، يصور قرية فلسطينية اسمها أبو شنار، التي أقام الاحتلال الإسرائيلي مستعمرة فوق أرضها، ويصور الدمار الذي تركه الإسرائيليون خلفهم قبل رحيلهم عنها، ويتحدث عن سرور أهاليها حينما ترجع القوات الإسرائيلية، والقسم الثاني يحمل عنوان وثائق فلسطينية، يصور حياة الفلسطينيين، والشهادات الحية التي تؤكد أحقية أهالي فلسطين للأرض ، والقسم الثالث يحمل اسم أشواق الأهالي، يصور حاجز الأسلاك الشائكة، وتأثيراته في فصل الأخ وأخيه والزوج والزوجة.

فيلم "فلسطين.. ٥٢ سنة احتلال"

فيلم أخرجه أحمد أبو زيد، يصور الفن التشكيلي فيه على امتداد ١٠ دقائق، ٥٢ مقبرة حفرت في حديقة مجمع الفنون في القاهرة، ويبرز صورة الصمود والإصرار على الانتصار، وذلك أنه تخرج من القبور ١٥٠ يد تشير بعلامة النصر باتجاه القدس.

فيلم "حدوتة مصرية فلسطينية"

ظهر عام ٢٠٠٠، من إخراج فؤاد التهامي، مدته ١٦ دقيقة، من إنتاج اللجنة الشعبية المصرية لدعم الانتفاضة الفلسطينية، يصور المعونات التي يقوم بها الشعب المصري للشعب الفلسطيني على صورة تبرز العلاقة الراسخة بين المصريين والفلسطينيين، ويصور واقع الفلسطينيين المرير تحت الاحتلال الإسرائيلي.

المصادروالمراجع

١- بشار إبراهيم: فلسطين في السينما العربية ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
٢- قيس الزبيدي: فلسطين في السينما، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
٣- علاء الدين عياش، ملامح الأفلام التسجيلية الفلسطينية، دار العين للنشر، القاهرة، ص ١٧٥
٤- حسين العودات: السينما والقضية الفلسطينية، عمان، دار الأهالي.
٥- بشار إبراهيم، السينما الفلسطينية في القرن العشرين ١٩٣٥- ٢٠٠١، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠١.
٦- عدنان مدانات، السينما الفلسطينية، مجلة الكاتب، عدد ١٣٧، ١٩٩١.
٧- حسان أبو غنيمة، فلسطين والعين السينمائية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨١.
٨- تيسير خلف، دليل الفيلم الفلسطيني ١٩٣٥- ٢٠٠٠، الدوحة، ٢٠٠١.
٩- خيرية قاسمية: ‹القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، الموسوعة الفلسطينية ، بيروت
١٠- أمير العمري: كلاسيكيات السينما التسجيلية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة
١١- إبراهيم الدسوقي: السينما التسجيلية الفلسطينية
١٢- بشار إبراهيم: ثلاث علامات في السينما الفلسطينية الجديدة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة
١٣- بشار إبراهيم: فلسطين في السينما العربية ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة
١٤- جان الكسان: السينما في الوطن العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون

دراسة نموذجية عن المجلات العربية في الهند

د. أنيس آلنكادن
قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

تتكلم هذه المقالة عن بعض أخبار المجلات الهندية التي نشرت في ساعة الاستقلال الهند. وهي تعتبر كأساس لصحافة العربية في الهند. منها مجلة صوت الأمة و مجلة الصحوة الإسلامية و مجلة الفرقان. كان شمال الهند غنيا في مجال الصحافة وهكذا نشرت مجلات كثيرة بعد استقلال الهند أيضا.

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية أنشأت عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م وتصدر من دار التأليف والترجمة ببنارس في شمال الهند. وكانت تسمى في بداية الأمر باسم صوت الجامعة، وبقيت على حالها حتى عام ١٩٧٦م. ثم سميت باسم مجلة الجامعة السلفية وأخيرا تقرر لها اسم صوت الأمة.

وبصدد مراحل التغيير والتعديل في اسم هذه المجلة والباعث على قرار تسميتها باسم صوت الأمة يصرح الدكتور مقتدى حسن الأزهري وهو مدير تحريرها قائلا: «إن جهودنا في الصحافة متجهة من الأخص إلى الأمم. فالمجلة في المرحلتين كانت حسب اسمها

في حدود الجامعة. وإن كانت تعمل حساب الأمة في جميع الأمور. وتحاول أن تشارك في آمالها وآلامها. والآن أنها تصدر باسم الأمة، ولذلك يجب عليها أن تركز حول شؤون الأمة وتوسع نطاق عملها. وتنطلق حيث مصلحة الأمة وتتجه دائما إلى تسديد مسارها حسب الوسائل المتوفرة».

فإن المجلة كانت ولا تزال تحمل على صفحاتها رسالة دعوية وهي العودة بالأمة إلى الكتاب والسنة، وتؤدي مسئولياتها نحو تعميم الدعوة الإسلامية وصيانة التراث الإسلامي وإبراز قضايا الإسلامية المعاصرة وتقديم حلولها حلا مقنعا، كما تدعو إلى العقيدة الإسلامية والتمسك بالكتاب والسنة وترك المعاصي والبدع والخرافات التي تتفاقم بين الشعوب الإسلامية يوما فيوما.

وهذه المجلة تلعب دورا بارزا منذ تأسيسها في نشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالتراث الإسلامي. وتكافح الأباطيل والافتراءات والدعايات المسيحية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين وتقدم المفاهيم الإسلامية الصحيحة. وتهاجم على البدع والخرافات والأقاويل الزائفة، وتحاول بكل نجاح أن تقضي على النظريات التافهة والأفكار الباطلة وتشن غارات على المبتدعين الماكرين. تستهدف هذه المجلة إصلاح العقيدة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الدينية وتقدم بحوثا ودراسات علمية وفتاوى دينية وما يتعلق من الأمور بالفقه الإسلامي الصحيح والتراث الإسلامي القديم والجديد.

ولذا تعد هذه المجلة من المجلات العربية الرائدة الصادرة في الهند. وتمثل الصحافة الإسلامية العربية ولا تقل عن مجلة عربية صادرة من مهبط الوحي من حيث المستوى العلمي واللغوي والصحفي. ومن حسن حظ المجلة أن الدكتور مقتدى حسن الأزهري رزق لها كمدير من أول يومها. والدكتور يعرف في الدوائر الصحفية العربية في الهند وخارجها بحسن أسلوبه وجودة كتابته وتضلعه باللغة العربية وعدم مداهنته وصراحة قوله في افتتاحية المجلة. ونلمس هذا اللون الفريد في كل افتتاحيته. هذا المقتطف من رشحات قلمه حول غطرسة أمريكا في العراق وسوء استخدام معنى الديمقراطية: إن الديمقراطية التي تريد أمريكا إرساء دعائها في الشرق القريب أو البعيد، ومبادئ العدد والسلام التي تنادي باحتياج الشعوب إليها. لا يمكن الوصول إليها ولو على جثث الأبرياء وأشلاء الأطفال والنساء. إن هذه المصطلحات التي تستخدمها أمريكا وحلفاءها ليست إلا ستارا تستر به قوى الشر والطغيان. وغطاء تتغطى به عناصر الخداع والنفاق.... إن أمريكا ليست الآن في وضع يساعدها في فهم لغة الكلام ومنطق الاستدلال، إنها لا تفهم

إلا لغة القوة، ولا تخضع إلا للرد الذي يكون بالمثل أو بالأقوى.

إن أهداف المجلة الشاملة مكتوبة على الصفحة الأخيرة بالتفصيل بعنوان «المجلة تهدف إلى» وهي كما يلي:

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه وسنة النبي صلى الله، بعيدا عن التحيز الفكري والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها. ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافية الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادئ الهدامة، وضلال الزيغ والإلحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للمسلين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الإسلاميين واستنهاض مهمهم لتناول موضوعات العصر. وشرع تعاليم الإسلام السمحة، ليتمكنوا الذود عن الإسلام وقيمه، في تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامي في الشباب المسلم. وتزويدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة. وإعدادهم للإسهام في معركة اللسان والقلم. وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الإسلامية والعربية بين المسلمين في الهند. وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الديني للمسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة.

مجلة الصحوة الإسلامية

هي مجلة عربية فصلية جامعة يصدرها القسم العربية بالجامعة الإسلامية دار العلوم، حيد آباد الهند. وتم تأسيسها في عام ١٩٨٩م، والأستاذ محمد نعمان الدين الندوي هو رئيس التحرير لهذه المجلة. وكما يتضح من اسم المجلة هي تهدف إلى إحداث اليقظة الإسلامية والوعي الديني الإسلامي بين أبناء الأمة العربية والإسلامية في الهند وخارجها. ومنذ أول يومها تلعب المجلة دورا رياديا في إيقاظ شعور أبناء الإسلام وتنفخ روحا

جديدة في الناشئين عن طريق نشر المقالات القيمة حول المواضيع المختلفة المتنوعة.

وتشتمل محتويات هذه المجلة على «كلمة العدد» و «الدعوة الإسلامية» و «دراسات في الكتاب والسنة، ومن أعلام الإسلام في الهند، والتربية الإسلامية والأدب والثقافة و في رحاب الجامعة ،وإصدارات، و إلى رحمة الله وصور وخواطر.

إن محتويات هذه المجلة قيمة بل ثورية تقوم بإيجاد ثورة في الفكر. وتوقظ الشباب من سباتهم العميق، وهنا أذكر المحتويات لعدد من أعداد المجلة لكي نقوم بتقويم المجلة ونعلم مستواها ومستوى أفكارها المساهمين فيها

إن كلمة الصحوة الإسلامية تعالج القضايا المعاصرة والأزمات التي تواجهها الأمة الإسلامية في العالم بكل جرأة وبسالة وبأسلوب قوي وتكشف النقاب عن وجوه أعداء الإسلام والمسلمين. مثلا افتتاحية عدد ٤١ سبتمبر ٢٠٠٢م تعالج قضية فسطين والجرائم والمجازر التي يرتكبها إسرائيل في الأراضي العربية وخاصة في فلسطين وتبررها. وهنا أذكر مقتطفات من افتتاحية العدد المذكور وهي كما يلي:

الوضع في الأراضي العربية المحتلة لا يزال جد متأزم وخطير، فأحفاد الوردة والخنازير –اليهود الملاعين- لا يزالون يلغون في الدم الإسلامي العربي الفلسطيني الطاهر، ولا يزالون يواصلون ارتكاب الجرائم البشعة، معتديا كل حد ومحطمين كل سياج من الحياء والخلق ولاإنسانية. ولا عجب في ذلك! فانهم –اليهود- ما خلقوا إلا مجردين محرومين من أي صفة من الصفات الإنسانية. فلا توجد في قاموس القوم (اليهود) كلمة بدل على معنى العطف أو الرحمة أو الوفاء أو الحياء أو الإنسانية. وبالعكس من ذلك إن قاموسهم لغني بكلمات الغدر والخيانة والظلم والطغيان. إنهم ذئاب الإنسانية، ووحوش البشرية وقراصنة الدين والخلق وهواة البغي والفساد والإجرام ودعاة التخريب والهدم. ومصاصو الدماء وأحط من البهائم وأذل من الكلاب، وأقل منهم وفاء. يعامل الكلب صاحبه الذي يطعمه ويحسن إليه فيقابل وفاء بوفاء وإحسانا بإحسان. أما اليهود فهم قوم هجج، أصحاب القلوب المتحجرة، والطبائع المتمردة، لا عهد لهم ولا وفاء ولا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة. ولا يقيمون وزنا لأخلاق ولا أعراف ولا أديان، وينتهكون كل كرامة ويخترعون كل يوم النوع الفريد الذي لم يسبقوا إليه من الإيذاء والظلم. ويرقصون على حثث القتلى ويتفرجون على الجماجم والأشلاء ويسعدون بآهات الثكالى وصراخ اليتامى.

وفى الخلاصة هذه المجلة تلعب دورا كبيرا في نشر الوعي الديني والفكري بين مسلمي الهند وخاصة في الجنوب والعالم الإسلامي كله. كما تلعب الدور الكبير في نشر اللغة

العربية وصحافتها في الهند. إن هذه المجلة لا يقل شأنها عن أية مجلة صادرة في البلدان العربية من حيث المحتوى واللغة والأسلوب والإخراج الفني والطباعة.

مجلة الفرقان

هذه مجلة عربية إسلامية شهرية يصدرها مركز العلامة عبد العزيز ابن باز للدراسات الإسلامية، مدينة السلام ببيهار الهند. وهي صوت جامعة الإمام ابن تيمية بالهند. وهذه الجامعة مهد للتعليم والتربية ومعقل للدعوة والإرشاد في شبه القارة الهندية. وتتمثل أهدافها النبيلة في ترويج رسالة التوحيد الخالص والعقيدة الصالحة في الهند وخارجها. ونظرا للأهمية القصوى للإعلام في مجال الدعوة والإرشاد قرر مؤسس الجامعة الدكتور لقمان السلفي بإصدار مجلة عربية تبلغ رسالة الجامعة إلى كافة أبناء الأمة الإسلامية والناطقين باللغة العربية وصدر أول عدد لمجلة الفرقان في ديسمبر ٢٠٠٠م، وهي تصدر مرة في شهرين، ويرأس تحريرها أبو القيس عبد العزيز المدني.

إن هذه المجلة تهدف نشر الفكر الإسلامي السليم في العالم وتحاول تربية الناشئين في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ورد الشكوك والشبهات التي تخلفها وسائل الإعلام الغربية المعاصرة ضد الإسلام وتتصدى للأفكار الباطلة وجهات النظر الفاسدة كما تقدم الأفكار الإسلامية وتنشر المقالات القيمة الهادفة، وتمثل صحافة إسلامية عربية.

إن افتتاحية هذه المجلة تغذى عقول الشبان وتربّاهم تربية صالحة وتخبر عما يجرى في الهند والبلدان العربية من حوادث ووقائع سياسية ودينية واجتماعية كما تحلل أخبارا سياسية ودينيّة ومحلية وعالمية وعلى سبيل المثال لو نستعرض افتتاحية العدد الثلاثين، رمضان شوال ٢٠٠٥م لهذه نجد أنها تشمل موضوعات مختلفة مثل «المسلمون في الهند ومستقبلهم» فان هذه الافتتاحية بدون شك تحمل خير رسالة للمسلمين الهنود السياسية والدينيّة بكل شجاعة كما تبرز أهميتهم في مجال السياسة الهندية. وكذلك الموضوع «والله متم نوره ولو كره الكافرون» يندد تنديدا شديدا حادثة إهانة القرآن الكريم التي وقعت في سجن نحوانتامو وتقوم بفضح مخططات ومؤامرات أعداء وتحذر بأخطار محيطة بالإسلام والمسلمين. وهذه نبذة من كلمات الفرقال (الاختتامية) تقوم بتقدير مستوى المجلة الصحفي ونميزها من بين شقيقاتها:

«إن الاستهزاء والسخرية والقدح في ذات الرسول صلى الله التي ارتكبها أحاقر عباد الله على الأرض في بلاد الدنمارك والترويج، تطالب من الأمة الإسلامية بأسرها أن يقوموا

قومة واحدة لنصرة نبيهم الأمي الهاشمي صلوات التي وسلامه عليه. وأن يسلكوا جميع المسالك الممكنة لإسكات هذا الصوت الفاجر الكافر الذي ارتفع من الدنمارك وتردد صداه في الترويج وسكتت على الهراء السخيف هاتان الدولتان المسيحيتان وسكتت الدول المسيحية الأخرى فرحا بهذا السخف والشماتة بخاتم النبيين.... وكأني أرى أمهات المؤمنين ينادين غيارى الأمة المحمدية، فهذه خديجة واقفة على عتبة بابها، وأولئك عائشة وحفصة وأم حبيبة وصفية وغير هن من أمهات المؤمنين واقفات ينادين شباب الأمة وكهولها وشيوخها وأفرادها وملوكها وحكامها ويبكين ويصرخن لتغار الأمة وتنهض وتنقم للإهانات التي وجهت إلى خير البشرية فداه روحي وأبي وأمي، وإلى أمهات المؤمنين اللتي شهد الله لهن بالعفاف والطهارة والحب العظيم لنبيه صلى الله عليه وسلم. فهل من مجيب، وهل من قائل، جئتكن يا أمهاتي لأخذ ثأر رسول الله الحبيب وثأركن.

فبعد هذا الاستعراض العالي الذكر يمكن لنا أن نقول أن هذه المجلة تمثل الصحافة الإسلامية العربية ولا تقل عن مجلة صادرة في البلدان العربية من حيث الأسلوب والمحتوى وعهد المشتركين لها.

والجدير بالذكر أن هذه المجلة في غضون مدة قصيرة نالت إعجاب القراء في الهند وخارجها ولا تزال تزداد شعبيتها وقبولها في الدوائر العلمية والصحفية بحسن إخراجها وطباعتها ومحتوياتها القيمة.

المصادروالمراجع

١. أبو الحسن علي الحسني الندوي، ماذا خسر العالم بنحطاط المسلين، دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع حلب، بيروت ١٩٧٨م.
٢. أبو الحسن علي الندوي، مسلمون في الهند، ندوة العلماء لكهنؤ ١٩٧٦م.
٣. الصحوة الإسلامية، تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرآباد، الهند.
٤. صوت الأمة، تصدر عن دار التاليف والترجمة بنارس، الهند.
٥. عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٤م.
٦. القاضي أطهر المباركفوري، العرب والهند في عهد الرسالة، نقله إلى العربية عبد الغزيز عزت بن عبد الجليل، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٧. محمد إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت
٨. مولانا أبو الكلام آزاد، شخصيت اور كارنامي، خليق أنجم

عائشة تيمورية : شاعرة ناشطة من مصر

فاطمة فوزية. م
أستاذة مساعدة، أم. إي. أس. كلية كلّدي، منداركاد

عائشة تيمورية هي بنت إسماعيل باشا تيمور كرديّ الأصل وكان من رؤساء القلم للديوان الخديوي إسماعيل، وعضواً في الوفد الملكي وعائشة شاعرة مصرية ولدت في القاهرة في عائلة عريقة، وكانت والدتها في الطبقة الأرستقراطية، ونشأت عائشة تيمورية في بيت علم وسياسة، فأبوها رجل له مكانة عالية في المجتمع والسياسية والأدبية، وله شغف بقراءة كتب الأدب، فكانت عائشة تميل إلى القراءة وأمها كانت تعارض هذا ولكن عائشة استمرت في القراءة، وتفهم أبوها عن طبيعتها وأحضر لها أستاذين كبيرين للغتين الفرنسية والعربية. وأتقنت عائشة في اللغتين وتعلّم الخطّ والفقه الإسلامي وحفظت القرآن الكريم واستطاعت قراءة الكتب الأدبية.

وتقول عائشة عن ذلك: «فلما تهيأ العقل للترقي، وبلغ الفهم درجة التلقي تقدمت إلي ربة الحنان والعفاف، وذخيرة المعرفة والإتحاف، والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران، بأدوات النسج والتطريز، وصارت تجد في تعليمي وتجتهد في تفهيمي وتفطيني، وأنا لا أستطيع التلقي، ولا أقبل في حرف النساء الترقي، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك، والتهافت على حضور محافل الكتب بدون ارتباك، فأجد لصرير القلم في القرطاس أشهى نغمة، وأتخيل أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة، وكنت ألتمس- من شوقي- قطع القراطيس وصغار الأقلام، وأعتكف منفردة عن الأنام، وأقلد الكتاب في التحرير لأبتهج بسماع هذا الصرير، فتأتي والدتي، وتعنفني بالتكدير والتهديد فلم أزدد

إلا نفورا، وعن هذا التطريز قصورا، فبادر والدي تغمد الله بالغفران ثراه، وقال لها: «دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم، واحذري أن تكثري من الكسر في قلب هذه الصغيرة، وأن تثلمي بالعنف طهرها، وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها، وتعالي نتقاسم بنتينا، فخذي عفت وأعطيني عصمت، وإذا كان لي من عصمت كاتبة وشاعرة فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي»، وأخذ بيدي وخرج بي إلى محفل الكتاب ورتب لي أستاذين، أحدهما لتعليم الفارسية والثاني لتلقين العلوم العربية».

في سنة ١٨٥٤ تزوجت»عائشة» وهي في الرابعة عشرة من عمرها من محمد بك توفيق الإسلامبولى وهيأت لها حياتها الرغدة أن تستزيد من الأدب واللغة، فاستدعت سيدتين لهما إلمام بعلوم الصرف والنحو والعروض، ودرست عليهما حتى برعت، وأتقنت نظم الشعر باللغة العربية، كما أتقنت اللغتين التركية والفارسية. فقدت عائشة والدها في سنة ١٨٨٢م وزوجها بعد ثلاثة أعوام. وبعد وفاة أبيها تولت عائشة تعليم أخيها «أحمد تيمور»، فتعهدته بالتربية والتعليم حتى عرف طريقه، وقد صار بعد ذلك واحدا من رواد النهضة الأدبية في العالم العربي. فقدت «عائشة» ابنتها «توحيدة» التي توفيت في السن الثانية عشر وظلت سبع سنين ترثيها حتى ضعف بصرها وأصيبت بالرمد فانقطعت عن الشعر والأدب، وكانت حبيبة إليها فرثتها بعدة قصائد منها «بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي»، وكان لهذا الحادث الأليم عميق الأثر في نفس عائشة حيث ظلت سبع سنوات بعد وفاة ابنتها في حزن دائم وبكاء لا ينقطع، وأحرقت في ظل الفاجعة أشعارها كلها إلا القليل.

أعمالها الأدبية الهامّة

لها ديوان باللغة العربية باسم (حلية الطراز) وتم طبعه ونشره في القاهرة وهو ديوان لمجموعة أشعارها العربية، وكان له وقع عظيم في النفوس وقول حسن عند أهل البلد ومن أبياتها:-

بيد العفاف أصون عز حجابي
وبعصمتي أسموا على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة
نقادة كملت آدابي
ماضرّني أدبي وحسن تعلّمي
إلّا بكوني زهرة الألباب

ما عاقني خجلي عن العليا
ولا سدل الخمار بلمّتي ونقابي
عن طي مضمار الرهان إذ اشتكت
صعب السباق مطامح الرّكّاب
بل صولتي في راحتي وتفرّسي
في حسن ما أسعى لخير مآب.

قصيدة عائشة التيمورية على الحجاب تدلّ على رضاها بقيده واعتزازها به وهي أوّل من دعت إلى تعليم المرأة ولها في ذلك مقالات وأشعار، وكانت تحبّذ الحجاب وترى أنّه لا يمنع العلم والأدب، وتؤكّد الشّاعرة المسلمة أنّ حجابها حصن حصين لها، وأنّه لا يمنعها من التعلّم والتقدّم والمجد والعلياء.

وآخر ديوان بالفارسية طبع بمصر وبالأستانة وبإيران، ولديها رسالة في الأدب بعنوان (نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال) وهو كتاب عربي، فيه قصص لتهذيب النفوس، أسلوبه إنشائي وقد طبعه بمصر وتونس، كما أن لديها رواية بعنوان «اللقاء بعد الشتات»، ولديها رواية أخرى غير مكتملة بخط يدها.

نشرت عائشة في جريدة «الآداب» و«المؤيد» عددا من المقالات عارضت فيها آراء «قاسم أمين» ودعوته إلى السفور. ومن آثارها الأدبية الأخرى «مرآة التأمل في الأمور»، وهي رسالة باللغة العربية، تتضمن ١٦ صفحة في الأدب، دعت فيه الرّجال إلى الأخذ بحقّهم من القوامة على المرأة دون تفريط في واجبهم نحو المرأة من الرعاية والتكريم. ولها أيضا كتاب يضم مجموعة من القصص باسم «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال». وهي كتبت في الشعر الغزلي والديني والأخلاقي والعائلي والاجتماعي. وقد تميز شعرها بكل أنواع الصدق والمشاعر الخالصة، وعندما ماتت ابنتها «توحيدة» وهي في سن الثانية عشر من عمرها، كتبت عائشة ورثتها في عدّة قصائد تلك القصائد من أفضل المرثيات في العصر الحديث، ومما قالته في ابنتها:

أماه قد عز اللقاء وفي غد ستّرين نعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي جاءت عروساً ساقها التقدير

محرّرة المرأة

لعبت عائشة التيمورية دورا مهمّا لتحرير المرأة، من خلال عدد من الأبحاث

والدراسات التي نشرتها حول تعليم الفتيات، لتدخل في معارك مع من رأوا في تعليم الفتاة مفسدة أخلاقية، كما ردت بعنف على من ادعوا بأن التعليم يحول الفتاة إلى رجل، مؤكدة أن العلم يزيد من أنوثة المرأة. كما كانت من أوائل الرائدات اللاتي نبشن في قضية القوامة، والتي كان ينظر إليها كحق أصيل للرجل، لتفاجئ الجميع بآرائها القائمة على منهج العقل لتقول إن القوامة في الأسرة لصاحب الدور الاجتماعي وليس للرجل على الإطلاق، فلا قوامة لرجل يقضي يومه في الحانات والمراقص، بينما المرأة تتحمل وحدها مسؤولية إدارة شؤون المنزل والأولاد.

مصلحة اجتماعية

عائشة التيمورية ناشطة مصرية اجتماعية، شاعرة وروائية ونسوية. لعبت دورا مهمّا في الحياة الثقافية والاجتماعية في مصر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في الوقت الذي احتدم فيه الصراع بين الشرق والغرب حول مفهوم المجتمع الحديث والصورة المثلى للرجال والنساء فيه. فقد كانت الصورة النمطية للمرأة الشرقية في ذلك الوقت هي ربة البيت التي تجيد رعاية المنزل والأولاد وفي نفس الوقت تتمتع بقدر من التعليم. لكنها نجحت في كسر تلك الصورة التقليدية وأصبحت الشاعرة التي نظمت الشعر بالعربية والتركية والفارسية، والأديبة التي صنفت كتبا في الأدب وكتبت الرواية.

وفاتها

في سنة ١٨٩٨ أصيبت عائشة بمرض في المخ واستمر المرض أربع سنوات حتى توفيت سنة ١٩٠٢.

المصادروالمراجع

١ عائشة تيمور شاعرة الطليعة تأليف مي زيادة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة جمهورية مصر العربية ٢٠١٢.

٢. تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري.

٣. اعلام النثر والشعرفي الأدب العربي محمد يوسف كوكن.

٤. عائشة تيمور، مي زيادة، وكالة الصحافة العربية دار الكتب المصرية November ٢٠١٨.

٥. https://www.alukah.net/literature_language/٠/٥٩٦٠٢/

٦ .https://kitabat.com/cultural/عائشة-التيمورية-جددت-في-الشعر-وأيدت-تح

دراسات متنوعة

تدريس اللغة العربية في الهند باستخدام التكنولوجيا الحديثة

أ. د. محمد أيوب تاج الدين الندوي
مدير المركز الثقافي العربي الهندي ، الجامعة الملية الإسلامية

اللغة العربية من اللغات التي وجدت منذ زمن سحيق لا يعرف مداه أحد. وتوجد في تاريخ الأدب العربي نصوص تعود مدتها إلى أكثر من سبعة عشر قرنا. وهي لغة حية ومتطورة منذ أن عرفها المؤرخون للغات. ويقول بعض المتحمسين للغة العربية أنها لغة أبينا آدم. فإن اللغة التي نطقها أول إنسان على الأرض – في نظرتهم- هي اللغة العربية. وحكمت هذه اللغة وسادت القرون الطويلة حيث نشرت العلوم - منقولها ومعقولها- إلى قارات معمورة في تلك القرون. ولا تزال هذه اللغة تستخدم لغة رسمية في أكثر من اثنتين وعشرين دولة في العالم وينطقها أكثر من ٤٦٠ مليون عربي ويفهمها أكثر من مليار مسلم في كافة أنحاء المعمورة ويحاولون أو يتمنون أن يتكلموا بها. وتمكنت هي من الدخول في اللغات الرئيسة الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة وفوق كل ذلك أنها وسعت كلام الله تعالى جده. ولم تخن أصحابها في أي زمن من الأزمان، رغم مكر الماكرين الأعداء وسفاهة بعض أهلها الحمقى.

دخل العالم القرن الواحد والعشرين الميلادي وهو تحول إلى قرية بفضل التكنولوجيا الحديثة. فإن أي حادث يقع في بقعة نائية من أرجاء العالم لا نلبث إلا ونعرفه في بضع دقائق فور وقوعه. فقد شهدنا طفرات استثنائية في قدرة التكنولوجيا

الحديثة على جعل المعلومات تتدفق بسرعة هائلة، حيث القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت العالمية، التي جعلت الوصول للمعلومات، والمعرفة سريعاً، فعصرنا هذا هو عصر الإعلام، والاتصال، والحاسوب، والإنترنت، والفضائيات، ومن اللافت للنظر أن جيل طلابنا الشباب هو الأكثر تفاعلاً مع هذه الأدوات. فألا يجب علينا – نحن أساتذة اللغة العربية - أخذ المتغيرات الجديدة، في بلورة رؤية جديدة، إذ لا يمكن التعامل مع جيل الشباب، إلا بأدوات الحاضر، وبثقافة جديدة، حيّة وفاعلة ولابد أن نفتح الفرص أمام الشباب للعمل، والعطاء، والفاعلية. فلماذا لا نعتمد على معطيات التقانة الحديثة، من أجل الإسراع للّحاق بالحركة العلميّة العالميّة. فالحاسوب مثال على التكنولوجيا المتطوّرة في خدمة المتعلّم، والمعلّم، وأغراض التدريب.

مما لا شك فيه أن اهتمام العلماء الهنود باللغة العربية كان كبيرا منذ البداية ولكن ذلك الاهتمام كان في معظم الأحيان في مجال الكتابة فقد قام الهنود بتأليف مختلف الكتب باللغة العربية في موضوعات متنوعة ولكن دراسة العلوم الإسلامية وتأليف الكتب فيها كان أكبر همّ لهم في القرون الماضية، وبعد تأسيس المدارس الإسلامية في الهند وخاصة بعد تأسيس ندوة العلماء في نهاية القرن التاسع عشر واهتمام أهلها الزائد باللغة العربية نطقا وكتابة، انتشرت اللغة العربية في البلاد انتشارا سريعا. وازدادت الرغبة عند النشء الجديد بعد صدور مجلات عربية في مختلف أرجاء الهند وإرسال بعثات تعليمية إلى الجامعات العربية وبهذا كثر عدد الناطقين باللغة العربية في هذه البلاد وحققت المدارس العربية الإسلامية والكليات والجامعات الحكومية نجاحا كبيرا في مجال تعلم وتعليم اللغة العربية. وبعد الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ٢٠٠١م، والحرب الأمريكية العراقية وبعد العولمة الاقتصادية ودخول الشركات المتعددة الجنسيات في الأسواق الهندية ازدادت أهمية اللغة العربية واتسع نطاق استخدامها حتى في السياحة الطبية في الهند وكثر عدد الراغبين لتعلم هذه اللغة نطقا وكتابة، فكان من اللازم على مدرسي اللغة العربية أن يفكروا في تطوير النظرة إلى مفاهيم لغوية مهمة، كمفهوم التعليم، والاكتساب اللغوي، وإثراء مفهوم التواصل اللغوي واستغلاله في الاقتصاد، وكذلك تطوير مناهج تعليم اللغة العربية وطرائقها. لذلك سوف نتطرق في هذه المقالة إلى موضوع المهارات اللغوية لبيان أهميتها ومكانتها في اكتساب اللغة، كما سنوضح كيفية اهتمام الطرائق الحديثة بهذه المهارات لما لها من أثر وقيمة في كل عملية تربوية كما يؤكد ذلك المهتمون بهذا الميدان.

المهارات اللغوية: هي أربع مهارات (الاستماع – الكلام – القراءة – الكتابة)، وقد قسم عالم اللغة جوهن بيسل كارول (John Bissell Carroll) المهارات اللغوية إلى قسمين وهما مهارتا الاستقبال (Reception) ومهارتا الإنتاج (Production)[1] والمهارات اللغوية التي تدخل في الاستقبال هما مهارة الاستماع ومهارة القراءة والمهارات اللغوية التي تدخل في الإنتاج هما مهارة الكلام ومهارة الكتابة. ولما كان لكل علم أهدافه، فإن هذه المهارات الأربع في تعليم اللغات تمثل الأهداف الأساسية، التي يسعى كل معلم لتحقيقها عند المتعلمين، فتعلم أي لغة من اللغات، سواء كانت هي لغة أمّا أم لغة أجنبية، إنما هدفه هو أن يكتسب المتعلم القدرة على سماع اللغة والتعرف على إطارها الصوتي الخاص بها، ويهدف كذلك إلى الحديث بها بطريقة سليمة تحقق له القدرة على التعبير عن مقاصده، والتواصل مع الآخرين أبناء تلك اللغة خاصة، وكذلك يسعى إلى أن يكون قادرا على قراءتها وكتابتها.

فاللغة مصدر رئيسي لعمليات الاتصال بين الأفراد، والجماعات، واللغة بهذا الاعتبار تتكوّن من عنصرين رئيسين هما:

الأول: عنصر الصوت، وهو مرتبط بالنطق والسماع. والثاني: عنصر المعنى، وهو مرتبط بالقراءة والكتابة.

وإن اللغة المسموعة أو المكتوبة هي المصدر الأساس لجميع عمليات الاتصال، في حياة الأفراد، والجماعات. وإذا استطاع الإنسان استخدامها بيسر وسهولة ومهارة، أمكن له أن يبلغ ما جال في خاطره إلى الآخرين بكفاءة.

وبما أن عصرنا الراهن عصر مختلف تماما من العصور الغابرة بحيث دخل فيه التعليم عن بعد بواسطة المستحدثات التكنولوجية، ونرى أن المعلم يستطيع أن يدرس تلاميذه في مختلف أرجاء العالم وهو واقف في فصله يشرح دروسه ويجيب على أسئلة يطرحها طلابه عبر الشاشة من أي مكان في العالم. فكيف يكون حال أساتذة اللغة العربية في الكليات والجامعات؟ وهل نستطيع أن نستفيد من هذه المستحدثات التكنولوجية في تعليمنا لطلابنا، وهل نستطيع أن نستفيد من الحاسوب والإنترنت في تقوية مهارات طلابنا وتحسين قدراتهم في النطق باللغة العربية والكتابة بها؟

ويعتقد بعض الباحثين أن استخدام تكنولوجيا التعليم، وخاصة المستحدثات

---

١ - فتحى علي يونس و محمد عبد الرؤوف الشيخ, المرجع، (القاهرة : مكتبة وهبية, ٢٠٠٣) ص ٥٧

التكنولوجية يلغي دور المعلّم، حيث يمكن للمتعلّم تلقي دروسه مباشرة، من دون الحاجة إليه. بينما في ضوء تكنولوجيا التعليم، يتغيّر دور المعلم من الملقّن إلى مدير، أو موجه، أومرشد للتعليم، ويتأتّى ذلك عن طريق تمكّنه من بعض مهارات تشغيل الأجهزة، ومصادر التعلّم، والمواد التعليمية، والبرامج، وكيفية إنتاجها، والقدرة على تقويمها، وقيادته للمناقشات الصفيّة. لذا فمن الضروري وضع برامج تدريبية، على مستوى عال، وضمان الاستخدام الأمثل، للأدوات، والبرامج المتاحة، باستخدام هذه التكنولوجيا.

وبهذه الطريقة نستطيع أن نصطنع بيئة يسود فيها النطق العربي لأننا نتعلم اللغة بالتدريب وتسنح لطلابنا الفرصة ليتحدثوا بهذه اللغة ويتدربوا على النطق بها بطلاقة، لأننا نعرف أن العرب في أيامنا هذه يصعب عليهم التحدث بهذه اللغة بطلاقة وذلك بسب اهتمام عامتهم باللهجات المحلية التي كأنها لغات أعجمية ولا تمت إلى اللغة العربية الفصحى بصلة. وبهذا الشأن يقول ابن خلدون: «بعد أن انتهى العهد الذي كان فيه تربية الملكة اللسانية طبعاً وسليقة, فإنه لابد من اصطناع المناخ اللغوي اصطناعاً متعمداً, واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة الملكة اللسانية....» [٢(١)]

وفي أيامنا هذه يستخدم الحاسوب في كافة مرافق الحياة، لذلك أصبحت المعرفة الحاسوبية ومهارات استخدام الحاسوب من المهارات الضرورية تماماً مثل القراءة والكتابة والحساب، ومن لا يتقن استخدامه يعتبر أمياً في عصرنا هذا.

وقد أصبح وجود الحاسوب وربطه بشبكة الإنترنت العالمية في البيوت من الضرورات التي يحتاجها كل فرد فيها. وهناك تزايد ملحوظ في اقتناء هذه الأجهزة بمختلف أنواعها.

ويمتاز الحاسوب عن الوسائل الأخرى بقدرته على استيعاب الصور والصوت والنصوص والحركات ومقاطع الفيديو، وكذلك قدرته على إيجاد حالة من التفاعل مع المتعلم، وتعتبر هذه الخاصية من أهم خصائص التعلم بوساطة الحاسوب، حيث يكون المتعلم نشيطا، ويكون التواصل بين المعلم والمتعلم زائدا بل متزائدا. وإن استخدام برنامج باور بوينت خاصة مع استخدام النص والصورة ومقاطع الفيديو يجعل درس اللغة العربية لدى الطالب أمرا مشهودا ويكون تفاعله مع مدرسه متنوعا وقويا.

وإن استخدام التكنولوجيا لا يلزم أبدا أن نتعلم التكنولوجيا وصناعتها لأن ذلك يأخذنا بعيدا عن الأهداف الحقيقية للتعلم، فالمفروض على مدرسي اللغة العربية أن تكون فكرته عن فوائد التكنولوجيا واضحة ويعرف كيف يستخدمها في صالح تعليم

٢ (١) (ابن خلدون(المقدمة) بيروت- دار القلم- الطبعة الأولى - ١٩٧٨.

اللغة العربية.

وعلى سبيل المثال نقدم هنا بعض المجالات التي يمكن استخدام الحاسوب لتدريس اللغة فيها. فمن المجالات التي يمكن تطويرها في القراءة باستخدام الحاسوب ما يأتي:

الاستيعاب

فهم النص واستيعابه أول لبنة في مجال تعلم وتعليم اللغة وهناك بعض البرمجيات المصممة لغرض الاستيعاب بحيث يظهر نص على الشاشة ويلي ذلك أسئلة موضوعية من نوع ملء الفراغ، أو صح أو خطأ، أو اختيار من متعدد. أو يسأل عن معنى كلمة من النص.

سرعة القراءة

القراءة مهارة من المهارات الأربع التي تمهد الطريق لتعلم اللغة وتسهل عملية التعلم فيها فيمكن تطوير مهارة الطلاب في القراءة السريعة باستخدام برمجيات خاصة تستخدم عنصر التوقيت فيها، حيث يتم عرض النص على الشاشة لفترة زمنية محددة وبعدها يختفي النص وتظهر أسئلة ليجيب عليها الطالب. أو تتم العملية عكسا حيث تظهر الأسئلة أولاً تم يظهر النص بعد ذلك.

الكتابة

الكتابة أصعب مهارة ولكن أهمها في مجال تعلم اللغة ومن الممكن استخدام برامج معالجة النصوص في الكتابة، حيث تمنح المتعلم الحرية في معالجة النص كالتصحيح الفوري والتدقيق الإملائي، والترجمة، كما أن عملية التخزين تتيح للمتعلم إعادة تفحص النص الذي كتبه وإجراء التعديلات عليه والاحتفاظ بالنسخ القديمة منه وذلك لتفحص التعديلات العديدة التي تمت عليه.

ويُعد هذا الأسلوب مشوقاً للطالب، ويحسن من أدائه في التعبير والإنشاء، ويجعله أكثر إتقانا للغة والإملاء وأكثر دقة في القضايا النحوية.

المحادثة

وأما بالنسبة لمهارة التحدث فهناك بعض البرامج التي تستخدم لتطوير مهارة التحدث لدى الدارسين، حيث يقوم الطالب بالاستماع إلى حوارات تجري بين العديد من

الأشخاص حول موضوعات متنوعة ويتعلم الطالب من خلالها كيف يطرح الأسئلة على الآخرين في مواقف معينة وكذلك كيف يرد على هذه الأسئلة إذا طرحت عليه. وكذلك تتيح شبكة الإنترنت مواقع للتدرب على المحادثة بالتواصل مع الطلبة بالصوت والصورة من مختلف البلدان ومناقشة موضوعات مختلفة وتبادل الآراء معهم.

وأما في قواعد اللغة العربية فأنا أرى أننا نستطيع أن نصنع برامج في مجال استخلاص الجذور وتصريف الأفعال واشتقاقاتها. وفي النحو نستطيع أن نخطط برامج في هيكل الجملة من فعلية واسمية.

وأما في مجال الترجمة فهناك برامج مختلفة لها ولكننا نحتاج إلى مزيد من الحيطة والحذر حيث هيكل الجملة عندنا في اللغة العربية هو فعل+ فاعل + مفعول وهو مختلف من اللغات الغربية مثل اللغة الإنكليزية حيث هيكل الجملة فيها فاعل+ فعل+ مفعول.

وحاصل الكلام أننا نستطيع أن نستفيد في تعلم وتعليم اللغة العربية استفادة كبيرة من عالم التكنولوجيا وبما أن العقدين الماضيين شهدا ثورة متدفقة في وسائل الاتصال والتكنولوجيا وهذه الوسائل قامت بتأثير كبير في المجتمع البشري من حيث الثقافة، فمن المناسب جدا أن نستخدم الوسائل التكنولوجية الحديثة في تعليمنا اللغة العربية لطلابنا.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (المقدمة) دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة الطباعة ١٩٧٨م.
- فتحى علي يونس و محمد عبد الرؤوف الشيخ، المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب "من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة :, الطبعة الأولى سنة الطباعة ٢٠٠٣م.

الأفكار والتقاليد الصوفية في تشكيل أنماط حياة مسلمي كيرالا: نظرة عامة

د. منيرجي. بي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

مقدمة

التصوف أو الصوفية ليس ابتكارا أو ابتداعا وليس مذهبًا خاصا بل عبارة عن خلاصة مركزة وتيار تحتي للأيديولوجية الإسلامية. ويتبين هذا الأمر من الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

عن أبي هريرة: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضح كفيه على فخذيه، وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام «، فقال له : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، قال : «صدقت» ، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال : «أخبرني عن الإيمان» قال :(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: «صدقت»، قال :»فأخبرني عن الإحسان»، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]

١ الحديث الخامس، الباب الأول، كتاب الإيمان، صحيح مسلم، الكتاب الأول

وحسب رأي المحدثين العظماء فإن الإحسان موضوع الحديث الثالث وهو المراد بالتصوف أو الصوفية، وهذا الحديث يؤكد أهمية التصوف في الإسلام وكونه مع الإيمان حيث إن الإسلام أُسست قواعده على العقيدة والفقه. ولا يستقيم الإسلام بدون توافر هذه الأركان الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان. يقول الصوفي الجليل العلامة الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتابه عوارف المعارف (الباب الأول) وإن لم يوجد مصطلح «الصوفية» في القرآن يوجد في القرآن لفظ «المقرّب» في أماكن مختلفة، وهذا اللفظ يشير إلى نفس المعنى الذي يحتويه لفظ الصوفي[٢]. هذا أدل دليل على أن القرآن أيضا يسلط الضوء إلى أهمية التصوف. وقد حاول بعض المستشرقون الغربيون لربط الصوفية إلى مختلف المصادر مثل الهيلينية والمسيحية والبوذية وفيدا. وفي الحقيقة، إن القرآن والحديث هما المصدران للتصوف دون غيرهما. أن السيد/ماغليتون العالم الأوربي يصدق هذه الدعوى وقد أعلن أن التصوف -لا ريب- من الإسلام وهذا النمط المتطور من المبادئ الإسلامية الموضحة في القرآن والسنة وأن النبي محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حلقة الوصلة الأخيرة في السلاسل الصوفية بارتقائه إلى السماء ولقاء الله تبارك وتعالى، ويشير إليه سورة الإسراء. هذا هو النموذج الأصلي للصوفية فهي محاولة للارتفاع إلى حضرة الله سبحانه وتعالى ومعيته.[٣] فالتصوف إنما هو أحد أركان الدين الثلاثة (الإسلام، الإيمان، الإحسان). فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به.

وولاية كيرالا تقع في جنوب الهند وتمتاز بالمزايا الحصرية الثقافية والاجتماعية التي لا توجد في الولايات الأخرى في شمال الهند. ومسلمو كيرالا وإن كانوا شرذمة قليلين وعددهم ضئيل جدا بالنسبة لمسلمي الولايات الأخرى، إنهم تركوا أثرا كبيرا خالدا ظاهرا للعيان في مرآة تاريخ العالم.

وفي الحقيقة فإن جذور التصوف والصوفية في كيرالا لم تتناولها البحوث الأكاديمية

---

٢ the Qur'anic Sufism, Motilal Banarsidass publishers, Delhi, , .(١٩٥٩) .Mir, Dr. Valiuddin P. ١٠د. مير ولي الدين (١٩٥٩) التصوف القرآني (The Quranic Sufism) المطبع موتيلال بنارسداس، دهلي، رقم الصفحة.١٠

٣ آن ميري سكمل (١٩٧٦) الأبعاد التصوف الإسلامي (Mystic dimensions of Islam) مطبع جامعة كرولنا الشمالي، رقم الصفحة. ٢٧

مع الجدية والاهتمام المطلوب كما ينبغي. ومعظم العلماء الذين حاولوا دراسة تاريخ مسلمي كيرالا وتطورهم وتحولهم قد تغافلوا أو فشلوا في تحديد آثار أو دور ومساهمة التصوف والصوفيين حق قدره ومقداره. وفي هذا السياق يمكن لنا قراءة بيان السيد أي أتش قريشي في كتابه المشهور «مسلمو الهند وباكستان» (Indo- Pakistan Muslim Communities) أن أنشطة الصوفيين والتصوف موجودة في جميع أنحاء الهند إلا في جنوبها.[٤] وهذا يدل على إهمال أو عدم وجود البحوث الكافية في التصوف والصوفية بولاية كيرالا. وكذلك السيد/ رولاند ئي ميلار والذي أجرى بحوثا جديرة بالثناء عن مسلمي كيرالا، لم يحاول قط لسبر غور الأثر الذي تركه الصوفيون في مسلمي كيرالا قلبا وقالبا. ويتضح لنا هذا الأمر من تكريره لقول السيد/ أي أتش قريشي بهذا الخصوص ووصوله إلى النتيجة والنظرية التي ابتدعه حيث يكتب «نظن أن أنشطة الصوفيين لم يكن لها أثر في مراحل تطور المجتمع»[٥]

وعندما نتابع الجذور التاريخية للتصوف وتمدد عناصر التصوف في نموذجة مسلمي كيرالا، فليس مهمة سهلة، بل يحتاج إلى مثابرة لسبب شح الدراسات الأكاديمية الكافية ولعدم محاولات جادة بهذا الخصوص في الزمن المنصرم ولسبب غياب المصادر الرئيسية أو فقدانها.

و نشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي والنووي والغزالي والعز بن عبد السلام كالقادة مثل صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وزاد انتشار الصوفية في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي في مختلف بقاع المسلمين في العالم، كما يتبين من الوثائق، كانت بيئة مسلمي كيرالا أيضا قابلة لاستقبال هذا التطور ويقال أن الإمام الجيلي واحد من مريدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني والمنتمي إلى الطريقة القادرية ومصنف كتاب التصوف المشهور واسمه الإنسان الكامل قد وصل إلى كوشتين من إحدى مرافئ ولاية كيرالا لأجل الدعوة والإرشاد. وبما أن هذه المقالة تهدف فقط تسليط الضوء إلى أثر التصوف في حياة كيرالا، لم تتناول المقالة البحوث الجدية

٤ السيد/ أي أتش قريشي في كتابه المشهور" مسلمو الهند وباكستان (Indo- Pakistan Muslim Communities)

٥ رولاند ايي ملر (١٩٧٦) Mappila Muslims of Kerala ، أوريند لونعمان، رقم الصفحة .٥٣

الخطيرة حول نشأة وانتشار الصوفية في كيرالا.

أثر التصوف ومظاهره في حياة مسلمي كيرالا

قد توطدت جذور الصوفية في مسلمي كيرالا في جميع نواحي حياتهم وفي جميع الشعوب الأخرى في كيرالا عموما. ويظهر آثار الدعوة الصوفية وتأثرها وضوح الشمس في رابعة النهار في كافة أوساط الناس في كيرالا في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية وأنماط الحياة وأشكالها والصيغ العقائدية والمفهومية وفي سلوك الناس وعاداتهم وأفكارهم وفي كافة نواحي الحياة بحذافيرها. وجدير بالذكر أن الفئات المعارضة لأفكار التصوف أيضا يخضعون طوعا وكرها لتأثر أفكار التصوف والصوفيين ولا يستطيعون إطفاء نور مقتبس من مشكاة التصوف في حياتهم.

عندما نتفكر عن وجود ونمو مختلف الطرائق الصوفية وممارستهم وطقوسهم وفقا لمصادر التصوف نجد في كيرالا مظاهر جلية وواضحة تدل عليها وهذه المظاهر دليل قاطع على وجود الصوفية في ربوع كيرالا فإن عددا كبيرا من الطقوس الدينية الموجودة في كيرالا التي تعقد تحت إشراف العلماء الأتقياء على سبيل المثال لا الحصر حلقات الذكر وتجمع الدعاء وغيرها بالإضافة إلى حفلات النذور والعروس (حفلات تعقد بمناسبة احتفال ميلاد الأولياء في ضرائحهم). وهذه الحلقات وتجمعات الدعاء تكون تحت إشراف علماء كرام. وإن هؤلاء العلماء الذين يشرفون الحلقات قد لا يكونون مريدي الطرق أو مشايخها غير أن الأدعية والأذكار تكون متعلقة بالطرائق المعتدة أو أوراد بعض الصوفيين الذين أتوا إلى كيرالا في مختلف الأزمنة، وإن شعبية هذه المناسبات تدل على انتمائهم إلى التصوف والصوفيين الذين وصلوا في كيرالا في مختلف الأزمنة.

وانتشار بعض الطقوس الدينية والقربات في حياة مسلمي كيرالا ذات الاتجاه العام أدل دليل على تأثر نشاطات الصوفية في كيرالا. فإن مسلمي كيرالا يحبون الصالح التقي المتنسك حبا جما وينصبونه في أعلى المراتب سواء انتمى بالطريقة الصوفية أم لم ينتم بها. وقد أشار السيد كونجالي صاحب كتاب «الصوفية في كيرالا» إلى هذه الحقيقة حيث يقول: «إن مسلمي كيرالا كانوا يكرمون الصالحين والأتقياء بغض النظر عن انتمائهم إلى الطريقة الصوفية وكان يسمونهم باسم «الأولياء»[٦] وكان المسلمون يعتبرونهم أقرباء إلى الله ويأتون إليهم لمعالجة مشاكلهم في الحياة.

٦ وي كنجالي (٢٠٠٤) التصوف في كيرلا(Sufism in |Kerala) مطبع جامعة كاليكوت، رقم الصفحة. ١١٠

إن المسلمين من أهل السنة والجماعة ذوي الاتجاه السائد يحبون الصلحاء بصميم قلبهم ويدعونهم لافتتاح مبادراتهم الجديدة سواء أكانت مشروعا دينيا أو دنيويا وهذا أيضا يدل على التأثر المباشر أو غير المباشر من أنشطة الصوفيين، ويزورون ضرائح الأولياء عند مختلف المناسبات الهامة في حياتهم ونشاهد هذه العادة بين فئات السماكين المسلمين في كيرالا. ويزور السماكون المسلمون وغير المسلمين الموجودين في ساحل تشافاكاد ضريح عيدروس كوتي موبان.[٧] ويستعمل ضرائح الصوفيين الموجودة في كيرالا لإثبات قضايا السرقة والحلف وغيرها. فيحلف الواحد واضعا يده في الضريح ويعتقد أن الكاذب يعذب بواسطة الولي المدفون في الضريح.

ومن مزايا مسلمي كيرالا لا سيما المسلمين السنّيّين أنهم يسلمون القيادة في أيدي بعض العلماء الأتقياء من أهل البيت ويعطوهم الاحترام والإجلال، ليس فقط للنسب والحسب لتلك العائلات كونهم منشقين من عترة النبي محمد ﷺ ولكن لرفعتهم وسموهم الروحاني. فإن أجيال الأمة المسلمة في كيرالا كانت تحت سيادة رجل شريف من أهل البيت حتى في هذا الوقت. والآن فإن معظم مسلمي كيرالا السنيين يدير دفة حياتهم رجال شرفاء من أهل بيت (بانكاد) ويعتبر السيد حيدر علي شهاب باناكاد الرئيس العظيم لمعظم مسلمي كيرالا حاليا. ولا يشك أحد في تراث هذه العائلة الكريمة العلمي والروحي من البداية إلى الآن. يذكر السيد كونجالي أن هؤلاء الصوفيين هم سبب التوحد والانسجام الموجود في كيرالا سواء أكانوا أحياء أم أموات. وهم يمثلون محكمة لحل النزاع الذي ينشب بين الناس ويجلس معهم ليل نهار لإيجاد حل للنزاعات. وقبل المسلمون وغيرهم قرارهم عند نشوب المتشابكات والمشاكل العرقية".[٨] وفي الحقيقة فإن أثر الروح الصوفي هو السبب الأصلي لتحقيق هذا القبول والريادة والقيادة العظيمة لهم.

وكثير من المساجد في مختلف أنحاء كيرالا مؤسسة باسم الصوفيين ومنهم الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، والشيخ الرفاعي والشيخ أبو الحسن الشاذلي وغيرهم وتعرف المساجد باسمهم أي مسجد محيي الدين والمسجد الرفاعي والمسجد الشاذلي على التوالي. وتوجد هذه المساجد في أكثر مقاطعات بولاية كيرالا ولعلها كثيرة جدا. وهذه التسمية دليل على تأثر المسلمين من التصوف والصوفيين نظرا إلى أن المساجد هي المراكز الأولى لممارسة الطقوس الدينية الخاصة لهذه المشايخ الكرام ولو لمدة قصيرة.

---

٧ نفس الكتاب، رقم الصفحة.١٢٣-١١٢

٨ نفس الكتاب، رقم الصفحة. ١٢٢،١٢١

وشعبية اسم «محيي الدين» (اسم الشيخ الصوفي الكبير الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي) يختار معظم الآباء هذا الاسم لمولودهم مثل اسم «الرابعة» (اسم الصوفية المشهورة الرابعة العدوية التي عاشت في القرن الثامن الميلادي) للمولودة. ولسبب تحديث كافة أنحاء الحياة المذهل قد انمحى هذا الاتجاه من المسلمين في الوقت الحالي وقل من يرنو لتسمية المواليد بهذه الأسماء مثل آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يفضلون أسماء المشايخ أو اسم الولي المحلي وغيرهم عند تسمية المواليد.

إن شهر ربيع الأول المبارك بولادة سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم مشهود باحتفالات جمة في ولاية كيرالا. وتُقرأ كتب المولود في البيوت والمساجد بأصوات وأنغام ويثنون النبي صلى الله عليه وسلم. ويشارك الاحتفالات جميع فئات المسلمين بغضّ النظر عن عمرهم. ويقيم الناس برامج خاصة لمختلف أنواع الفنون فيكون هذا الشهر ممتلئا بمختلف أنواع الاحتفالات. وكذلك يحتفل المسلمون أيام وفاة بعض كبار الصوفيين الذين توفوا في ديار كيرالا. وقد يشارك فيها غير المسلمين حتى في هذه الأيام الحافلة بالتمدن والتحديث الطاغي. وعندما بحيث عن جذور هذه الممارسات الدينية والتقاليد السائدة في جميع أنحاء كيرالا يظهر لنا العلاقة والربط العميق لبعض الصوفية الصافية الذين كانوا في ديار كيرالا لأجل تنمية وترويج التوعية الدينية بين أوساط عامة المسلمين وخاصتهم.

الدكتور محي الدين الألوائي: عاشق متحمس للغة العربية من ولاية كيرالا

د. محمد حنيف. ب
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

وكان الأستاذ الدكتور محي الدين الألوائي عالما من ولاية كيرالا، وأعتقد أنه لم يحصل الاهتمام الكافي من جانب أدباء من العالم العربي لأسباب غير معروفة. هو أحد علماء الأزهر من أبناء الأمة الإسلامية في الهند. ولد بقرية «وليتنادّ» بالقرب من مدينة «ألواي « بولاية كيرالا بجنوب الهند، التي هي أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في القارة الهندية، وكانت ولادته في اليوم الأول من شهر يونيو سنة ١٩٢٥م. تلقى مبادئ العلوم الدينية واللغة العربية لدى والده الشيخ مقار المولوي، الذي كان علاما فاضلا، وواعظا دينيا، ثم واصل دراسته في المعاهد الإسلامية الكبرى في ولاية كيرالا. حصل على شهادة «المولوي

الفاضل» في العلوم الإسلامية من كلية «الباقيات الصالحات» بولاية مدراس بالهند، ونال شهادة «أفضل العلماء» في اللغة العربية وآدابها من جامعة مدراس الحكومية بالهند سنة ١٩٤٩م[1] ، ثم عين أستاذا بكلية «روضة العلوم» بولاية كيرالا. ثم رحل إلى القاهرة ليدرس بالأزهر فحصل على شهادة «العالمية مع الإجازة» بقسم الوعظ والإرشاد من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣[2]، وأثناء إقامته بمصر كان يقوم بنشاط علمي وأدبي وأحرز خبرة واسعة في مجال الخدمة الإسلامية والشؤون التربوية في هذه المنطقة من العالم. اتصل في تلك الفترة بالحركة الإسلامية بمصر، وكتب في مجلاتها وإصداراتها. بعد عودته إلى وطنه عمل مذيعا في القسم العربي بإذاعة الهند بدلهي، وكان في نفس الوقت يواصل نشاطه العلمي والأدبي في مجلس الهند للروابط الثقافية وأكاديميات الآداب الهندية، من التأليف والكتابة والترجمة، إلى جانب جهوده المتواصلة لنشر العلوم الإسلامية واللغة العربية وخدمة الدعوة الإسلامية بين بني وطنه.

مرة أخرى عاد إلى القاهرة في عام ١٩٦٣ ومعه أسرته لإحراز مزيدا من التجارب العلمية في مجال الفكر الإسلامي ولتكوين أسرة هندية مثقفة بثقافة عربية إسلامية. في عام ١٩٧٠ عين رئيسا لتحرير مجلة "صوت الهند" الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة. نال درجة الدكتوراه عام ١٩٧١ مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، عن رسالة تقدم بها عن "الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية" وكانت أول رسالة علمية جامعية تقدم في هذا الموضوع باللغة العربية وعمل مدرسا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٤. وعمل محررا للصفحة الإسلامية بجريدة "الخليج اليوم" بقطر من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩ ورجع الدكتور محي الدين إلى بلده مرة أخرى سنة ١٩٨٩.

في ١٩٩٠ أسس كلية "أزهر العلوم" الإسلامية بالقرب من بلدته ألواي في وسط كيرالا. توفي الدكتور محي الدين الألوائي في ٢٣ يوليو ١٩٩٦م. لقد كانت حياة محي الدين الألوائي مخصصة لخدمة الدعوة الإسلامية واللغة العربية ومحاولة جادة لتوثيق الروابط بين العالم العربي والهند.

قال الدكتور سي كي كريم المؤرخ الشهير "إن الدكتور محي الدين الآلوائي وفاته المفاجأة خسران مبين لكيرالا الثقافية وخاصة للأمة الإسلامية. وكان يعمل باستمرار في

1 Arabic in South India, Page 97, Published by Dept of Arabic, University of Calicut, 2003.

2 Hand book on Arabic Education in Kerala, A status Survey, Page 33.

النشاطات الاجتماعية والثقافية."[٣]

أعماله الأدبية

وقد خلف الراحل الدكتور محي الدين الآلوائي أمامنا مؤلفات عديدة، ومنها ما هي في القضايا الإسلامية والدعوة الدينية وما يتعلق بمناهج الدعوة والتدريس وما يتعلق بالقضايا الاجتماعية ومنها أيضا ما يتعلق بالثقافة والآداب واللغة. والمسائل التي عالجها الدكتور محي الدين الآلوائي في تأليفاته من المصادر الحية من التاريخ وما يناسب التطبيقات الواقعية والمثالية قديما وحديثا. له أربعة كتب في اللغة الميالمية وكتاب في لغة أردو. ومن أهم الكتب التي قدمها هذا الكاتب العبقري؛

الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبة القارة الهندية

هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التي قدمها المؤلف إلى جامعة الأزهر ونال بها شهادة الدكتوراه. يتناول الكتاب تاريخ الدعوة الإسلامية بالهند والتطورات التي مرت بها. وينقسم البحث إلى أربعة أقسام: العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام، الدعوة الإسلامية ووصولها إلى الهند، تطور الدعوة الإسلامية في الهند وأخيرا مساهمة الهند في نهضة العلوم الإسلامية والعربية.

الأدب الهندي المعاصر

هذا الكتاب يعطي القارئ فكرة عن اللغات الهندية المعاصرة، نشأتها وأصولها ، خصائص الأدب في كل واحدة منها ، وأهم النشاطات الأدبية التاريخية المعاصرة فيها ونبذة عن أشهر الأدباء في تلك اللغة.

الإسلام والقضايا الإنسانية

يتناول المؤلف في هذا الكتاب موقف الإسلام في كثير من القضايا الإنسانية المعاصرة، فيتناول نظرة الإسلام إلى المبادئ والأخلاق والإنسانية والحياة وإلى السلام العالمي وموقفه من الأديان والطبقية، وكيف بتناول قضية المرأة وقضية الشباب وقضية الربا وكيف يسعى إلى التقريب بين الشعوب وإلى إرساء مبادئ الأخلاق والسلوك القويم.

---

٣ الدكتور محي الدين الآلوائي حياته وآثاره . صفحة ٣٩ . ٢٠٠٧

النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين

هذا الكتاب هو في الأصل رد على شبهات بعض المستشرقين فيما يخص النبوة المحمدية. ويبدأ الكتاب بتوضيح فكرة النبوة بشكل عام ثم توضيح خصائص النبوة المحمدية، ثم يتناول الشبهات التي أثارها المستشرق "س. د. جويتين" في كتابه "دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه" ، ويقوم بمناقشتها والرد عليها.

أركان الإسلام: الشهادة والصلاة

هذا الكتاب تعريف مبسط باللغة الإنجليزية لركني الشهادة والصلاة من أركان الإسلام، وهو يأتي من ضمن سلسلة أصدرتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عن أركان الإسلام.

منهاج الدعاة

يهدف المؤلف في هذا الكتاب أن يحدد منهجا يمكن للدعاة اتباعه. ويتناول الكتاب الدعوة الإسلامية وأهميتها وأركانها، ثم يتناول الصفات والأخلاق المطلوب توافرها في الدعاة، ثم يتحدث عن أساليب الدعوة ووسائلها وضرورة معرفة المدعو، ثم يتطرق إلى كثير من خصائص الدين الإسلامي الذي يمكن للدعاة توضيحها عند القيام بالدعوة.

خلاصة عن الإسلام (جز أين)

هذا الكتاب (المكون من جزأين) استخدم ككتاب مقرر في جامعة الأزهر لمادة الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية. ويقوم الكتاب بتعريف أسس الدين الإسلامي والتعريف بأركان الإيمان والإسلام، ويتطرق إلى مصادر الإسلام الرئيسية وإلى مبادئ الإسلام في الأخلاق والمعاملات ونظرة الإسلام إلى الحياة والى المرأة والجهاد.

«شمين»

هذا الكتاب هو الترجمة العربية لقصة «شمين» إحدى روائع الأدب المليباري الهندي. وهذا الكتاب حاصل على أعلى جوائز الأدب في الهند وقد ترجم إلى ١٩ لغة عالمية. وتقع أحداث هذه القصة في مجتمع الصيادين في شواطئ كيرالا، ويتناول أساليب حياتهم ومختلف المعتقدات السائدة بينهم.

قضية فلسطين

هذه سلسلة من المقالات أصدرت في المجلات العربية عن قضية فلسطين: نشأتها وأسبابها، وتفاصيل المؤامرة الصهيونية ومأساة الشعب الفلسطيني والتخاذل العالمي تجاه هذه القضية. والكتاب يتطرق أيضا إلى طرق مواجهة هذه المؤامرة وسبل دعم الشعب الفلسطيني العربي في قضيته العادلة. ونرى في هذا الكتاب سبعة أبواب وهي؛ الظروف والأحوال التاريخية و قدم الصهيونية وخدع العالم ودعاوي الصهيونية الباطلة والعرب و فلسطين و كيد الصهيونيين وقضية عالمية.

العالم العربي (الأوردية)

كتاب باللغة الأوردية لتعريف القارئ بالعالم العربي بشكل مبسط وسريع. ويشرح الكتاب باختصار خصائص العالم العربي وجغرافيته ومناخه وتقسيمه السياسي (في ذلك الحين). ويعطي الكتاب معلومات عن كل الدول العربية: موقعها ومناخها ونظامها السياسي والاجتماعي.

الاستشراق والتحدي العقدي

وترجمة كتابه الاستشراق والتحدي العقدي إلى مليالم. هذا الكتاب يتناول التحديات العقدية التي تواجهها الأمة الإسلامية، خاصة فيما يخص هجمات المستشرقين على الدين الإسلامي، والشبهات الافتراءات التي أثاروها على الدين الحنيف. ويتطرق الكتاب إلى الردود على بعض هذه الشبهات.

العالم العربي

كتاب باللغة المليبارية لتعريف القارئ بالعالم العربي بشكل مبسط وسريع. ويشرح الكتاب باختصار خصائص العالم العربي وجغرافيته ومناخه وتقسيمه السياسي (في ذلك الحين). ويعطي الكتاب معلومات عن كل الدول العربية: موقعها ومناخها ونظامها السياسي والاجتماعي.

كتاب الهند للبيروني

هذا الكتاب ترجمة "كتاب الهند" للرحالة العربي أبو ريحان البيروني من العربية إلى اللغة المليبارية. والبيروني في كتابه ذكر أحوال الهند الجغرافية والاجتماعية والدينية،

كما يتطرق بالتفصيل إلى معتقدات أهل الهند والطبقات التي كانت موجودة وقتها، كما يشير إلى مساهمة الهند في تطور مختلف العلوم. ويعتبر الكتاب إحدى المراجع الرئيسية للحياة في الهند في الفترة من ١٠١٧ إلى ١٠٣٧ م حين قام البيروني بزياراته للهند.

تأليفات الدكتور محي الدين الآلوائي في القضايا الإسلامية من أحسن تأليفات في الموضوع حيث تعالج الموضوع في أحسن صورتها أسلوبا وبحثا وروعة في التنسيق. إنه يتبع طريقة الكتّاب القدامى في تأدية العناوين الطويلة. يقول الدكتور محي الدين الآلوائي في كتابه الإسلام وتطورات العالم: "إن العالم اليوم في ميدان معركة بين دستورين متخالفين – دستور وضعي بشري ودستور منزل إلهي. وقد آن الأوان للاستيقاظ من غفلتنا ولأن نبحث قليلا عن دواعي هذين الدستورين وصلاحيتهما فلنختر منهما ما يحقق المطالب الإنسانية ويحقق الأمن والسلام في العالم المتحير الهائج ثم ندافع دونه."[٤]

بالإضافة إلى هذه الكتب التي ذكرناها أعلاه، كتب الدكتور محي الدين الألوائي العديد من المقالات حول مواضيع مختلفة تتراوح من القضايا الدولية مثل قضية فلسطين والصهيونية والإرهاب إلى المشاعر الشخصية وقواعد وأنظمة الخطبة الدينية. نشر العديد من المقالات في المجلات العربية وكذلك في الدوريات الإنجليزية على نطاق واسع. له كتاب قيم عن تاريخ فلسطين باللغة المالايالامية. تهدف معظم مقالاته إلى نشر الملاءمة العالمية للإيديولوجيا الإسلامية كحل للمشاكل التي يواجهها العالم المعاصر ولمعضلة عدم اليقين. بالنظر إلى ضيق المساحة ، أقوم فقط بتسمية بعض أهم مقالاته أدناه؛

تطالب القوانين والعدالة الدولية بتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، تاريخ الكعبة، آثار الحج في حياة الإنسان، فلتحقق الخطبة التقوى في أذهان المؤمنين النبي العالمي، دراسة لأهداف وخطط الحركة الصهيونية، أهمية الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، الحج في الإسلام، رسالة الهجرة، دلالة السنة النبوية، النضال في الدفاع عن النفس والحفاظ على الذات، الإسلام يحظر تماما وقطعا جميع أنواع المشروبات والمخدر، رحلة الرسول الإعجازية من مكة إلى القدس، القران الكريم مصدر سعادة للبشرية، كيرالا: الأرض حيث نشر الإسلام نورها، حياة الرسول هي نموذج السلوك، القيم الاجتماعية والجسدية للصيام في رمضان، رحلتي لأداء فريضة الحج، الهجرة - هجرة طلائع الإسلام، مقومات الشمولية والثبات في تعاليم القرآن، هدنة الحديبية

٤ الدكتور محي الدين الآلوائي ' الإسلام و تطورات العالم.

وفتح مكة، الموقف الإسلامي من تنشئة الشباب، أهمية الهجرة، الإسلام - طريقة كاملة للحياة، المعراج - صعود النبي، الحج- الحج في الإسلام، دلالة الهجرة، الإسلام - دين المعرفة والحكمة، مهمة الرسول، ماذا يعني "الإسلام"؟، الهجرة - هجرة الرسول من مكة إلى المدينة المنورة، الإيمان والصفات الأخلاقية، تسليط الضوء على حياة النبي، القرآن الكريم يصف صفات المؤمنين الحقيقيين، دور الحج في تعزيز المساواة والأخوة بين البشر، القرآن الكريم - هداية خالدة تناسب كل الأزمنة والأجواء، انطباق الإسلام في ظروف الحياة المختلفة، مكانة المرأة في الإسلام، الطابع الفريد للقرآن الكريم، الاعتدال في الشريعة الإسلامية، رسالة القرآن، الدين والتنمية الأخلاقية للإنسان، أثر الصفات القرآنية الأخلاقية على حياة الإنسان، الإسلام يقاوم المتعصبين والعزلة، مفهوم المسؤولية الإنسانية في الإسلام، الإيمان بيوم الدين وأثره في حياة الإنسان، أهمية الصلاة، مصادر الشريعة الإسلامية، دور الإسلام في انتشار المعرفة إلخ...

باختصار ، لقد تطرق الدكتور محي الدين الألوائي خلال فترة قصيرة من حياته إلى جميع مجالات اهتمامه وجميع القضايا الملتهبة في عصره. أسلوبه هو تحديد قضية تهمه ومعرفة القضية بعمق ثم الكتابة عنها. لم يكتب أبدًا أي شيء دون إجراء دراسة عليه. لا أحد يستطيع أن ينكر إسهامه في إثراء وتمكين اللغة العربية في ولاية كيرالا.

المصادروالمراجع

- لمساهمة الأدبية للدكتور محي الدين الالواي، ولاوت أبو بكر كنج محمد، رسالة الدكتورة ..٢٠١٢.
- الدكتور محي الدين الالواي حياته وآثاره، الدكتور سليمان محمد، الناشرون، مجمع الأدب العربي كيرالا ٢٠٠٧
- كتاب المؤتمر ،(الورقات المختارة) جامعة كيرالا، الهند ٢٠٢٠
- المساهمات الأدبية للدكتور محي الدين الالواي مع إشارة خاصة إلي المجلات، لكنج محمد بولاوت. Arabic in South India, Published by Department of Arabic, University of Calicut, ٢٠٠٣. Handbook on Arabic Education in Kerala, A Study Survey, ٢٠٠٥.
- مجلة التضامن، الصادرة عن المجمع الاسلامي ازهر العلوم، الواي، الهند، العدد ١٣، ديسمبر-يناير ٢٠١٨.
- ثقافة الهند، المجلد ٦٥, العدد ٣, ٢٠١٤.
- Dr. Mohiuddin Aluwai Souvenir (Malayalam)٢٠٠١ March, Azharul Uloom Islamic Complex, Aluva & Ernakulam District Muslim Association, Qatar.

اللغة العربية في "الهند" ...الواقع والتحديات

د. أحمد القاضي
رئيس قسم اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر ، مصر
والمستشار الثقافي المصري السابق بالهند

اللغة العربية في «الهند» ...الو اقع والتحديات

تمثل «الهند». منذ آلاف السنين. مركز إشعاع علمي وثقافي، حيث كانت مَعقلًا لدراسة الفلسفة، والدين، والطب، والأدب. كما عمدت الحكومة الهندية إلى توفير التعليم المجاني والإجباري كحقٍ أساسيٍ للأطفال حتى الرابعة عشرة وقد حازت «الهند» قصب السبق في المجال العلمي والتعليمي، ويرجع ذلك إلى نظامها التعليمي ومؤسساته التي تكتسب شهرة عالمية حينًا بعد حين، و بدأت تجذب أفواجًا من طلبة العلم من جميع أنحاء العالم، حيث تضم «الهند» بين ربوعها مجموعة من أفضل الجامعات في العالم مثل المعاهد الهندية التكنولوجية.

تضم «الهند» أكثر من خمسمائة جامعة مركزية وحكومية فضلًا عن آلاف الجامعات والكليات الخاصة، وهي ثاني أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان بعد «الصين»؛ حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من مليار وثلاثمائة مليون نسمة، يتحدثون عددًا كبيرًا من اللغات واللهجات، أمَّا اللغات الرسمية في «الهند» فتزيد عن أربع عشرة لغة، إلى جانب اللغة الإنجليزية. أمَّا الحياة الدينية فتمتاز»الهند» بالتعددية الدينية؛ حيث يدين حوالي ٨٢ ٪من سكانها ب»الهندوكية»، ويتنوع الباقون ما بين: «مسلمين»، و»مسيحين»، و»سيخ»، و»بوذيين»، و»بارسيين»، بالإضافة إلى بعض الأقليات الدينية الأخرى.

ينقسم نظام التعليم الأساسي في «الهند» إلى ثلاث مراحل: الابتدائي والمتوسط والثانوي، ومن الثابت ـ تاريخيًا ـ ارتباط اللغة العربية بشبه القارة الهندية منذ أن وطأ العرب هذه البلاد؛ حيث ابتاع التجار العرب التوابل والحرير من شبة القارة الهندية عبر موانئ البلاد المجاورة على شاطئ بحر العرب، كما أننا ما زلنا نطلق على التوابل اسم «بهارات»؛ و«البهارت» اسم لـ«الهند». من هنا استوعبت اللغات الهندية الكثير من الألفاظ العربية، كما اقترضت العربية بعض الكلمات الهندية مثل: «المسك، والكافور، والزنجبيل، والصندل، والكرفس، والقرنفل، والخيزران، والفيل، والهيل»، وغيرها»، كما أحبَّ العرب «الهند» لدرجة أنهم اتخذوا منها أسماء لبناتهم وسيوفهم.

كذلك استوطنت بعض العائلات العربية بعض المناطق الجنوبية وخاصة في منطقة «المالابار»، مما ساعد كثيرًا الخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه على التوجه ناحية شبه القارة الهندية، إلا أن هذه الفتوحات توثقت بدخول «محمد بن القاسم» إلى منطقة «السند» في بداية القرن الثامن الميلادي ممثلًا للدولة الأموية، ثم توالت الهجرات من شبه القارة وإليها.

دانت «السند» تحت راية الإسلام ما يقرب من ثلاثمائة عام، كانت اللغة العربية خلالها لغة الخطاب اليومي جنبًا إلى جنب مع اللغات المحلية الأخرى، ولم يبق من آثار هذه الفترة إلا تأثير اللغة العربية في معظم اللغات المحلية التي أصبحت لغات قومية فيما بعد مثل:«السندية»، و«الأردية». وقد أكدَّ ذلك «بشار المقدسي»، عندما قدم «الملتان»، ووجد أهل «السند» يتكلمون العربية والسندية، ومن أهم مظاهر تأثير العربية على السندية أن الأخيرة تكتب بحروف عربية، فضلًا عن اسيعابها كثيرًا من الألفاظ والمفردات العربية.

قامت الدولة العباسية على تصفية الخلافة الأموية في كل الولايات التابعة لها، وسيطر الأتراك والإيرانيون على هذه البلاد في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وحلَّت اللغة الفارسية محل اللغة العربية كلغة رسمية للدولة الإسلامية، وإن ظلت اللغة العربية باقية بين العلماء، وفي مناهج المدارس الدينية بوصفها لغة القرآن الكريم الذي هو حصنها الحصين إلى يوم الدين.

ولقد كان لانتقال عاصمة الخلافة من «دمشق» إلى «بغداد» أثره الإيجابي على العلاقات التجارية والثقافية، خاصة في عهد «هارون الرشيد»، وابنه «المأمون» اللذيْن عُرفا بتشجيعهما على التواصل مع أبناء الثقافات الأخرى، بل إن البعض قال

إن «البرامكة» ينتمون إلى أصول هندية، وإنهم استوطنوا «إيران» في البداية ثم أسلموا، والتحقوا ببلاط الدولة العباسية، وعمدوا إلى استقدام الأطباء والحكماء الهنود، وترجموا الكثير من كتب الحكمة الهندية إلى اللغة العربية. كما أن دولة المماليك قد مارست دورًا كبيرًا خلال القرنيْن الثالث والرابع عشر في دعم التواصل بين شبه القارة الهندية، وبين الدول العربية وخاصة «مصر»، وازدادت المدارس في «دهلي»، مما جعلها تنافس العواصم العربية الأخرى ك«القاهرة»، و«دمشق»، و«بغداد»، وقد وفد في عصرهم الرحالة العربي «ابن بطوطة»، بل بلغ الأمر أن صك السلطان «آلتمش: ١٢٣٦م» النقود بالعربية.

ولقد دام التواصل مع شبه القارة حتى أحكم الإنجليز قبضتهم عليها في عام ١٨٥٧م، كما رفعوا رايتهم فوق جزء كبير من الأراضي العربية، مما زاد شعور العرب والمسلمين بفقد هويتهم، فأسسوا المدارس الدينية. خاصة بعد دخول الأوربيين مع بدايات القرن السادس عشر. بين جدران مساجدهم، وهذا يعود فيه الفضل إلى المخلصين من علماء شبه القارة الذين جادوا بكل غالٍ ونفيس من أجل نشر الثقافة العربية.

ومن الجدير بالذكر أن التربية الإسلامية ترتبط بالمسجد ارتباطا وثيقا، ولعل ذلك يرجع إلى أن التعليم في بدايته كان دينيًا محضًا، وقد أنفق الأمراء والسلاطين ومحبوا العلم والأغنياء على تمويل هذه المدارس في القرى والمدن.

ومن أهم المدارس الدينية نذكر: «دار العلوم ديوبند»، و«دار العلوم ندوة العلماء» و«مدرسة الإصلاح» في «أعظم جره»، وجامعة «دار السلام» في «عمر أباد» جنوب «الهند»، و«جامعة الرشاد»، و«جامعة الفلاح»، و«الجامعة السلفية» في «بنارس»، و«مدرسة مظاهر العلوم»، و«مدرسة شاهي» في «مراد اباد»، و«مدرسة امدادية» في «در بنهكا بيهار»، و«درسة أحمدية» لهرائي سرائي، و«المدرسة الرحمانية» في «دهلي»، و«المدرسة العالية» في «رامبور»، و«المدرسة العالية» في «كولكتا»، و« المدرسة النظامية» في «حيدر اباد»، والكثير من المدارس في ولاية «كيرالا» مثل: «روضة العلوم»، و«الجامعة الندوية»، و«الجامعة الإسلامية»، و«تنسيق الكليات»، و«الثقافة الإسلامية، و«جامعة دار الهدى»، وهناك مئات المدارس في «كشمير»، و«بهار»، و«مدهيه برديش»، وكذلك مدارس الشيعة في «لكهنو»، مثل مدرسة «سلطان المدارس»، و«المدرسة النظامية»، و«مدرسة الواعظين»، وغيرها من المؤسسات الإسلامية التي تقوم على خدمة اللغة العربية.

بالإضافة إلى كل تلك المدارس الإسلامية، هناك العديد من الجامعات الإسلامية

مثل: جامعة «علي جره»، و»الجامعة العثمانية»، و»الجامعة الملية الإسلامية»، لتعليم العلوم العصرية واللغات الأجنبية، وتُعد هذه الجامعات اليوم من أرقى الجامعات في «الهند»، وقد تخرج منها نخبة بارزة من بينهم:»زاكر حسين». الرئيس الهندي عام١٩٦٩م .، والذي أطلقت الدولة المصرية اسمه على أحد شوارع حي "مدينة نصر" في "القاهرة" .

أمَّا الإرهاصات الأولى لتدريس اللغة العربية في الجامعات الحكومية والأهلية، فقد بدأت ضمن مناهج أقسام اللغات الشرقية مع اللغتين الفارسية والتركية، وكانت المناهج تقريبًا تقوم على دراسة بعض كتب التراث القديمة مثل:"المعلقات"، و"مقامات الحريري"، وغيرها، كما أن الأبحاث كانت تكتب باللغة الإنجليزية أو الأردية. وبعد تقسيم شبه القارة عام ١٩٤٧م تغيرت المناهج الدراسية قليلًا، خاصة وأن "الهند" بدأت تتوسع في علاقاتها مع الدول العربية، ثم توالى بعد ذلك إنشاء أقسام اللغة العربية في الجامعات والكليات المختلفة.

وبعد اكتشاف النفط في منطقة الخليج وبعض البلدان العربية الأخرى ازداد الطلب على خريجي أقسام اللغة العربية نتيجة تزايد العقود التجارية بين الشركات الهندية، وبين الدول العربية، وبدأت الكليات والمدارس الدينية تدريس بعض المناهج التي تساعد الخريجين على اكتساب مهارة التحدث والترجمة لتغطية الحاجة الضرورية إلى العمالة المهاجرة.

واليوم تضم "الهند" ما يقرب من خمس وثلاثين جامعة، وأكثر من مائة كلية تنتشر في جميع عموم "الهند" تقوم بتدريس اللغة العربية ضمن مقرراتها الدراسية ابتداءً من مرحلة الليسانس ومدتها ثلاث سنوات، وانتهاءً بالماجستير والدكتوراه، أهمها :"جامعة دهلي"، و"جامعة جواهر لال نهرو"، و"جامعة كولكتا"، و"جامعة بنارس"، و"جامعة كشمير"، و"جامعة آسام"، و"جامعة اله اباد"، و"جامعة بركة الله بهوبال"، و"جامعة كيرالا"، و" جامعة مدراس"، و"جامعة البنجاب"، و"جامعة بومباي"، و"جامعة حيدر آباد"، فضلًا عن أكثر من ثلاثين ألف مدرسة دينية تقوم أيضًا بتدريس اللغة العربية، ويقال إن أربعة في المائة من تعداد المسلمين البالغ عددهم أكثر من مائتي مليون نسمة يدرسون اللغة العربية في هذه المدارس الدينية نظرًا لضعف حالتهم المادية، وعدم مقدرتهم على إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية؛ فالمدارس الدينية في "الهند" تقوم على الجهود الذاتية والتبرعات المادية التي تبذلها الجماعات الدينية المختلفة، والتي تسعى بشكل أو آخر إلى أن تكون لها السيادة والريادة في المناطق التي تسيطر عليها فكريًا.

تطرق الوفود من طالبي العلوم الدينية ودارسي اللغة العربية أبواب العالم العربي، وخاصة الأزهر الشريف لدراسة مثل هذه العلوم؛ حيث يضم الأزهر الشريف ما يقرب من ثلاثمائة طالب هندي، كما أن منابر الدعوة في "الهند" تقوم على هؤلاء، ولا يُسمح لغيرهم باعتلائها. لكن تبقى أزمة التعصب الفكري والانتماء المذهبي باقية حيث تتمسك كل فرقة أو طريقة بما تعتقده، وترى أنها على الحق المبين دون غيرها، بل يصل الأمر أحيانا حد تكفير بعضهم البعض خاصة بين "البريلويين" أصحاب المنهج الصوفي، وبين "الديوبنديين" دعاة المنهج السلفي.

إن المتتبع لمثل هذه المدارس، يجد أنها تنقسم ـ من حيث المناهج ـ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدريس قراءاته.

الثاني: مدارس تدريس بعض المواد الشرعية والأدبية.

الثالث: مدارس تدريس المواد الشرعية، بالإضافة إلى تدريس بعض المهن والحرف الفنية والحاسوب، وغيرها من متطلبات العصر، وهي قليلة جدًا.

أمَّا المقررات الدراسية فتقوم ـ دون استثناء ـ على المنهج القديم وكتبه ومقرراته. ومن الجدير بالذكر أن بعض المقررات تقوم بتدريس الفلسفة والمنطق في بعض الصفوف الدراسية. تصل مدة الدراسة في هذه المدارس إلى ستة عشر عامًا، تتوزع على عدد من المراحل الدراسية:

- ـ المرحلة الابتدائية ، ومدتها خمس سنوات.
- ـ المرحلة المتوسطة، ومدتها أربع سنوات.
- ـ المراحل العليا، ومدتها سنتان أو أكثر.

ومن هنا أناشد الأزهر الشريف وجميع المؤسسات الدينية الأخرى أن يعملوا على إرسال المبعوثين إلى المدارس الرئيسة لتعليمهم اللغة العربية؛ فتعلمها والوقوف على بيانها، ومعرفة مذاهب القول فيها، يساعد كثيرًا على فهم الدين ونشر العقيدة الصحيحة، وحينما نقول تعليم اللغة العربية لا نقصد به تعليم النحو والصرف وعلوم البلاغة، وإنما نقصد به تصحيح الفكر وسداد الرأي.

ونحن لا ننكر مطلقًا مجهودات أبناء شبه القارة الهندية في مجال الدراسات الإسلامية، ودور مشايخهم وعلمائهم الأفذاذ من أمثال: " شاه ولي الله الدهلوي"، و"الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي"، والعلامة "عبد الحي الحسني"، وابنه الشيخ "أبو

الحسن الندوي"، و"سرسيد أحمد خان"، والعلامة "شبلي النعماني"، والعلامة "صديق حسن خان"، و"مولانا وحيد الدين خان"، ومولانا "كلب علي صادق"، وغيرهم كثيرون.

كما لا ننسى دور القائمين على تعليم اللغة العربية في الجامعات الحكومية سواء كانت مركزية أو إقليمية، إذ أن معظم دارسيها ومعلميها ينشرون أبحاثهم باللغة العربية ليس هذا فحسب، بل يصدرون العديد من المجلات العلمية والصحفية باللغة العربية، إلا أن ما يشغل أذهان هولاء الدارسين من أساتذة وطلاب الآن يتلخص في كيفية إتقان مهارة التحدث، وفهم اللغة لتعينهم على التواصل مع أهل اللغة العربية لتيسير الحصول على وظيفة، أو الالتحاق بأي عمل، وهم محقون في هذا لأن مهارة السماع والتحدث تساعد بشكل كبير على فهم اللغة وإتقانها، وقد يعكس لنا ذلك مكان اللغة العربية ومكانتها، فهي بمثابة العروة الوثقى التي تجمع بين الشعوب الإسلامية.

من هنا تكمن أهمية دعم اللغة العربية في هذه الجامعات والمدارس الدينية، والعمل على نشرها لأن في ذلك حماية للأمن العربي الإسلامي. ولا شك أن هناك العديد من الدول العربية التي تدعم مثل هذه المدارس والمؤسسات ماديًا ومعنويًا، لكن للأسف الشديد يستأثر رجال الدين الذين يسيطرون على المسالك والمذاهب الفكرية المختلفة بمثل هذه المساعدات. لذلك لم نلمس تطويرًا ملحوظًا في مناهج هذه المدارس؛ فهناك مَنْ يرفض ذلك التطوير ، وهناك مَنْ ينادون بالتطوير الكلي سواء على مستوى طرق التدريس، والاهتمام بالكتاب المقرر، إلا أن الخلافات المذهبية تعوق أي تطوير مما يؤدِّي إلى إفراز خريجين غير مؤهلين بالقدر الكافي الذي يتناسب مع متطلبات المجتمع واحتياجاته.

ومن هنا يجد الدارس الهندي صعوبة في تعلم اللغة العربية مقارنة بغيرها من اللغات، وربما هو مُحقٌّ في ذلك نظرًا لكثرة مفردات اللغة العربية، فضلًا عن تغير معنى المفردة العربية مع تغير موقعها الإعرابي. وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن ذلك لا يعني صعوبة اللغة ذاتها، بقدر ما يعكس صعوبة طرق تدريس اللغة المستخدمة، إذ لا بُدَّ من إعادة النظر في المناهج، وتدريب القائمين على التدريس، والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، كما أنه يجب على الهيئات العربية أيضا تطوير برامج تعلم اللغة العربية ليتم تدريسها عن بُعد من خلال القنوات الفضائية، ومراقبة الأداء الإعلامي للمذيعين العرب من حيث سلامة اللغة التي ينطقونها؛ فخطورة الأداء الخاطئ لا يقتصر أثره فقط على المُتلقي العربي، بل يتعداه إلى غيره ممن يتعلم اللغة العربية كلغة ثانية.

كما يجب أيضًا إتاحة الفرصة لعدد أكبر من الدارسين لزيارة الدول العربية؛ فإتاحة

المناخ اللغوي ينمّي لدى المتلقي مهارات اللغة، على أساس أن التواصل مع الآخرين هو هدف اللغة وغايتها. ليس هذا فحسب، بل على الهيئات العربية العمل على إعادة النظر في أن يكون تعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها عملية إبداعية وليست آلية بحتة، وضرورة إعداد برامج متنوعة لتعليم مهارات الاتصال اللغوي.

كما يشكو الدارس الهندي للغة العربية من الازدواج اللغوي بين العامية، وبين الفصحى في البلاد العربية، رغم أن هذا لا تنفرد به اللغة العربية فقط، بل تعرف كل اللغات ـ تقريبًا ـ مثل هذا التعدد في اللهجات، ولكنهم يتعلمون الفصحى في مدارسهم وجامعاتهم، وبالتالي يبحثون عنها في الدول العربية، ولا يجدونها إلا في أروقة المؤسسات الدينية كالأزهر، والجامعات والكليات التي تدرس اللغة العربية والمواد الشرعية، هذا الازدواج يخلق مشكلة لهم في التواصل مع أهل اللغة، وكثيرًا ما قالوا إن الفصحى في البلاد العربية تكاد تنحصر في الخطاب الرسمي ونشرات الأخبار والمسلسلات الدينية.

كما أنهم يشكون أيضًا من قلَّة المراكز المتخصصة في تعليم اللغة العربية في بلادهم على غرار مراكز اللغة الإنجليزية، وغيرها من اللغات التي يمكن أن تعمل على تأهيل القائمين على التدريس في المدارس والجامعات الهندية. لذلك أراهم على حقٍ فيما يُطالبون به، ولكن هناك شيء آخر يجب الاهتمام به من جانبهم؛ حيث يجب أن تشمل مناهجهم بعض الإبداعات العصرية مثل:" المقالة"، و"القصة القصيرة"، و"الرواية"، و"المسرح"، و"الخبر"، وغيرها مما يُنشر ويُكتب، ويُسمع ويُتداول.

كذلك عليهم أيضًا التخلص من ذلك المنهج الذي يعتمد على البدء بدراسة الأدب القديم، والبدء بتدريس الأدب المعاصر، والانتهاء بالقديم؛ فلن يَجد متلقي اللغة العربية ألفاظ "امرؤ القيس"، و"طَرفة بن العبد"، و"مقامات الحريري" في مفردات اللغة المعاصرة، ومن هنا فالبداية بالمعلوم للدارس أسهل له من المجهول باعتبار أن ذلك مدخلا للغة المعاصرة، كل هذا يمكن معالجته من خلال استخدام وسائل التواصل الحديثة مسموعة كانت، أم مقروءة، أومرئية.

ما زال المخلصون من أبناء "الهند" يعملون على نشر الثقافة العربية ليس فقط لكسب المال أو الشهرة، وإنما تقديرًا للغة العربية وعاء القرآن الكريم، ويبذلون في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس، هؤلاء يعملون دون ضجيج أو صخب تمتلئ بهم المدارس والجامعات سواء كانت حكومية أو أهلية. كما أن هناك هيئات ومؤسسات تعمل على نشر الثقافة العربية، كما أن منشوراتها موضع ثقة واحترام، ولا يستغني عنها باحث في مجال الدراسات

العربية مثل: "دائرة المعارف"، و" دار المصنفين"، وقد زار الأولى الشيخ "إبراهيم الجبالي" رئيس بعثة الأزهر عام ١٩٣٧م واعترف بجهودها، وهناك آلاف المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات الهندية تحتاج إلى جهد مؤسسات كبيرة لتحقيقها والوقوف على ما بها من مآثر العلماء والمحدثين.

لقد بدأت عملية تطوير المدارس الدينية في "الهند" في عام ٢٠٠٧م، رغم معارضة المُعارضين وسط مخاوف من سعي الحكومة إلى حرمان تلك المدارس من استقلاليتها بدعوى تحديثها وتطويرها. لذلك نهيب بالمؤسسات والهيئات العربية دعم هذه المدارس ومساعدتها على تحديث المناهج التعليمية وتطويرها مما يزيد من فرص دارسيها للحصول على الوظائف التي يرغبونها، وكذلك الاندماج في التطور التي تشهده "الهند"، خاصة وأن المدارس الدينية بديلًا مثاليًا للأسر الفقيرة، حيث تقوم الجماعات الدينية بتمويلها والإشراف عليها. وهناك دول غير عربية سواء كانت سنية أو شيعية تعمل على الترويج لأفكارها بين صفوف المجتمعات الإسلامية في "الهند" من خلال تقديم الدعم المادي والتربوي لقادة هذه المجموعات.

ولقد شهدت الساحة الهندية بعض القلق والاضطراب بعد تولي الحكومة المتشددة عام ٢٠١٤م حول مصير هذه المدارس الدينية بين مَنْ يُنادي بضرورة إغلاقها واستبدال المدارس الحكومية بها، وبين مَنْ يرى دمجها في نظام التعليم العام بحيث تكون الدروس الدينية اختيارية، وبين من يرى تحديثها وإعادة تنظيمها؛ لكي يتسنى لأبناء المسلمين التسلح بالعلوم الإسلامية وكذلك الإلمام بالعلوم الحديثة في آن واحد.

وجملة القول؛ فإن المدارس الدينية ما تزال تؤدي دورًا مهمًا في توجيه المجتمع المسلم، حيث تساعد على تربية النشئ من البنين والبنات، وتساعدهم على الحفاظ على هويتهم والتمسك بها حتى لا تذوب في ثقافة الأكثرية الهندوكية، كما أن مساهمة هذه المدارس في ترويج اللغة العربية، والثقافة الإسلامية أمرٌ لا ينكره إلا جاحد، فما زالت الحكومة الحالية تعتبر خريجي هذه المدارس. بصفة خاصة. مواطنين من الدرجة الثانية، وتُشكك في ولائهم إلى الدولة، وأن ولاءهم للعرب أكبر من ولائهم للدولة الهندية، ومن هنا لا بُدَّ من مناصرتهم وتأييدهم ومساعدتهم، والتواصل معهم من أجل الحفاظ على هويتهم الإسلامية.

إمكانيات اللغة العربية في العالم المعاصر

أ.د. محمد بشير كي
أستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة آسام

تحتلّ اللغة العربية مكانة متميزة وبارزة من بين لغات العالم، وهي لغة قديمة وعريقة تمتد جذورها إلى ما قبل الميلاد، وهي غنيّة بأشكالها وعباراتها وذويها عبر القرون الماضية ، وهي أطول اللغات الحيّة عمرا لأنه يُعتقد أنها نشأت من اللغة الآرامية منذ أكثر من ألف عام بين قبائل البدو الرحل في صحراء شبه الجزيرة العربية

وفي القرن السابع الميلادي، انتشرت اللغة العربية مع الفتوحات الإسلامية التي امتدت عبر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ووسط وغرب آسيا وصولًا إلى مناطق في الصين. مرّت بمراحل النضج والتطوّر في مسيرتها حيث عبرت عصور الجاهلية والإسلام وأيام الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية، إلى أن أحرزت قصبات السبق في عصر النهضة الحديثة من بين ظهراني سائر اللغات العالمية.

اللغة العربية لغة عالمية

اللغة العربية هي إحدى اللغات التي انتشرت بشكل كبير في العالم وتتمتّع بالمركز الخامس من حيث اللغات الأكثر انتشارا في العالم والمركز الرابع من حيث عدد المستخدمين على الإنترنت ، ينطق بها أكثر من ٤٦٧ مليون نسمة ، وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة، كما أنها لغة رسمية لرابطة العالم الإسلامي ورابطة العالم العربي ومنظمة المؤتمر الاسلامي والإتحاد الافريقي وغيرها من الجمعيات

العالمية.

العربية لغةٌ رسمية في كل دول الوطن العربي ويصل عدد الدول التي تعتبر العربية لغةً رسمية أو لغة رسمية مشتركة إلى ٢٥ دولة، بالإضافة إلى أن هناك ست دول تعتبر فيها اللغة العربية لغة وطنية مثل تركيا والنيجر وإيران والسنغال ومالي. واليوم، تنتشر اللغة العربية خارج العالم العربي مع هجرة الكثير من المتحدثين بها إلى دول مختلفة حول العالم مثل جنوب شرق آسيا وأوروبا ودول من ضمنها كندا والولايات المتحدة الأمريكية.

اللغةُ العربيةُ ذات أهمية قصوى لدى المسلمين، فهي عندَهم لغةٌ مقدسة إذ أنها لغة القرآن، فاستخدمت في أداء الصلاة و تلاوة القرآن و غير ذلك من العبادات التي لا يمكن أن تِؤدى إلا بها ، وعندما اتسعت رقعة العالم الإسلامي طوال التاريخ ارتفعت مكانة اللغة العربية و أصبحت تدرّس في الأراضي التي حكمها أو يسكنها المسلمون.

وللغة العربية تأثير مباشر وغير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي، كالتركية والفارسية والأمازيغية والكردية والأردية والماليزية والإندونيسية والألبانية وبعض اللغات الإفريقية الأخرى مثل الهاوسا والسواحيلية والتجرية والأمهرية والصومالية، وبعض اللغات الأوروبية وخاصةً المتوسطية كالإسبانية والبرتغالية والمالطية والصقلية؛ ودخلت الكثير من مصطلحاتها في اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى.

واليوم يستخدم متحدثو اللغة العربية لهجات عامية يصل عددها إلى ٣٠ لهجة. بينما تُدرّس العربية الفصحى المعاصرة في المناهج المدرسية والجامعية وتستخدم في وسائل الإعلام وأماكن العمل والترجمة المهنية والمعاملات القانونية. كما كتبت جميع النصوص الأدبية المؤلفة في الفترة ما بين القرن السابع والقرن التاسع الميلادي باللغة العربية الفصحى فضلًا عن أنها لغة القرآن الكريم.

والآن نشير إلى بعض إمكانيات اللغة العربية في المجالات المختلفة

المجال الديني

تتمتع اللغة العربية بخلاف سائر اللغات العالمية بصبغتها الدينية لأنها لغة الإسلام والقرآن والرسول، فإن من يريد الإلمام بالنصوص الدينية والداراسات العميقة فيها لا بدّ له من المعرفة الخاصة باللغة العربية، فإن أبواب الفرص في المجال الديني من البحوث والدراسات والتعليم والتربية لا تفتح إلا للمتمكنين في العربية.

المجال التعليمي

أصبحت اللغة العربية في ضمن الموادّ الدراسية في المدارس والكليات والجامعات في العالم العربي بالإضافة إلى البلاد التي يسكنها العرب والمسلمون، هي لغة عالمية يطلبها اكثر من ٦,١ بليون من المسلمين في مختلف أصقاع العالم. فتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مستويات مختلفة يعد فرصة للعالمين بها.

وفي الهند يتم تدريسها وتعلمها في أكثر من عشرين ألف مدرسة حكومية وأهلية ومئات من الكليات والجامعات توفّر الدراسات العالية في العربية، منها البكالوريوس والماجستير والدكتواراه وما بعدها، بالإضافة إلى دورات دبلوم في الترجمة والعربية الوظيفية وغيرها. وتقّدم الحكومة الهندية والجهات الخاصة منحا دراسية للباحثين فيها.

المجال الاقتصادي

اللغة العربية تحتل مكانة مركزية في الأعمال التجارية الدولية وذلك لأن العالم العربي أصبحت وخاصة دول الشرق الأوسط مراكز تجارية واقتصادية في العالم إثر تواجد النفظ فيها، يعمل فيها النازحون من البلاد الأخرى ويتكسبون منها، أما أهميتها فهي تنشأ من كونها عنصرا أساسيا من عناصر الاتصال الذي يعتمد عليه النشاط الاقتصادي اعتمادا كبيرا. وههنا تظهر إمكانية العارف بها لأن الشركات الدولية تحتاجه في وظائف شتى من الترجمة ونقل المعلومات والاتصالات، ولذلك يفتح تعلم اللغة العربية العديد من مجالات وإمكانيات التوظيف في العديد من الصناعات المختلفة مثل النفط والسفر والتمويل والتعاون الصناعي والترجمة وغيرها.

إن الذي لديه الكفاءة العربية مع المصطلحات الاقتصادية والبنكية إذا أتقن علوم المحاسبة والاقتصاد يوظّفه البنوك والشركات العربية كمدير أو محاسب أو أمين، وإذا أتقن طرق التسويق الرسمي والإعلانات في الوسائل الإعلامية توظفه الشركات كأخصائي أو تنفيذي أو مدير تسويق رسمي، وإذا أتقن التسويق عبر الإنترنت مع القدرة على كتابة المراجعات للمنتجات الجديدة في السوق توظفه الشركات مثل أمازون وفلبكارت.

مجال الترجمة

توجد وظائف كثيرة في ترجمة اللغة العربية منها وإليها في مجال شتى كالسياحة والسفريات والقناصل والسفارات والشركات حيث تحتاج إلى من يقومون بترجمة

الشهادات والجوازات والتأشيرات والوثائق الرسمية الأخرى. إن كثيرا من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية والهيئات التعليمية الأخري لتعتني بعقد دورات خاصة في الترجمة و بتدريب الطلاب خاصا في هذا المجال.

ومن الفرص الترجمة الفورية وهي الترجمة بشكل فوري بين متحدثين من لغتين مختلفتين، وذلك أن الدبلوماسيين والوزراء العرب عند زيارتهم البلاد الأجانب يحتاجون إلى المترجمين للحوار والخطب والمناقشات كما أن الأجانب منهم لما يقومون بزيارة البلاد العربية يحتاجون إليهم، وهناك توجد مناصب حكومية لهذه المهمة في السفارات والقنصلات.

إن ديار الكتب والنشر والطباعة تحتاج إلى مترجمي الكتب لإثراء اللغات من العربية إلى اللغة الأجنية ومنها إلى العربية أيضا، تتضمن ترجمة الكتب البحوثية وكتب المقالات وكتب القصص والروايات ولكل منها أسلوب.

المجال السياحي

هذه الأيام نجد فرصا كثيرة لمن يتمكن أن يتعامل اللغة العربية مع الطلاقة والفصاحة في مجال السياحة والسفريات حيث ان السياحة الدولية قد توفرت في العصر الحالي والسائحون العربيون موجودون في بلادنا في الفنادق والمستشفيات ومراكز السياحة على عدد وافر. ولذا توجد وظائف للقادر على تحدث العربية مثل مدير الفندق ومرشد سياحي ومدير السفريات وسائق سيارات وما إليها.

مجال الصحافة

تعتبر اللغة العربية إحدى الركائز الأساسية للإذاعة والتلفزيون كما للصحافة والسينما والمسرح وهذه الوسائل تؤدي وظائفها بمساعدة اللغة التي هي وسيلة للاختلاط وأساس للتعبير عن الأخبار، ولا شك أن استخدام اللغة الفصحى في صحافتنا وإذاعتنا الفضائية يساعد إلى حد بعيد على مدى تأثير الآراء والنظريات في المجتمع، فالعالم بها مع العلم بالصحافة يتمكن من وظائف عديدة في الأخبار والمجلات والقنوات العربية، ونعدّ نبذة منها ههنا:

قراءة الأخبار اليومية في القنوات الفضائية

إعداد الأخبار اليومية للصحف والمجلات

إعداد العناوين الفرعية والترجمات للشاشة

إعداد المقالات والرسائل للصحف والمجلات

إعداد مراجعات الكتب العربية والأجنبية

إعداد الإعلانات والمنشورات للسلع والشركات

التدقيق اللغوي للأخبار والمقالات في إدارات الصحافة

الطباعة العربية والتصميم والرسم البياني

في مجال السينما

ومما يتسرع إلى الأذهان أن إنتاج فيلم واحد يحتاج إلى أصحاب قدرات وملكات ومهارات مختلفة بما فيهم أهل اللغة، فإن الأفلام العربية تحتاج إلى أصحابها لإعدادها وإعلانها ونشرها وتسجيل الأصوات، وكذلك الأفلام الوثائقية القصيرة وفيديو الإعلانات، كما أنها تحتاج إلى ترجمات وعناوين فرعية لكي يفهمها أهل اللغة الأخرى.

لقد كثرت في هذه الأيام الأفلام المدبلحة أي المعربة، الدبلجة إلى اللغة العربية أو منها تحتاج أصحابها لأنها تستخدم عند القيام بتركيب أداء صوتي بديل للنص الأصلي بلغة أخرى لإنتاجات تلفزيونية كالمسلسلات والأفلام والأفلام الوثائقية. ودور الترجمة هنا في غاية الأهمية، إذ أن على المترجم اختيار عبارات تناسب طول الجمل التي ينطق بها الممثل الأجنبي وباستخدام كلمات تناسب أو بالأصح تطابق حركات الشفاه حتى يكون الأداء متطابقًات قدر الإمكان.

في مجال التكنولوجية الحديثة

هذا هو عصر التقنية والمعلومات والحاسوب الإلكتروني، فأمّا الذي لديه الكفاءة العربية مع الإلمام بمصطلحات التقنية والبرمجة والحاسوب الإلكتروني أمامه فرص كثيرة في هذا المجال، من الطباعة على الحاسوب وتشغيل النظام والأجهزة وتطوير وهندسة برامج في الحاسوب. وكذلك التطبيقات العربية المستعملة في الهاتف والحاسوب تحتاج إلى المطورين مع الكفاءة اللغوية.

في مجال استخدام اليوتوب والوسائل

أصبحت اليوم الوسائل الإعلامية مثل اليوتوب والفيسبوك والإنستغرام من

مصادر كسب الوظائف والأموال، وذلك بإعداد محتويات وفيديوات وتحميلها إليها فيتكسب بحسب عدد الزوار والمشاهدين والمعجبين بها والمعلقين عليها، فأمّا الذي لديه العربية فأمامه فرص كثيرة في إعداد فيديوات في العربية تحت موضوعات متنوعة مثل الأسفار والرحلات والعلوم والدراسات ومراجعات المنتجات ومقاطع الكوميديا والترفيه وقضايا المجتمع والسياسة والثقافة.

وفي اختصار، لا تنحصر إمكانيات اللغة العربية في هذه المجالات المذكورة فقط بل هي نماذج أولية فقط، وأما من ينظر ويبحث فيها فيرى مجالات أخرى مدهشة ترغّب الطالبين والدارسين إليها لإن جميع الأعمال بالبلاد العربية تفضل الذين لديهم الكفاءة اللغوية.

الأنشطة العربية في ولاية بيهار

د. مستفيض الرحمن
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة آسام، سلتشار، جامعة مركزية، الهند

الملخص

إن العربية كانت موضع عناية لدى مسلمي شبه القارة الهندية. بدأ التأليف والتصنيف في اللغة العربية في ولاية بيهار بل في سائر الهند قبل قليل من العصر الذي بلغت فيه الأنشطة العربية أوجها وعمت سائر القطر وانتشر فيه كثير من فروغ الأدب العربي وبلغت حد الكمال مثلاً تفاسير القرآن والمؤلفات في الحديث والفقه قد كثر عددها لدرجة أن أي عمل ابداعي أصيل في موضوعها لم يستطع أن يعيش إلا بصعوبة كبيرة – وأما الأقسام الأدبية الأخرى كعلوم الفلسفة والكلام والرياضيات والطب فقط كانت بطبعها تحتاج إلى الإضافة والتطوير المستمر لكنها صارت جامدة لعدم وجود العلماء الأكفاء القادرون على الخلق والابداع فانحصرت جهود العلماء في التخليص والشرح والتعليق على ما انتجه المفكرون الأوائل .وأصبحت ولاية بيهار مركز للعلوم الشرعية والفنون العربية منذ زمن قديم.

الكلمات المفتاحية: الأنشطة، العربية، ولاية بيهار، العلوم الأدبية، التفسير، حديث

كانت العربية في شبه القارة الهندية لغة أجنبية فكان من الطبيعي أن يعاني الدارسون في هذه المنطقة صعوبة ومشقة في تعلمها ويبذلوا جهداً أشد من الدارسين الذين لغة الأم لهم اللغة العربية، والكتب التي كتبت لتعليم اللغة العربية في الهند أكثر إفادة للطلاب من التي كتبت خارجها كما أن التعليقات والحواشي التي كتبها المستشرقون ليست ذات فائدة كبيرة للدارسين الهنود بالمقارنة بالمؤلفات التي حررها المؤلفون في هذا القطر.

وأن الهند بموقعها الجغرافي لم تتمتع بالتسهيلات التي تؤهلها للدخول مباشرة في مجال الحضارة العربية أو تتيح لها الاتصال بمراكز العلم العربي كما كان ذلك متاحاً للأقطار الأخرى مثل فارس في الشرق وشمالي أفريقية في الغرب. وقد فتح العرب بلاد السند في آخر القرن الأول الهجري. وبقيت تحت حكمهم حتى عصر الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ) الذي فوض الحكومة لهذه المقاطعة إلى يعقوب ابن الليث مؤسس الدولة الصفارية، وبوفاة يعقوب ظهرت مملكتان مسلمتان على حدود الهند لكن نشاطهما الفطري لم يعلم عنه شيء.

وبالرغم من كل العوائق السياسية والجغرافية فإن العربية كانت موضع عناية لدى مسلمي شبه القارة الهندية وذلك لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ولأنها مفتاح الكنوز الثمينة للعلوم الإسلامية.

بدأ التأليف والتصنيف في اللغة العربية في ولاية بيهار بل في سائر الهند قبل قليل من العصر الذي بلغت فيه الأنشطة العربية أوجها وعمت سائر القطر وانتشر فيه كثير من فروغ الأدب العربي وبلغت حد الكمال مثلاً تفاسير القرآن والمؤلفات في الحديث والفقه قد كثر عددها لدرجة أن أي عمل ابداعي أصيل في موضوعها لم يستطع أن يعيش إلا بصعوبة كبيرة – وأما الأقسام الأدبية الأخرى كعلوم الفلسفة والكلام والرياضيات والطب فقط كانت بطبعها تحتاج إلى الإضافة والتطوير المستمر لكنها صارت جامدة لعدم وجود العلماء الأكفاء القادرون على الخلق والابداع فانحصرت جهود العلماء في التخليص والشرح والتعليق على ما انتجه المفكرون الأوائل [١].

وأصبحت ولاية بيهار مركز للعلوم الشرعية والفنون العربية منذ زمن قديم ولفظ بيهار مأخوذة من «وهارا» معناه مركز العلوم والفنون. وهو في الحقيقة كان مركز للعلوم البديهية وكان باقي الطلبة إليها من كل فج عميق وكانت «نالندة» أيضاً مركزاً قديماً

١ زبيد أحمد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية، صفحة ٢٠.

للعلوم والفنون. وفي الفترة الثانية من التاريخ حينما زادت روابط المسلمين بهذه المنطقة وانتشرت المراكز التعليمية والمدارس بكثرة وآنذاك كانت من أهم المراكز هنا منير، وبهلواري، وبيهار شريف، وبتنا، بهاكلبور، ومنغير، وسهسرام وما إلى ذلك ويوجد فهرس كبير للمدارس الدينية في المنطقة المذكورة وعمارات مراكز التعليم والتربية هذه بانتشار العلماء والفضلاء في التفسير والفقه والحديث.

وفي عهد عالمغير ساهم علماء هذه المنطقة مساهمة جادة في تدوين وترتيب كتاب هامٍ في الفقه «الفتاوى العالمغيرية» منهم عنايت الله سورج كرهي ورضي الدين بهاكلبوري وفصيح الدين البهلواروي [٢] ولكن ذكر أبو الحسنات الندوي عالمين آخرين أحدهما من بهلواري وثانيهما من مونغير ساهما في تدوين وتأليف «الفتاوى» [٣].

وعلى كل حال بصرف النظر عن الاختلاف في عدد العلماء فلا شك في أن العلماء من هذه المنطقة ساهموا في تدوين وتأليف الكتاب المذكور أعلاه وهذه مفخرة لولاية بيهار.

وعين شاهجهان «محي الدين» المعروف بملاجيون أستاذ الأورنغ زيب الذي درسه اثنى عشرة سنة. وكان عزيز الله مبارك العظيم آبادي البيهاري أستاذاً خاصاً للأميرة زيب النساء. وكان محب الله البيهاري أستاذاً خاصاً للأمير رفيع القدر، وفيما بعد لقبه شاه عالم باسم «فاضل خان» وعينه بمنصب الصدارة العظمى» منح عالمكغير سليمان حنفي المنيري لقب «نواب فضائل خان» وأعطاه نظامة «دار العلل» وعين سيد نذير حسين المعروف بميان صاحب الدهلوي السورج كرهي في منصب تدريس الحديث الذي كان من قبل لأسرة ولي الله – واحتل مناصب عالية للتدريس علماء هذه المنطقة في مراكز شهيرة مختلفة في الهند – مثلاً «المدرسة العالية بكلكتة وجامعة علي جره الإسلامية التي كان يرأس قسم الدراسات الدينية فيها مولانا سليمان أشرف والجامعة العثمانية بحيدر آباد التي كان رئيس قسم الدراسات الدينية فيها مولانا مناظر أحسن الكيلاني ومنهم مولانا فضل الله الرحماني [٤].

وفي أواخر القرن السادس دخل محمد بختيار الخلجي أول مرة في ولاية بيهار وبنغال بعد الفتح ووضع حجر الأساس لبعض المدارس وكان المعتمد الأول لقطب الدين أيبك وانتشر الإسلام في ولاية بيهار وبنغال بجهوده.

---

٢ عبد الباري: فيض الباري/ص ٥٥ مطبع خواجة، دلهي.

٣ أبو الحسنات الندوي: هندوستان كى قديم اسلامى درسكاهين، ص ٥٤ باللغة الأردية.

٤ عبد الباري: فيض الباري/ص ٥٦ مطبع خواجة، دلهي.

وكان يوجد التعليم والتدريس فيها منذ زمن قديم وبذل العلماء والفضلاء الجهود في نشر الإسلام في العهود المختلفة ولما دارت المناقشة بين الشيخ علائي مؤسس الطائفة المهدوية وعلماء ذلك العصر، عين العالم البيهاري طيب بدهن حكيما بينهم ومن العلماء البارزين فيها محب الله البيهاري وغلام يحي كانت حلقة التدريس لهما واسعة جداً وكذلك كان الرؤساء والأمراء مائلين إلى العلوم والفنون، والناس كانوا يتعلمون منهم أيضاً. وكان بعض الأمراء والأثرياء يعطون الأموال للعلماء والفضلاء يمنحون المنح للطلبة للتقرب إلى عامة الناس ويعتقدون أنه يكون سبب نجاتهم في الأخرة. ومن أجل ذلك لايزال يوجد مثل هذه الطرق في ولاية بيهار [٥].

وكان هناك في ولاية بيهار بعض القرى التي نالت شهرة أكثر لخلق العلماء الذين ساهموا مساهمة عظيمة في مجال الدرس والتدريس وخاصة في مجال الفقه والتفسير ومنها:

منير: ومن المتقدمين منهم كان شاه شرف الدين أحمد ومن المتأخرين مولوي غلام جيب ومولوي إظهار الدين ومولوي لطف علي ونالوا درجة عالية في العلوم الشرعية.

سهسرام: برز في هذه القرية مولوي سليم الله وشاه كبير الدين والمفتي غلام قادر وكانوا من العلماء المشهورين في العلوم الشرعية.

ديانوان: واشتهر فيها مولوي شمس الحق والمحدث المولوي الحافظ نور أحمد، ومحمد زبير وكانوا يعدون من أرباب العلم والكمال.

محي الدين بور: كان مولانا تلطف حسين من العلماء المشهورين في الهند وكانت له مكانة مرموقة في طبقة أهل الحديث.

نكرنهسة: هذه القرية كانت مركز العلم في الزمن القديم ومن أبرز علمائها «مولانا عليم الله» ومولانا سليم الله ومولانا أمان الله ومولانا مدين الله ومولانا إبراهيم، ومولانا تصدق حسين خلاق، ومولانا كلزار علي، ومولانا عليم الدين.

شرح مولانا إبراهيم ديوان المتنبي في اللغة الفارسية

وكان مولانا تصدق حسين خلاق بارعاً في الفارسية، وكان لطيف الذوق وجيد السبك فيها.

٥ أبو الحسنات الندوي: هندوستان كى قديم اسلامى درسكاهين، ص ٤٩ باللغة الأردية.

ومنهم مولانا عليم الدين عرف تبحره في العلوم والفنون وألف كتاب «سلم الأفلاك».

نيمي: هذه مولود ومنشأ مولانا ظهير أحسن الذي برع في النظم والنثر في اللغة العربية والفارسية والأردية. ومن مؤلفاته المطولة «آثار السنن» في الحديث قد نشر بعض أجزائها.

كهتة: قد ولد فيها مولوي سعادت حسين الذي درس في مدرسة سهارن بور وفي المدرسة العالية بكلكتة.

كيلاني: ونشأ فيه مولوي أحسن المعروف بالمنطقي.

استهانوان: ولد ونشأ وترعرع فيه الحافظ وحيد الحق ومولوي محمد أحسن الذي كان يدرس في المراكز المختلفة في أنحاء ولاية بيهار.

ديسنة: سكن فيها مصطفى شير الذي أصبح رئيس المدرسين في مدرسة خانقاه.

سهسرام: ومنها كان مولانا محمد يعقوب نال شهرة في الرياضيات وكان يدرس بها.

رحيم آباد: ولد فيها مولانا عبد العزيز.

وهذا غيض من فيض لولاية بيهار، ولكن فيوض العلم لها ما بقيت محدودة فيها بل خرج العلماء والفضلاء إلى المراكز الأخرى وأفادوا الخلق فيها وجاء بعض أهاليها للتعلم إلى أودهـ ودلهي وبعد أن بلغوا ما بلغوا من العلم والفضل تمكنوا في مسند التدريس والجدير بالذكر منهم ملا محب الله الذي درس في أودهـ ومولانا نذير حسين المحدث الدهلوي الذي درس في دلهي.

ووصلت اللغة العربية القيمة لغة القرآن والحديث إلى الهند عامة والي ولاية بيهار خاصة بوصول العرب والتجار والحكماء والأمراء السلاطين ومن الغزنويين المماليك والخالجيين وأسر السادات واللوديين والدويلات وسلاطين المغول واهتم هؤلاء السلاطين بالتعليم والتربية تولوا رجال العلم والأدب برعايتهم وبين هؤلاء العلماء الشيخ بده أو بدهن البيهاري الذي كان يكن له شير شاه السوري تقديراً عظيماً وله حاشية على كتاب «الإرشاد في النحو» لشهاب الدين الدولة آبادي.

ولم يكن غير عالمغير ملكاً فحسب بل كان ممتازاً وتقياً وورعاً وغازياً ومجاهداً في سبيل الله واعتنى بتعليم المسلمين ونشر العلوم الإسلامية في كل مكان من امبراطورية.

وبالإضافة إلى ذلك عين لجنة من علماء الدين برئاسة الشيخ نظام الدين البرهانبوري لتقوم بإعداد موسوعة في الفقه الحنفي. وهذه الموسوعة تعرف ك «فتاوي عالمغيرية» وفي خارج الهند تعرف باسم «الفتاوي الهندية» ومن فضلاء عصره الآخرين الملاجيون ومحب الله البيهاري والمير زاهد وقطب الدين السهالوي.

وفي عهد المغول أصبحت أماكن كثيرة معروفة كمراكز للعلوم الإسلامية مثل سيالكوت ولكناؤ وغوباً مئو وخير آباد وغيرها.

ونظراً إلى الجهود والأنشطة الأدبية العلمية في عصر المغول يمكن أن نقول أنه كان العصر الذهبي للعلوم الإسلامية وتطورها في الهند [٦].

قسم الشيخ عبد الحيئ الحسني في كتابه: «الثقافة الإسلامية في الهند» نظام الدرس إلى أربعة مناهج حسب التغيرات الزمنية. حتى جاء الشيخ نظام الدين السهالوي وأحدث في دروس الهند نظاماً جديداً وبقى هذا المنهج متبعاً لعدة قرون حتى العصر الحاضر أضاف الناس إلى الدرس النظامي كتباً أخرى (ص ١٧ (٧) (ص ١١ و١٦) والطلاب للدراسات العليا كانوا يسافرون إلى العلماء المتخصصين إلى مناطق بعيدة وبعد تكميل فن واحد يتجهون إلى الفنون الأخرى. ولذلك نجد عند ذكر العلماء أخذ مثل هذه الكلمات الفقه عن فلان والتفسير والفقه عن فلان وعلوم المنطق والحكمة عن فلان وغير ذلك.

والمناهج الدراسية في ولاية بهار في القرون الثلاثة الأخيرة كانت قريبة من الدرس النظامي وهي كما يلي:

في الصرف والنحو: «ميزان الصرف» لوجيه الدين عثمان «لب الألباب» للقاضي ناصر الدين البيضاوي «الارشاد» للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي «كافية» لابن حاجب وشرح كافية لعبد الرحمن جامي.

وفي الفقه: كنز الدقائق، شرح الوقاية والهداية.

وفي أصول الفقه: الحسامي، المنار، أصول البزدوي، التلويح على التوضيح للتفتازاني.

وفي العقائد: صحائف للسمرقندي، وشرح العقائد للتفتازاني. وعقائد عضوية لعضد الدين انيجي.

وفي علم المعاني: الشرحان للتلخيص المفتاح وهما مختصر المعاني و«المطول» وشرح مفتاح العلوم للسكاكي.

٦ زبيد أحمد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية، صفحة ٣٤ (الترجمة العربية).

وفي المنطق: «شرح الشمسية» و»شرح تهذيب».

وفي الحديث: مشكوة المصابيح وصحيح البخاري، وشمائل ترمذي وفي بعض الأماكان كانت الصحاح الستة شاملة في الدرس.

وفي التفسير: البيضاوي.

وفي الرياضي: «تحرير اقليدس».

وفي الأدب: «مقامات الحريري» وقصيدة البردة للبوصيري [٧].

وبهذه المناهج التدريسية المذكورة أعلاه وبأسلوب التدريس والتعليم عمت اللغة العربية في ولاية بيهار حتى صارت ولاية بيهار مركزاً العلوم والفنون، وولد ونشأ العلماء البارزون فيها وتطورت اللغة العربية بأيديهم السعيدة في كل ناحية من نواحي الآداب العربية والآن نذكر بعض العلماء الذين ساهموا مساهمة في تدريس اللغة العربية لانتشارها وازدهارها لا في الهند فقط بل في خارجها أيضاً.

ولابد أن أذكر بعض العلماء الذين اتبعوا هذه المناهج الدراسية وأضاءوا شمعة العلم فيها فمنهم الشيخ الفاضل سليم الله بن عليم الله الأنصاري النغبرنهسوي العظيم آبادي أحد أكابر العلماء وأعيان الفضلاء ببلدته، قرأ العلم على والده وتفنن في الفضائل عليه، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله الحسيني المدفون بهلسة (بكسر الهاء) وهي قرية من أعمال «عظيم آباد» وأخذ عنه أمين الله وغلام بدر وغيرهما، مات يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الثاني سنة ١١٩١ هـ بنغرنهسة بفتح النون الأول وضم الثاني) قرية من أعمال عظيم آباد [٨].

ومنهم الشيخ الفاضل عصمة الله السارني ثم العظيم آبادي وهو أحد المشائخ القادرية، كان من نسل سلالة عثمان بن عفان الأموي رضي الله عنه، قرأ العلم على السيد محمد وارث الحسيني البنارسي ثم أخذ عنه الطريقة ولازمه زمانا حتى نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة فسار غلى «عظيم آباد» وتصدر بها للدرس والإفادة [٩].

منهم الشيخ العالم الفقيه فصيح الدين بن أبي يزيد بن محمد فريد بن محمد حسين

٧ جماعة من العلماء: تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان و هند، ج ٢.

٨ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ١٠٨.

٩ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ١٨٨.

ابن عطاء الله الهاشمي الجعفري البهلواروي أحد الفقهاء الحنفية، ولد ونشأ ببهلواري، وهي قرية كبيرة من أعمال عظيم آباد، واشتغل بالعلم مدة على أساتذة بلدته وعكف على الدرس والإفادة وسليمان بن داؤد البهلواروي وكان يقول: إن فصيح الدين قرأ العلم على ملاعوض وجيه السمرقندي، قال: إني وجدت ذلك في منشور الحكومة، بعث إليه شاه عالم ابن عالمغير الدهلوي [١٠].

ومنهم الشيخ العالم الفقيه فضل الله بن محمد فاضل بن ركن الدين الحنفي البرنيوي أحد الرجال الموصوفين بالفضل والصلاح، ولد ونشأ ببرنية (بضم الباء الفارسية بعدها رامهملة ونون ساكنة) بلدة من أرض «بنكالة» وقدم «جونبور» في صغر سنه فقرأ أكثر الكتب الدراسية على الشيخ محمد أرشد بن محمد رشيد العثماني الجونبوري وبعضها على غير من العلماء ثم أخذ الطريقة عن الشيخ محمد أرشد المذكور وبلغ رتبة المشيخة فكتب له الشيخ وثيقة الخلافة ورخصه إلى بلدة «برنية» فتزوج بها وقصر همته على الدرس والإفادة، أخذ عنه غير واحد من العلماء، استشهد يوم الأربعاء لتسع خلون من رمضان سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ببلدته برنيه فدفن بها قريباً من بيته، وكانت له مصنفات ولكنها ضاعت في تلك الواقعة [١١].

ومن كبار الفقهاء مجيب الله بن ظهور الله بن كبير الدين الجعفري البهلواروي أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، كان من نسل سلالة جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وصاحبه، ولد لإحدى عشرة خلون من ربيع الثاني سنة ثمان وتسعين وألف «ببهلواري» وقرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا فصيح الدين، وقيل: إنه قرأ على ابن خاله عماد الدين، ثم سافر إلى «بنارس» ولازم الشيخ محمد وارث بن عناية الله البنارسي، وقرأ عليه سائر الكتب الدراسية وأخذ عنه الطريقة الأويسية القادرية، ثم رجع إلى بلدته وأخذ الطريقة القلندرية عن ابن خاله عماد الدين المذكور سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وجلس على مسند الإرشاد وناهز ثلاثاً وتسعين سنة أخذ ابنه نعمة الله، ونور الحق، وشمس الدين وخدا بخش وخلق آخرون، توفى سنة ١١٩١هـ [١٢].

ومنهم محمد بن عناية الله بن أشرف بن محمود بن محمد بن الجلال ابن عبد الملك

١٠ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٦٥ وأبو الكلام: تذكرة علماء بيهار ص ٢٢٢.
١١ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٣٣.
١٢ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٦٥ وأبو الكلام: تذكرة علماء بيهار ص ٢٢٢.

الهاشمي المنيري أحد المشائخ الفردوسية، ولد ونشأ بمنير (بفتح الميم) وأخذ عن عمه هداية الله بن أشرف المنيري وتولى الشياخة بعده، أخذ عنه خلق كثير، توفى لاثنتي عشرة خلون من رجب سنة تسع وخمسين ومائة وألف [١٣].

والشيخ العالم الصالح محمد أسلم بن جعفر الحسيني البتنوي أحد المشائخ الجشتية، ولد ونشأ ببلدة «بتنا» ولازم والده وأخذ عنه العلم والمعرفة ثم قدم «جونبور» بعد وفاة والده وقرأ ما بقي له من الكتب الدراسية على الشيخ محمد أرشد الجونبوري وليس منه الخرقة ولازمه مدة وصحبه في الظعن والإقامة حتى بلغ رتبة المشيخة فرخصه الشيخ إلى بلدة بتنا فتصدر بها للإرشاد مقام والده المرحوم وحصل له القبول العظيم، وكان يحترز عن استماع الغناء خلافاً لمشائخه، وله شرح بسيط على رسالة شيخ محمد أرشد بالعربية أوله: نحمده ونصلى على نبيه كما هو أهله، إلخ، ومن مصنفاته كتابه «عمدة النجاة في إيضاح الزلات».

توفى بالفالج لتسع بقين من شوال سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ببلدة بتنا، فدفن بشريعة آباد عند والده وأخيه و «شريعة آباد» قرية على ثلاثة أميال من بتنا [١٤].

ومن المدرسين العالم الكبير محمد باقر بن محمد جعفر الحسيني البتنوي أحد المشائخ الجشتية، ولد لسبع عشرة خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وألف بمدينة «بتنا» ونشأ بها ولازم والده وأخذ عنه ورأ عليه الكتب الدرسية كلها ثم أخذ عنه الطريقة وأخذ صناعة الطب عن الحكيم جلال الدين وصحبه وأخذ عنه الهيئة والهندسة والحساب وصناعة الطب وسائر الفنون الحكمية ثم تصدى للدرس والإفادة، قرأ عليه الشيخ غلام رشيد بن محب الله الجونبوري أجزاء من «القطبي» وحاشيته للسيد الشريف وأطنب بمدحه في التورع والتسرع والحذاقة في الطب والمهارة في سائر العلوم عقلياً كان أو نقلياً وقال: إنه قدم «جونبور» بعد وفاة والده ولبس الخرقة من الشيخ محمد أرشد بن محمد رشيد الجونبوري وصحبه مدة من الزمان، فكتب له الشيخ محمد أرشد مثال (وثيقة) الخلافة كتب فيه: إني لما رأيت الفاضل العالم العامل صاحب الشريعة والطريقة والحقيقة السيد محمد باقر بن السيد السند بحر الحقائق محمد جعفر الحسيني قابلاً ومستعداً لأن يودع له أمانات المشائخ ويجاز ويستخلف أجزت له لإجراء السلاسل القادرية والجشتية والمدارية والفردوسية إلخ.

---

١٣ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٧١.

١٤ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٨٠.

وكانت وفاته ليلة السابع من جمادي الأخر سنة ١١١٨ وقبره «بشرية آباد» على ثلاثة أميال من بتنا [١٥].

ومنهم العالم الفقيه محمد مخدوم بن أمان الله بن محمد أمين بن محمد جنيد الهاشمي الجعفري البهلواروي أحد العلماء الصالحين، وولد ونشأ بقرية بهلواري من أعمال «عظيم آباد» واشتغل بالعلم على والده زماناً، ثم سافر إلى البلاد وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ محمد وارث بن عنايت الله الحسيني البنارسي، ثم رجع إلى وطنه وصرف عمره في الدرس والإفادة توفى لأربع بقين من ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [١٦].

ومن المشتغلين بالدرس الشيخ العالم المحدث محمد عتيق بن عبد السميع الحنفي البيهاري أحد الأفاضل المشهورين، ولد ونشأ بأرض «بيهار» وقرأ العلم على عمه الشيخ عبد المقتدر ابن عبد النبي البيهاري وهو أخذ عن والده وعن الشخ نور الحق بن عبد الحق البخاري الدهلوي وأخذ عنه وجيه الحق بن أمان الله الجعفري البهلواروي، يقول عبد الحيئ الحسني الندوي: إني رأيت الإجازة له كتبها للوجيه قال فيه: أما بعد فيقول العبد المتوسل إلى الله الغني بذريعة الحديث النبوي محمد عتيق بن عبد السميع البيهاري قد شرفني الله تعالى بقرأة كتب الأحاديث ومن على كثرة شغلها وطول خدمتها تفضل على بتعليمها وتبليغها إلى طالبيها، إلخ، ثم إنه سرد أسماء شيوخه، توفى في شهر ربيع الأول سن تسع وأربعين ومائة وألف [١٧].

ومنهم الشيخ الفاضل محمد مبين الجعفري البهلواروي كان من ذرية سيدنا جعفر الطيار ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وصاحبه، ولد ونشأ في مهد العلم والمشيخة وقرأ شيئاً نزراً من العلم في بلاده ثم سافر وقرأ سائر الكتب الدرسية على مولانا حقاني الاميتهوي ولازمه مدة وأخذ عنه الطريقة النقشبندية ثم رجع إلى بلاده ودرس وأفاد، وأخذ عنه ابن اخته مولانا وحيد الحق وخلق كثير، وكان شيخاً صدوقاً متوداً حسن الأخلاق كثير الفوائد ماهرا بالعلوم الحكمية جيد المشاركة في علوم الشرع، مات في ٢٤ رمضان

١٥ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٢٩٧ وأبو الكلام: تذكرة علماء بيهار ص ٢٤٩.

١٦ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٣١١.

١٧ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٣٤٠ وأبو الكلام: تذكرة علماء بيهار ص ٢٤٩.

سنة ١١٦٨ هـ[١٨].

ومن أرباب العلماء العالم الصالح معين الدين العثماني المنيري أحد الفصحاء المتصوفين كان أصله من قرية «مدهورة» من أعمال بيهار انتقل منها إلى «منير» (بفتح الميم) فسكن بها في دار جدة لامه وسافر للعلم إلى «جونبور» فقرأ الكتب الدرسية على من بها من العلماء وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد رشيد ثم عن ولده محمد أرشد الجونبوري ولازمهما زماناً ثم رجع إلى منير وقصر همته على الدرس والإفادة، أخذ عنه غير واحد من الإعلام وقد لبه الشيخ غلام رشيد الجونبوري ببلدة منير سنة ١١٢٢ هـ فالبسه الخرقة الجشتية [١٩].

والمدرس الصالح منعم بن أمان بن عبد الكريم بن عبد النعيم النقشبندي البيهاري أحد المشائخ المشهورين، كان أصله من قرية «بهلوري» من أعمال «بيهار» ولد بقرية «بجنان من أعمال منغير» في شعبان سنة ١١٨٤ هـ وتوفى أبوه في صغر سنه فتربى في مهد جده لأمه ورحل إلى «باره» قرية جامعة من أعمال «بتنا» وبايع السيد خليل الدين بن جعفر القطبي القادري وصحبه عشرة أعوام ثم سافر إلى دهلي ولبث بها عشرين سنة وله ثلاثون سنة فقرأ العلم على من بها من العلماء وأخذ الطريقة عن الشيخ فرهاد ولازمه زماناً، ثم لما توفى شيخه لازم صاحبه أسد الله حتى بلغ رتبة الكمال، فرجع إلى «عظيم آباد» وتولى الشياخة بها.

المصادر والمراجع

- أحمد زبيد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ص ٢٠
- أحمد أشفاق: مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين،الطبعة الأولى، دلهي، ٢٠٠٣م
- الباري عبد: فيض الباري، مطبع خواجة، دلهي، ١٩٩١ ص ٥٥
- الحي عبد: نزهة الخواطر، دائرة المعارف الاسلامية، حيدرآباد، ج ٦ ، ص١٠٨
- فياض محمد: تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند، ج ٢، جامعة بنجاب،١٩٧٢
- الكلام ابو: تذكرة علماء بيهار، ص٢٢٢
- المباركفوري القاضي اطهر: رجال السند والهند، المطبعة الحجازية، ممبائ، ١٩٥٨
- الندوي ابوالحسنات: هندوستان كي قديم اسلامي درسكاهين، باللغة الأردية، ص ٥٤

١٨ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٣٥٦.

١٩ عبد الحيئ: نزهة الخواطر، ج ٦، ص ٣٥٨ وأبو الكلام: تذكرة علماء بيهار ص ٢٥١.

- الندوي ابو الحسن علي الحسني:رجال الفكر والدعوة في الاسلام، الطبعة الثامنة، دار القلم، الكويت، ١٩٩٨م
- الندوي ابو الحسن علي الحسني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة عشرة من المجمع الاسلامي ، ندوة العلماء، لكناؤ، ١٩٩٤م
- الندوي ايوب تاج الدين: الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها، الطبعة الاولى، مطبعة دار الهجرة، جامو، ولاية جامو وكشمير، الهند، ١٩٩٧م
- الندوي الدكتور سيد رضوان علي: اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانيةعبر القرون، الطبعة الاولى ، مطبعة مكرم، جامعة كراتشي، باكستان، ١٩٩٥م
- الندوي محمد الرابع الحسني: الادب الاسلامي وصلته بالحياة، ندوة العلماء، لكناؤ، ١٩٨٣م
- الندوي مسعود عالم: تاريخ الدعوة الاسلامية، في الهند، دار العربية، ١٣٧٠هـ

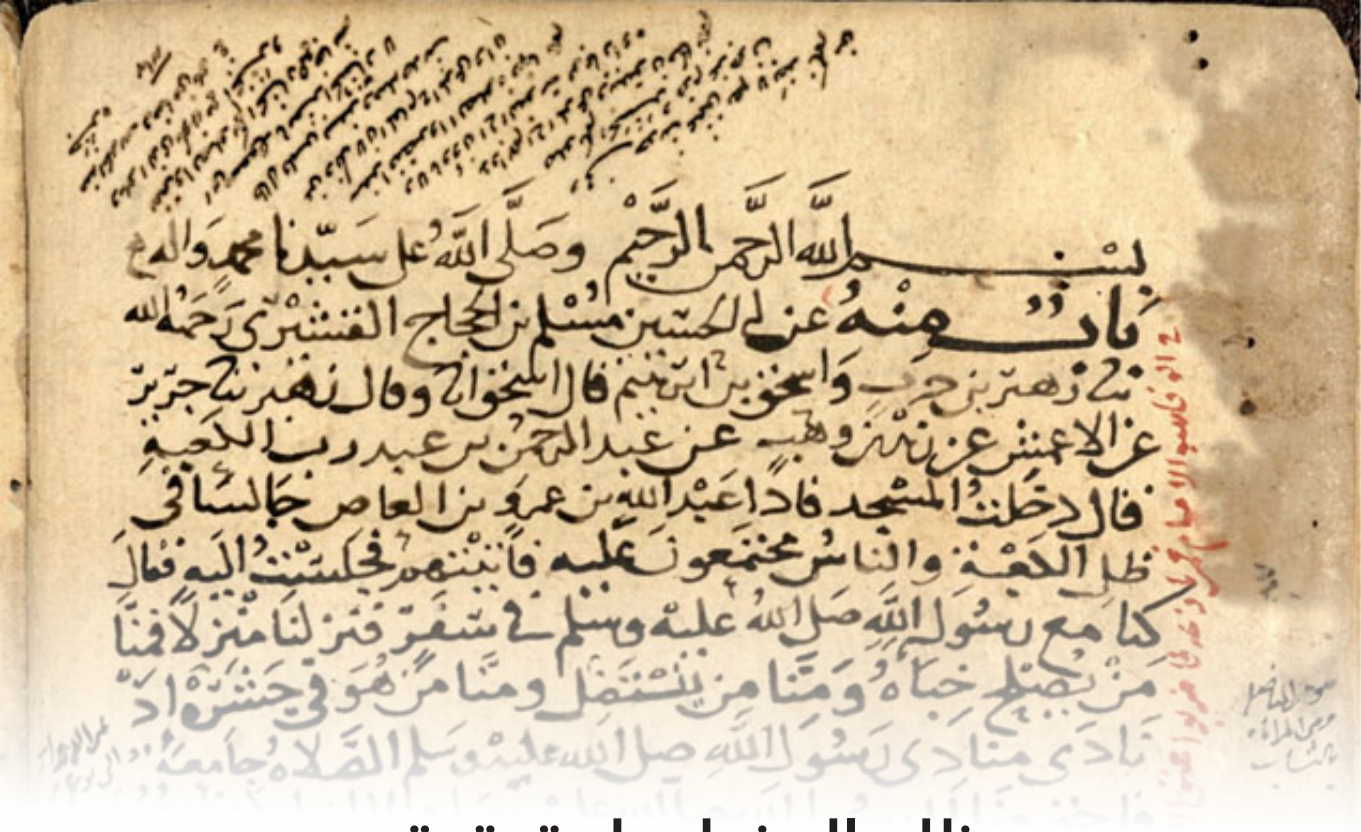

مظان المخطوط وتحقيقه : الأسس والقواعد

أ. حاكمي نورة

قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة عمار ثليجي الأغواط / الجزائر

مقدمة

لقد اهتم المسلمون بالمخطوطات اهتماما كبيرا كونها سبيلا للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي و الإسلامي ، وجعلوا منها تحفا فنية ثمينة وصناعة فنية بالغة الدقة ، مما أدى إلى انتشار المخطوطات حتى عصور متأخرة إلى خلق ثقافة عرفت « بثقافة المخطوطات "

إذ تعدد مواد كتابته وطرق استخدامها من طرف كتاب ومؤرخون جعله يتميز بتميزات تجعله ينفرد بها كوعاء فكري سواء كان ذلك من الناحية المادية و التي تتمثل في طريقة الكتابة و شكله ومواد صنعته ، أو من الناحية الفنية ذات بعد فني وجمالي مثل الزخارف و الرسومات ، ولعل الإحساس بقيمة هذا التراث و العمل على استثماره هو الرؤية الصحيحة لتجديد الأسس العلمية التي تجنى من الواقع وفق معايير و أسس

فالحديث عن المخطوط ينبغي منا أن نتبعه بالحديث عن أهم المستشرقين الذي ساهموا في تحقيق النصوص و إعادة نشر ما فيها من تراث علمي زاخر ، فلا ننكر أنه كان لهم دور مهم في خدمة التراث العربي.

و تأتي أهمية البحث في أن المخطوط له أهمية بالغة لانحصاره في العالم الإسلامي وبإمكانه أن يتعدى دراسات كثير خارج النطاق الإسلامي لأنه يتيح الفرصة أمام الباحثين لتطلع عن مختلف الثقافات .

ويهدف البحث إلى المساهمة في إحياء هذا التراث الذي كان له الفضل الكبير في بناء الحضارات .

وسبب اختياري لهذا الموضوع ، وهو السعي في إبراز التراث العربي الذي فتح آفاق كبيرة من أجل البحث و الدراسة في الكثير من المجالات ولاسيما "المخطوط " الذي يعد مادة دسمة تخدم العالم العربي والباحث بصفة خاصة.

أما بخصوص الدراسات السابقة لم أن أول من تناول المخطوط ،فالذين كتبوا عليهم كثر ، وتناوله كل واحد من زاوية ، ولم أقف على دراسة محددة ،ومن بين الدراسات السابقة التي ساعدتني في إتمام هذا البحث منها:

- ـ الدورة التكوينية بعنوان "تحقيق المخطوطات "تم تنظيمها إلكترونيا بمركز البحث و العلوم والحضارة الإسلامية بالأغواط (الجزائر) ، وكنت ضمن الناجحين في الدورة.
- ـ مولاي أمحمد،المخطوطات العربية الإسلامية الجزائرية في ضوء علم المخطوطات (الكوديكولوجيا)دراسة تحليلية في تراب ب أدرار ومنطقة منداس بغليزان.

كما اعتمدت في هذا على المنهج الوصفي التحليلي ،بعدما أوردت بعض النصوص وقمت بالتعليق عليها وربط السابق باللاحق.

ومن هنا حاولت أن أقدم هذه الورقة البحثية وبمساهمة مني ، قمت بتحديد بعض المصطلحات و واجبات المحقق حول تحقيق المخطوط ، كما رسمت دليل عن أماكن تواجد المخطوط وعددها وكان هذا بعد الإحصاء الذي قدمه لنا الدكتور «عمر حميد مراد « في دورة تكوينية بعنوان « تحقيق المخطوط « ، وبعض الكتب التي يمكن الاستعانة بها في تحقيق المخطوط ،وارتأيت أن تكون الإشكاليات كالتالي:

ما هو المخطوط ؟ ومن هو المحقق؟ وما هي صفاته ؟

و أين تتواجد المخطوطات ؟

أما بالنسبة للصعوبات تمثلت فقط في ضيق الوقت و الأوضاع الحالية بسب هذا الوباء،من أجل أقوم بدراسة تطبيقية حول المخطوط.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، و أن ينفع به ، و أنّ يوفقنا لمرضاته أنّه سميع مجيب .

تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات

مفهوم المخطوط

المخطوط the manuscript : لغة مأخوذة من لفظة خط يخط ، بمعنى كتب ،أي صور اللفظ بحروف هجائية [١]، سواء كان كتابا أو وثيقة أو نقشا على الحجر [٢]، ولهذا يعد المخطوط هو المكتوب باليد ، لا بالمطبعة و جمعه مخطوطات و المخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد .[٣]

ويمكن أن نميز بين المخطوط والمطبوع :

المخطوط فيمكن أن نقول بأنه هو كل ما صار إلينا مكتوبا مما تركه السابقون في مختلف العلوم ، أي ما تركه أجدادنا و العلماء سواء كان مخطوطا أو مطبوعا .

المطبوع : تسمى بطبعات الحجرية التي طبعت على الحجر أو رقمنت بآلات قديمة وما أنتجته المطابع القديمة أو الحديث ن فهذا يسمى كله تراث .

فهرس الفهارس : ويقصد به وضع قوائم للفهارس الموضوعية ،لمساعدة الباحثين و المختصين ، ولايتم ذلك إلا بتضافر الجهود وفهرسة ما لم يفهرس من مخطوطات وضم هذه الفهارس في فهرس موحد ، يفي بالغرض و يحقق المأمول .[٤]

الناسخ: هو الكاتب الذي قام بنسخ المخطوط قبل ظهور الطباعة.

النص: هو الكلمات التي يتألف منها المخطوط.

---

١ فضيل جميل كليب ، فؤاد محمد خليل عبيد ، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا ، دار جرير ، عمان ، ٢٠٠٦،ص :٢٩

٢ الحلوجي عبد الستار ، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص : ٩.

٣ النشار السيد السيد ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص : ٥.

٤ أحمد شوقي بنين ، دراسات في علم المخطوط ، ص : ١٦

المتن: هو الجزء الرئيسي من المؤلَّف (المخطوط) مستقلاً عن شروحه وحواشيه.

المفهرس : هو من يقوم بإعداد البيانات التي تميز المخطوط عن غيره من الكتب .

الفهرست : كلمة فارسية بأنه الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين وهو معرب وهو ما يطلق عليه اليوم ببلوغرافيا

الفهارس : و مجموعة من الكتب التي تتحدث عن المخطوطات من حيث توصيفها ولكل مخطوط قيمته تميزه عن غيره .

التراث : هو كل ما تركه السابقين للاحقين مأخوذة من وَرِث و أصله الوُراث بتخفيف الراء .[٥]

وعندما نقول أنه تركه السابق للاحق بمعنى أنه ما يتركه الإنسان مثلا : الميراث وجاء في قوله تعالى « وتأكلون التراث أكلا لما « في هذه الآية يقصد ميراث اليتامى .

أما في التخصص والذي نحن اليوم بدراسته أنا وهو التراث و المخطوط .

مفهوم التحقيق

التحقيق في اللغة: مصدر للفعل حَقَّق، جاء في (المعجم الوسيط) : كلام مُحَقَّق: مُحْكَم الصنعة رصين ، وحقّق الشيء والأمر: أحكمه، وقال ابن الأعرابي: يقال: أحْققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته. وقال الزمخشري في (أساس البلاغة): حقّقت الأمر وأحققته: كنت على يقين منه، وبذلك فالتحقيق في اللغة هو العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين.[٦]

التحقيق في الاصطلاح: قال الدكتور عبدالهادي الفضلي في كتابه (تحقيق التراث): هو العلم الذي يُبحث فيه عن قواعد نشر المخطوطات أو هو دراسة قواعد نشر المخطوطات.

وعند الدكتور حسين محفوظ فإنّ التحقيق هو إخراج الكتاب مطابقا لأصل

٥ ماجي قندوز الندرومي ، مفهوم التراث (المخطوط وقيمته الحضارية) - جامعة تلمسان (الجزائر)،محاضرة في دورة تكوينية بعنوان «تحقيق المخطوط « ، الجزائر ، يوم : ٢٠٢٠/٢٥:٠٧ https://www.youtube.com/channel/UC٠sDuuFCΛBtDcMh٦KEIivEg

٦ الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط٢،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م

المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المصنف [٧]

وأمّا الأستاذ عبد السلام هارون فقد عَرّفَ الكتاب المُحَقَّق بأنّه الذي صحّ عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه، ويمكن تعريف التحقيق اعتماداً على ما جاء في المنهج الذي وضعته اللجنة المشرفة على نشر كتاب (تأريخ دمشق) بأنه: تقديم نص صحيح، ولا بد أنْ يُعنى باختلاف الروايات فيثبت ما صح منها، وأنْ يتضمن بعض التعليق الموجز في الهوامش لكيلا يثقل النص بتعليقات طوال، وأنْ تضبط الأعلام وتُفَسّر الألفاظ الغامضة، وتُبَيَّن وتُوَضّح النقطة والنقطتان والفاصلة وعلامات الاستفهام والتعجب؛ لأنها تساعد على فهم وتوضيح النص، وتُثبت الآيات القرآنية بين قوسين، ويُشار إلى سورها وأرقام آياتها في السور كما ترقم سطور النص[٨]

ويمكن أن نخلص إلى أنّ التحقيق : وهو العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على الوجه اليقين أو إثبات القضية (هذا بصفة عامة)

أما في تحقيق النّص : هو قراءته قراءة صحيحة و إخراجه على الوضع الصحيح أي التأكد من صحة المادة العلمية .

أنواع المخطوطات

١ـ المخطوطات حسب اللغة : هناك مخطوطات باللغة العربية مكتوبة بلغتين مختلفتين :

أ. المخطوطات الفارسية : وهي التي كتبت باللغة الفارسية ، وتختلف عن غيرها لأن لها خصائص فنية تتميز عن غيرها ، بحيث تتمثل هذه الخصائص في مايلي : نوع الزخارف و التجليد ...الخ [٩]

ب . المخطوطات العبرية : فهي مخطوطات كتبت باللغة العبرية وتعتبر صورة من صور

---

٧ محمد قاسم المتوكل ، أسس و قواعد تحقيق المخطوطات

٨ مجبل لازم المالكي ، دراسة تحليلية «تحقيق المخطوطات اليمنية و نشرها « ، مجلة الإكليل صادرة عن وزارة الثقافة ، العدد ٢٩و٣٠، ٢٠٠٦،

٩ سامي نوار، فن صناعة المخطوط الفارسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١،ص : ١٠

المعارف اليهودية .١٠

٢ ـ المخطوط التاريخي : تكون حسب مختلف العصور من القرن ٢٨ قبل الميلاد إلى القرن ٤ م واشتملت على قدماء المصريين و اليونان والرومان ، ثم مخطوطات الشرق الأقصى القديم والتي اشتملت على مخطوطات ورق النخيل ، ثم المخطوطات في القرون الوسطى حيث كانت الجلود و الرقوق و كانت هاتين المادتين أساسيتين إلى أن جاء الورق .[١١]

٣ ـ المخطوط حسب النسخ : وهي مخطوطات أصلية وهي النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه .[١٢]

وهناك مخطوطات منسوخة : وهذه العملية كانت معروفة ومستعملة في دور الكتب بالمشرق .[١٣]

المخطوط المبهم : وهو المخطوط الذي تلفت منه بعض من أوراقه .[١٤]

علم المخطوطات الكوديكولوجيا : هو علم دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته ، بما في ذلك صناعة الأحبار وفن التوريق أو النساخة و التجليد و التذهيب وصناعة الرقوق و الكاغد و الجلود وما يتصل بها من فنون مثل ك السماعات و التعقيبات و القراءات و الإجازات و المقابلات [١٥]

فالهدف من دراسة المخطوط دراسة كوديكولوجية هي خدمة النص الذي تحققه ونستخلص من النظريات و الأحكام كمل تهدف إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات و التي اعترضت الباحثين في معرفة التراث فمثلا : ما معنى الكراسة ؟ وهل هي كتيب أم

١٠ أحمد شحلان ، المخطوط العبري من صور المعارف اليهودية الوسطية في المخطوط العربي وعلم المخطوطات ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٩٤، ص : ٦١

١١ ابراهيم عامر قنديلجي ، ربحي مصطفى عليان ، مصادر المعلومات من عصر المعلومات إلى عصر الأنترنيت ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، عمان. ٢٠٠٠م،ص : ٤٨

١٢ صلاح الدين المنجد ،قواعد تحقيق المخطوطات ،دار الكتب الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٠م،ص : ١٣

١٣ محمد بن شريفة ،حول ترميم المخطوطات في المغربطصيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥م،ص : ١٠٠

١٤ عابد سليمان المشوخي ، نسخ المخطوطات ، مجلة عالم الكتب ، مجلد١٥،العدد٠٣، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٤م، ص : ٣٢٣

١٥ د.مولاي امحمد،المخطوطات العربية الإسلامية الجزائرية في ضوء علم المخطوطات (الكوديكولوجيا) دراسة تحليلية في تراب بأدرار ومنطقة منداس بغليزان « ، ص:١٦٠

كتاب ؟ [١٦]

فالدراسة الكوديكولوجية تمكن الباحث من تحديد أنواع الخطوط العربية تحديدا باليوغرافيا علميا [١٧].(٦٣)

شروط المحقق وعمله

* شروط المحقق

أ- الشروط العامة: مَنْ أراد أنْ يُحقق مخطوطاً ما لا بُدّ أنْ يَتّصِف بأوصافٍ معينة، وأنْ تتحقق فيه عدة شروط عامة، وهي:

- أنْ يكون عارفاً باللغة العربية، بنحوها وصرفها وبلاغتها وإملائها وأساليبها معرفة وافية؛ ليستطيع قراءة النص وفهمه فهماً صحيحاً.
- أنْ يكون ذا ثقافة عامة في كل فن.
- أنْ يكون على دراية كافية بعلم المكتبات، مخطوطها ومطبوعها، يعرف مصادر كل نوع وفهارسه وكيفية معرفة حال أيّ كتابٍ مطبوعاً أم مخطوطاً.
- أنْ يكون عارفاً بقواعد العمل بتحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.
- أنْ يَتَّصِف المحقق بالأمانة والصبر والحيادية والتواضع والالتزام والاستفادة من ذوي الخبرة، والفطنة، وأنْ يمتاز بدقّة الملاحظة وحسن التنظيم والترتيب[١٨]

٦ اهتمامه بالتراث تولد له الرغبة بالتحقيق المخطوط بطل سهولة .

٧ أن تكون له معرفة مسبقة بالرموز الموجودة في المخطوط

٨ لابد أن تتوفر في المحقق منهجية أكاديمية معتمدة في تحقيق النص،

٩ أن يكون ملم خوارج النّص المراد بها البيانات التي تساعد المفهرس و المحقق ، وكذا معرفة نوع الورق ، المداد ، النسخ ، السنة ، مكان النسخ ، نوع الخط ،

ب- الشروط الخاصة: على المحقق إضافة إلى ماتقدم من الشروط والصفات العامة أنْ يكون عالماً متخصصاً بموضوع المخطوط أو النص الذي يريد تحقيقه.

قواعد الفهرسة : لابد من باحث أراد تحقيق مخطوطا أن يكون ملما بقواعد

١٦ المرجع نفسه ، ص:١٦٠

١٧ أحمد شوقي بنيين ، المخطوط العربي وعلم المخطوطات ، كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٩٤م ، ص : ٣٣

١٨ يوسف المرعشلي ، تحقيق المخطوطات ، ط٢ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م

الفهرسة لأنها ضرورية وثابتة وهي :

١.الإلمام و الإحاطة بالمخطوط و التي يقصد بها المعرفة التاريخية للمخطوط أنه لابد من المعرفة التاريخية له و الطرق التي وصل بها إلينا ، والظروف التي أنتج فيها هذا المخطوط .[١٩]

٢ ـ المعرفة بمختلف أنواع الخطوط العربية معرفة علمية وهذا شيء مهم لابد من المحقق أن تكون له خبرة وثقافة ،إضافة الى مهمة البيبلوغرافي الخبير في مادة الكتابة

٣ ـ لابد ن التطلع إلى التقنيات الجديدة في البحث التي تخدم المخطوط .

لابد هنا أن نشير أنه إذا توجب علينا جمع المخطوط : وهو أن تقوم هيئات المخطوطات مثل المراكز البحثية وغيرها يجمعون المخطوطات عن طريق التصوير و الجمع .

ويعرفها السامرائي : « أنه فن وصنعة قوامها الهواية «

أنواع الفهارس

١على شكل قوائم : مثل الخصائص لابن جني

٢ ـ فهارس متوسطة : تذكر جميع البيانات لكن يايجاز

٣ ـ فهارس محللة : نحلل العناصر التي تكون في فصل المخطوط [٢٠]

يقول أن التحقيق العلمي لا نقصد به تحقيق تحقيق المواد التي تسمى علمية كالطب و الهندسة و إنما هو التحقق المستند إلى علم وقواعد وضوابط .[٢١]

---

١٩ أحمد شوقي بنين ، دراسات في علم المخطوطات و البحث البيبلوغرافي ، ط١ ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، ١٩٩٣م ، ص : ٩٣

٢٠ عبد الكريم عوفي ثقافة المفهرس والمحقق/الأستاذ الدكتور:(عضو الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي - جامعة الدول العربية)، محاضر في الدورة التكوينية «تحيق المخطوطات» / الجزائر /٢٠٢٠/٠٧/٢٨م الرابط: https://youtu.be/PsuSkV٢٥ekg

٢١ حسن أحمد العثمان ، التحقيق العلمي (مفهومه وقضاياه، (جامعة أم القرى- مكة المكرمة) في الدورة التكوينية «تحيق المخطوطات» / الجزائر، ٢٠٢٠/٠٧/٢٧م الرابط: https://youtu.be/KrfYFPePm٦E

أنواع العلاقات النصية

وكانت عبارة عن تساؤلات بدأ بها الدكتور المحاضر محاضرته ويقول بأنها

العلاقات النصية لها ١٧ نوعا وتفريعاتها تزيد على الخمسين فرعا

ثم تطرق إلى ما هو : الوعاء الحامل للنّص : يقصد به الجسم المادي سواء كان ورقا أو عظاما وهو في الحقيقة نصان :

١ . متن الكتاب موضوع التحقيق : وهو النص الأساسي

٢ . النّص الموازي : وهو خوارج النص .

ثم يتطرق إلى ماهي خوارج النص : وهي ٣٣ نوعا ، فمن كان لا يعرف كيفية الاستفادة منها و لا يعرف الفرق بين أنوع الخوارج ، فإنه قد أضاع بعضا من النص ، وهنا يعجز عن خدمته و ربما يسفد منه .

كيف يخرج نصا صحيحا : ؟ من لا يعرف الترجيح و التعليل للترجيح بينهما ، وكيفية إثباتها ، لا يمكن أن يوثق بتحقيقه و لا بقدرته على تقديم النّص سليم .ا صحيحا[٢٢]

ولقد كانت بدايات التحقيق و المخطوط ١٩٢٧سنة م مع بول ماس الألماني مرورا ب للمستشرق الألماني «برجستراسر وكان مؤلفه : عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير سنة ١٩٣١م وطبعت ١٩٦٩م من طرف تلميذه وجعلها في كتاب مقدمة وثلاثة أبواب وهي : النسخ و النص

و العمل و الاصطلاح

نقد التحقيق :.و أضحى ضروريا في تحقيق النصوص وهذا من أجل التمييز العليل من السليم ، وكشف مواطن الضعف و الزلل في عمليات التحقيق ، و إذا رجعنا إلى علاقة النقد بالتحقيق « نجد أنّ المستشرقون كانوا يطلقون على ما نسميه الآن مصطلح المتقدمين و المتأخرين منهم ، فمثلا عنوان نقد النص و يقصدون به تحقيق النص» [٢٣]

وتكون هذه العملية من متخصصين ونقاد

٢٢ أحمد حسن العثمان ، التحقيق العلمي / (بتصرف)

٢٣ حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ،ط٨ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص : ٨٣ ،٨٤

٢ حد التحقيق ومفهومه :

بول ماس عرف التحقيق في سنة ١٩٢٧م بأنه إخراج نص أقرب ما يكون إلى الأصل

والكلام عن الحدّ

الغاية من التحقيق أو هو وظيفة المحقق

يذكر «بول ماس « الغاية و الوظيفة ، ووظيفة المحققين هو إخراج نصا أقرب ما يكون إلى الأصل

غاية التحقيق هو إخراج النص أقرب ما يكون إلى الأصل .

.و أشار بول ماس إلى أن المطلوب من المحقق هو الوصول إلى تمام الصورة الأصل (أي النّص الثابت) لا الوصول إلى ما يقارب هذه الصورة .

.مفهوم حد التحقيق هو إخراج النّص بصورة قريبة من النّص الثابت ، فإن مطابقا للنّص الثابت فليس هذا تحقيقا .[٢٤]

وفي هذا يقول عبد السلام هارون :» وهو من الرواد الأوائل لفن التحقيق :» إن هذا التراث الضخم الذي آل إلينا من أسلفنا ،صانع الثقافة الإسلامية العربية جدير أن نقف أمامه وقفة إجلال و إكبار ....الخ

ويقول الدكتور «ماجي قندوز « : أن جل العلوم التي كتب فيها المسلمون العرب مثل العلوم المنطقية و الفلسفية و الطب ،إنما كان العرب و المسلمون جسرا عبروا عليها إلى أوروبا .[٢٥]

هنا نظرة إعجاب لما خلفه أجدادنا من الكم الهائل من المخطوطات ، ويزعمون الحداثيون أن التراث هو العائق أمام تقدمنا وهناك من ينتقي منه ما يخدمه وينبذ الباقي

إذن فالتراث ينبع من اهتمام المسلمين بالعلم والمعرفة ، فاهتمام السلاطين كان سببا في حفظ الكثير من المعرف و العلوم ..

تعد فهرست ابن نديم ت(٤٣٢ه) ذكر عدد كبير من الكتب التي ألفها العرب المسلمون في شتى فنون المعرفة .

٢٤ أنظر : أحمد حسن العثمان ، محاضرة «التحقيق العلمي «

٢٥ ماجي قندوز من محاضرة مفهوم التراث (بتصرف)

ولقد ذكر فيليب في كتابه خزائن الكتب العربية ١٥٠٠ مكتبة عالمية وذكر فيها ما يزيد ٢٦٢ مليون مجلد ما بين مطبوع ومخطوط .

هناك بعض المخطوطات لا تستحق أن نحقق فيها .

مثلا هناك مخطوطات في السحر و الشعوذة فهذه لا تستحق أن تخرج للناس لأنها لا تنفع الأمة الإسلامية .

كذلك مخطوطات حققت وطبعت عدة مرات هناك مرغبات تدفع الباحث لتحقيق معين

ويقول الدكتور محمود الطناحي :" كان تراثنا العربي الإسلامي في قريبا من الغرب ، أي عرفه الغرب واتصل به و أفاد منه من خلال قنوات معرفية ، هناك من كان يأتي من الحواضر من أجل الإفادة و التعلم .

أيضا الحروب التي شنت على العالم العربي و الإسلامي مثلا(ظاهرة الاستعمار) نجد أنه تمت سرقت التراث إلا أنه كان هناك أثر ايجابي في وهو خدمة ة إنقاذ جزء مهم في التراث [٢٦]

*كذلك كان الأمراء يهدون مخطوطات للأمراء في أوروبا أو غيرها من المسلمين وهكذا كان ينتقل من بلاد العرب و المسلمين إلى غيرهم بهذه الطريقة .

ـ وتبرز أهمية التراث في المعارف الحضارية ليس من الجانب المادي بل تقتصر على المعارف .

يبرز الدكتور هنا مثال عن مدينته تلمسان يقول : «بأن تلمسان لها حظ وافر في التاريخ لما جاء الزيانيون في ق ٧هـ ظلت مملكة عن ما يزيد ٣قرون بنوا مساجد ومدارس وجلبوا العلماء من قسنطينة وبجاية وتونس و المغرب ...

ونجد أن الهند كانت سباقة لطباعة هذا التراث مثل قاموس المحيط الفيروز أباذي « ، وكذا تفسير الجلالين و الإتقان للسيوطي ، هذه كلها طبعت في الهند ومما ساعدهم على الطباعة وجود هيئة استشارية من علماء أمثال أبي الحسن المَوْلَوي ، و أحمد النَدوي وغيرهم ...الخ

كذلك في مصر ظهرت إحياء التراث ابتداء من إنشاء المطبعة الأميرية و بولاق ١٢٢٠م ، كان يشرف على تصحيحها علماء كبار أمثال الشيخ محمود بن أحمد

٢٦ المصدر نفسه (بتصرف)

الشنقيطي الذي اشتهر بوالده و محمد الحسيني ...

حتى جاء زكي باشا رائد التحقيق الذي تخرج على يديه كبار المحقيقن مثل أحمد شاكر وعبد السلام هارون ومحمود الطناحي .[٢٧]

أهمية التراث وقيمته الحضارية عند المستشرقون

أيضا مسارعة المستشرقين الذين جمعوا مخطوطات كثيرة و أخذوا إلى أوطانهم الكثير منها ، إلا هناك من كانت لهم نية حسنة وهناك من كانت لهم نية سيئة ،ويرجع الفضل لهم في تحقيق المخطوطات ومسألة اختراع آلة الطباعة ونقلت إلى بلاد المسلمين .[٢٨]هؤلاء المستشرقون رافقوا الحملات الاستعمارية ق١٠و ١١هـ احتلال بلاد المسلمين ،بحيث نجد أن المستشرقون استولوا على أغلب المخطوطات بسبب الحملات العسكرية على سبيل المثال هنا نذكر حملة نابليون .

كما نجد أن كتاب سبويه في النحو طبع في باريس و نقائض الجرير و الفرزدق في لندن ، و كانوا يكثرون من صناعة الفهارس ، لا يقابلون بين المخطوطات بل يثبتون نسخة واحدة .

تعتبر الدراسات الإستشراقية مصدر كثير من الغربيين لفهم الثقافة الإسلامية، بل تتعدى إلى تأثيرها في السياسات تجاه أمم الشرق، وهذا ما يحتم على الباحثين المسلمين أن يهتموا بها دراسة وتصحيحاً، وهناك من المستشرقين من اتسم بالموضوعية و بالجدية وهناك من اتسم بالحيادية وهذا لحقدهم على الثقافة الإسلامية .[٢٩]

يمكن أن يتم إبراز جهود المستشرقين في خدمة العربية عبر نقاط: ١ ـ التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.٢ ـ جمع المخطوطات منذ حملة نابليون سنة ١٧٩٨م ومرورا ببعثات ملك بروسيا) فريدريش) سنة ١٨٤٢م وسنة ١٨٥٢م إلى البعثات الشخصية. ومن أهم الإنجازات المذهلة ما قام به ألوارد من وضع فهرس في عشرة مجلدات لمكتبة برلين للمخطوطات العربية وعددها ١٠٠٠٠ مخطوط. ٣ ـ التحقيق والنشر، فقد نشر المستشرقون مئات المخطوطات العربية

٢٧ ماحي قندوز ، محاضرة بعنوان «مفهوم التراث المخطوط وقيمته الحضارية «

٢٨ من محاضرة مفهوم التراث المخطوط وقيمته الحضارية (بتصرف) .

٢٩ د.عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، المستشرقون وخدمة التراث العربي،

في بداية عصر الطباعة مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكامل للمبرد والجمهرة وغيرها.
٤ ـ الترجمة، فقد ترجموا العديد من الكتب العربية كتاريخ الطبري وكثير من الدواوين والإحياء للغزالي وترجموا معاني القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية الحية.
٥ ـ التأليف، فقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب .[٣٠]

ومن أعظم ما أضافه المستشرقون للثقافة العربية والإسلامية :

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ت١٩٥٦م.
- دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة ١٩١٣ - ١٩٣٨م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٤٥ - م وحتى عام ١٩٧٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداء من عام ١٩٣٦م إلى سنة ١٩٦١م.

ومن المميزات الإيجابية لإعمال المستشرقون

ترابطهم وتعاونهم عن طريق المؤتمرات والمراسلات والدوريات و حرصهم على الاطلاع على لغات قديمة ،إضافة إلى اللغات الحديثة.[٣١]

يقول الدكتور» عمر حميد مراد « أن هذه المخطوطات التي انتشرت في العالم وضعت لها فهارس ، و من بين أهم المكتبات التي تحتفظ بها هي المكتبة ، التي أنشأها "الأسقف ميلانو" حرص أن يقيمها في سنة ٦٠٩م.[٣٢]

ومن مميزاتها احتفظت بكنوز عربية تحتاج إلى تحقيق و إخراجها إلى النور .

فالمخطوط العربي شمس الحق لأنها أشرقت بالعلوم جميعها لكي ينير الإنسانية دربها .

٣٠ أنظر : إدوارد سعيد ، الاستشراق « المعرفة/ السلطة /الإنشاء «، ترجمة: كمال أبو ديب ،ط٤،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت ، ١٩٩٥م. ص:٢١٦

٣١ أنظر : محمود حمدي زقزوق ، الإسلام والاستشراق ،ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٤٠٤هـ

٣٢ عمر حميد مراد ،مظان المخطوط وكيفية الحصول عليه، محاضرة في الدورة التكوينية «تحقيق المخطوطات « ، ٢٠٢٠/٢٦:٠٧م الرابط: https://youtu.be/YcTq٣Kx٢krU

ومن المخطوطات الموجودة في المكتبة التي أنشأها «الأسقف ميلانو»

كتاب سبويه ولا يوجد نسخة أقدم منها وتتوزع المخطوطات ما بين مئة دولة بمجموعة فهارس وعددها ألفي فهرس ما بين مجلد صغير و ١٠ مجلدات .

و أغلب المكتبات أنشئت بجهد شخصي .لم يبقى للعرب إلاّ القليل من هذا التراث بسبب الحرق وبعضه مهمل في مكتبات الشرق وبعضه في الغرب .

حاولت أن أقدم هذا الدليل بناءا على الإحصاء الذي قدمه الدكتور «عمر حميد مراد »

دليل أماكن تواجد المخطوط

أسماء المكتبات التي يوجد بها المخطوط	البلد	العدد
مكتبة الأسد ، المكتبة الأحمدية، الكتبة الظاهرية ، مكتبة زين العابدين	دمشق ، حلب	١٤ ألف مخطوط ،جمعت بدار الكتب الظهرية بدمشق و الاوقاف في حلب
مكتبة دار الكتب المصرية	القاهرة ، مصر	بها ٧٠ ألف مخطوطا معظمها باللغة العربية
المكتبة الأزهرية	القاهرة ، مصر	٢٥ ألف مخطوط
مكتبة بلدية الإسكندرية	الاسكندرية ، مصر	٤ ألاف مخطوط
معهد المخطوطات العربية تابع لجامعة الدول العربية تأسس سنة ١٩٤٧م		٣٠ تصوير ألف مخطوط
المكتبة العباسية	البصرة	1500 مخطوط
مكتبة محمد أحمد الحامي	البصرة	تضم المخطوطات الفارسية
مكتبة آل القزويني أنشأها محمد الكاظمي القزويني (ت١٩٣٩)	البصرة	تضم ١٠٠ مخطوط
مكتبة الأوقاف العامة	بغداد	غير معروف
ـ المكتبة الخالدية : تضم المسجد الأقصى، متحف الآثار الفلسطيني ، مكتبة دار الخطيب بالقدس ، أبو سعود بالقدس .	القدس	غير معروف

المكتبات العامة : المكتبة السعدية «رضا علي خان « ـ المكتبات الخاصة : المكتبة الحديدية و الناصرية بحيدر آباد	الهند	أيضا كان للهند حظ وافر في هذا وضمت بعض من المخطوطات
مكتبة أحمد الثالث / مكتبة «آيا صوفيا «	اسطنبول ، تركيا	تكون بالمرتبة الأولى كونها تحمل الخلافة العثمانية
ـمركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية بالرياض	السعودية	وتحتوي على ٢٣ألف مخطوط معظمها مخطوطات أصلية .وتحتل المرتبة الخامسة
المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد سعود بالرياض	الرياض ، السعودية	20ألف مخطوط مصور
ـ المكتبة المركزية الملك سعود بالرياض	الرياض ، السعودية	20ألف مخطوط أكثر من نصفها أصلي و الباقي مصور .

مكتبة فاس و مكتبة خزانة الجامع الكبير في مكناس .	المملكة المغربية	وتضم ١١ألف مخطوط تحتل المرتبة السابعة
في دار الكتب الوطنية و أيضا توجد مكتبة الجامع الكبير بالقيروان .	تونس	25 ألف مخطوط
ـالمكتبة العامة في صنعاء	اليمن	5ألاف مخطوط
مكتبة طرابلس توجد و جامع الخرطوم وجامعة عمان بالأردن	عمان	بها ألفين مخطوط
بها المكتبة الربيطانية «شيستربيتي.	بريطانيا	2500 مخطوط عربي
توجد بها المكتبة الوطنية في باريس.	فرنسا	125 ألف مخطوط خمسها مخطوطات شرقية معظمها عربية
	اسبانيا	تضم عشرة ألاف مجلد من المخطوطات العربية
ا مكتبة الدولة في برلين	ألمانيا	تضم أكثر من عشرة ألاف مخطوط عربي

الخزانة الملكية وغيرها	هولندا
مكتبة الفاتيكان	إيطاليا

زاوية الهامل ، هناك مخطوطات بولاية أدرار الخزانة الزيانية القندوسية ببشار	بالجزائر

.معظم المخطوطات في بلاد الشام مجموعات محفوظة (دمشق وحلب) وخاصة المكتبة الظاهرية .

أيضا المكتبة الأحمدية بحلب .

كما احتوت مصر مكتباتها أيضا الكثير من المخطوطات إحدى العواصم الثقافية وكثرت خزائنها العامة و الخاصة ، تأتي في المرتبة الثالثة بين عشر الدول التي امتلكت المخطوطات.

نجد أن بغداد تطورت واهتمت بها مثل : المخطوطات الأدبية و التراجم والسير ، ومخطوطات في الطب و التشريح .

و اقع المخطوط

تبين أن المخطوطات موزعة في أقطار العالم ومنتشر في أربع قارات :

من المغرب حتي بكستان

من تركيا حتى الصومال

من أوروبا حتى أمريكا

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث دو ائر

بين الدائرة ٠١ و الدائرة ٠٢ لا يمكن الفصل بينهما وفتحوا المناطق شرقا و غربا ، و أصحت اللغة العربية لغة التدوين و العلم وعرف الوراقون وشاعت المدارس و دور العلم ، فمنهم الوراقة و النساخة والتي امتهنها الكثير من رواد العالم العربي و المسلمين و كان لهم دور في إزدهار المناطق التي دخلوها علما وثقافة .

١. الدائرة العربية

من الطبيعي أن نجد في أقطار العرب المختلفة مخطوطات مبثوثة العواصم و القرى و بيوت العلم و العلماء .

وهناك من يقول أن ليبيا و الجزائر تقل فيها المخطوطات حتى تبين أن المناطق النائية في الصحراء تحتوي على مخطوطات مصر تتصدر الأولى في اقتناء المخطوطات فالعراق يمتلك حوالي مئة ألف مخطوطا .

في المغرب الأقصى ما يزيد عن ثلاثين ألف مخطوط مثل الجامع الكبير في مكناس ودار الكتب العامرية

وسوريا احتوت على ١٤ ألف مخطوطا في المكتبة الظاهرية

وفي ختام هذه الدائرة مخطوطات فلسطين التي ما زالت تتعرض للتخريب .[٣٣]

٢الدائرة الإسلامية

نجد أن تركيا تتصدر بجدارة المكتبة السليمانية واسطنبول فيها ١٠بالمئة من المخطوط . إيران نحو ٢٠٠ألف مخطوط فيها ٣٥ مكتبة تحتوي على مخطوطات عربية الهند : معظم المخطوطات في المكتبات العامة وفي عام ١٩٨٤ وصلت إلى فهرسة موحدة . وكذلك جمهورية باكستان : فيها معاهد تهتم بالمخطوط يحتوي على ١٧ألف مخطوط جمهورية أذربيجان و أفغانستان في قارة آسيا وغيرها في أوروبا .[٣٤]

٣الدائرة الأجنبية

تنحصر المخطوطات في قارتي أوروبا و أمريكا مكانا وزمانا خلال ٤ قرونا الأخيرة أما الدائرة ٠١و ٠٢ الرب و المسلمون كانوا قد حافظوا على المخطوط حوالي

٣٣ عمر حميد مراد ،مظان المخطوط وكيفية الحصول عليه،

٣٤ عمر حميد مراد ،مظان المخطوط وكيفية الحصول عليه،

١٠قرون ، كانت حركة الاستشراف في ق١٦م موازية للنهضة الأوربية الحديثة واقترن ذلك عند الأوروبين رغبة في الإلتحاقة بالعرب و المسلمين و التفوق عليهم .

لما تحولت أوروبا في ق١٩م إلى قوة سياسية عسكرية كبرى ازداد عدد المستشرقون بالاهتمام بالمخطوط .

٢٠دولة أوروبية تقتني المخطوطات ، و الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة ٢١ التي اهتمت بدراسات العربية و الإسلامية وفي صدارة هذه البلدان «روسيا « و التي يقدر مكتباتها تضم ٤٠ألف مخطوطا ، وهناك من يقول ضعف هذا العدد

و أهمها معهد الدراسات الشرقية في مدينة بطرس .ومكتبة الهندي في لندن وفي فرنسا ٨٥٠٠ألاف مخطوطا معظمها في باريس في المكتبة الوطنية أما إيطاليا ٧ ألاف مخطوطا و أقدم نسخة لكتاب سبويه موجودة في باريس ألمانيا ١٤ ألف مخطوطا ، اسبانيا ٣ ألاف مخطوطا و النمسا ٤ ألاف مخطوطا و بلغاريا ما يزيد ٣ ألاف مخطوطا

أما الولايات المتحدة الأمريكية بها ١٣ ألف مخطوطا ومن مكتباتها المكتبة العامة في نيويورك .[٣٥]

العقبات التي تواجه الباحثين في تحقيق المخطوط

- انعدام المؤسسات العلمية .
- كثرة المخطوطات وصعوبة الباحث للوصول إليها .
- صد ممالك المخطوط للباحث .
- خلو المكتبات العامة من المخطوطات .
- عدم طبع الفهارس المنجزة .

التوصيات

١ ـ إقامة ندوات ومؤتمرات علمية .

٢ ـ دعوة مالك المخطوطات لتقديم العون للباحثين .

٣ ـ إقامة دورات تكوينية وفتح ورشات تتعلق بخدمة المخطوط .

٤ ـ إعادة تجميع الفهارس .

٣٥ عمر حميد مراد ،مظان المخطوط وكيفية الحصول عليه،

٥ ـ إتاحة المخطوطات للباحثين و الدارسين من مختلف أقطار العالم المجال لتحقيق المخطوطات ونشرها على أوسع نطاق .

٦ ـ رقمنة المخطوطات الكترونيا و الحرص على إنشاء مكتبات إلكترونية

٧ ـ العمل على تكثيف مراكز ومخابر تهتم بتحقيق المخطوط

ـ الدفع بالطلبة على تحقيق المخطوطات التي لم تحقق بعد .

ـ أن التراث الذي تركه أجدادنا وكبار العلماء ،تراث هائل لابد أن يكون هناك متخصصون لتحقيقه .

مثال عن بعض المحقيقن المتخصصين ، أن الدكتور عبد العظيم ديب الذي حقق تراث الجويني ، أخرج كتابه البرهان وحقق كتابه المُذْهب ،أي أنه صار مطلع على تراث الجويني .

بعض الكتب التي يجب المطالعة عليها لمعرفة ضخامة التراث :

عنوان الكتاب	مؤلفه
فهرست	ابن نديم ت(٤٣٢هـ)
كشف الظنون و الفنون عن الكتب «	حاجي خليفة
ومعجم مطبوعات العربية و المعربة «	يوسف ذبيان»
كتاب خزائن الكتب العربية «	فيليب تيرازي ت ١٣٧٥هـ

كتاب تاريخ الادب العربي	كارل بروكلمان
تاريخ التراث العربي	فؤاد سركين
نقد النص لأصول نقد النصوص ونشر الكتب	« المستشرق الألماني بول ماس صدر سنة 1927م للمستشرق الألماني "برجستراسر

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	غوستاف فلوجل
الوافي بالوفيات	هيلموت ريتر
تاريخ الشعوب الإسلامية	كارل بروكلمان
محمود حمدي زقزوق	الإسلام والاستشراق
الإستشراق	إدوارد سعيد

خاتمة

ومما سبق يتضح لنا :

- ـ المخطوط يشكل جزء مهم في التراث العربي .
- ـ أن المخطوط الإسلامي يعبر عن صورة حضارية مشرقة لأمة استطاعت على مر الزمان أن تؤسس تاريخها من أجل أن تضع بصمتها ، في أرقى الحضارات الإنسانية وبهذا نجد أنها تعدت ذلك إلى مظاهر إبداعية
- ـ إن المخطوطات هي رُوح الأمة الحافظة لهويتها وأصالتها، ولهذا فالاهتمام بها هو اهتمام بالذات والحضارة بما يمثله من خزان ثري .
- ـ رغم توفر المخطوط في بعض الفنون أو عدم توفرها ، يبقى رصيد المخطوطات الإسلامية مصدرا ثمينا لا غنى عنه .
- ـ المخطوط الإسلامي لا ينحصر في العالم الإسلامي فحسب ، بل يمتد نفعه إلى خارجه عبر انفتاحه على العديد من الثقافات .
- ـ المخطوطات العربية تحتوى على الكثير من المعارف ولاسيما الحضارة المصرية القديمة .
- ـ لابد من الاهتمام بالمخطوطات العربية الإسلامية وخدمتها ، بغية نشرها على نطاق أوسع .

المصادروالمراجع

- النشار السيد السيد ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية ، ١٩٩٧م .
- الحلوجي عبد الستار ، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٤م
- . الزمخشري ، أساس البلاغة ،تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط٢،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م
- أحمد شحلان ، المخطوط العبري من صور المعارف اليهودية الوسطية في المخطوط العربي وعلم المخطوطات ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٩٤م
- ـ أحمد شوقي بنين ، دراسات في علم المخطوط و البحث البيبلوغرافي ،ط١ ، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
- أحمد شوقي بنيين ، المخطوط العربي وعلم المخطوطات ، كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٩٤م
- حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ،ط٨ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

- ـ إبراهيم عامر قنديلجي ، ربحي مصطفى عليان ، مصادر المعلومات من عصر المعلومات إلى عصر الأنترنيت ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، عمان. ٢٠٠٠م.
- **ـ إدوارد سعيد ، الاستشراق " المعرفة/ السلطة /الإنشاء "، ترجمة: كمال أبو ديب ،ط٤،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت ، ١٩٩٥م**
- ـ سامي نوار، فن صناعة المخطوط الفارسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م
- ـ صلاح الدين المنجد ،قواعد تحقيق المخطوطات ،دار الكتب الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٠م
- ـ فضيل جميل كليب ، فؤاد محمد خليل عبيد ، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا ، دار جرير ، عمان ، ٢٠٠٦م
- ـ محمد بن شريفة ،حول ترميم المخطوطات في المغرب ط ١،صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥م.
- **ـ محمود حمدي زقزوق ، الإسلام والاستشراق ،ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٤٠٤هـ**
- يوسف المرعشلي ، تحقيق المخطوطات ،ط٢ ، دار البشائر الإسلامية ،بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م

الدوريات

- ـ عابد سليمان المشوخي ، نسخ المخطوطات ، مجلة عالم الكتب ، مجلد١٥،العدد٣،. مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٤م
- ـ محمد قاسم المتوكل ، أسس و قواعد تحقيق المخطوطات ،جريدة سبتمبر، العدد٢٨،١٦٤٦يونيو،٢٠١٢م
- ـ مجبل لازم المالكي ، دراسة تحليلية "تحقيق المخطوطات اليمنية و نشرها " ، مجلة الإكليل صادرة عن وزارة الثقافة ، العدد ٢٩و٣٠، ،٢٠٠٦
- مولاي امحمد،المخطوطات العربية الإسلامية الجزائرية في ضوء علم المخطوطات (الكوديكولوجيا) دراسة تحليلية في تراب بأدرار ومنطقة منداس بغليزان " ،مجلة الحضارة الإسلامية ،المجاد١٥ ، العدد٢٢،

الدورة التكوينية

- حسن أحمد العثمان ، التحقيق العلمي (مفهومه وقضاياه، (جامعة أم القرى-مكة المكرمة) في الدورة التكوينية «تحيق المخطوطات» بمركز البحث و العلوم والحضارة الإسلامية بالأغواط/ الجزائر، ٢٠٢٠/٠٧/٢٧م الرابط: https://youtu.be/KrfYFPePm6E
- ـ عبد الكريم عوفي ثقافة المفهرس والمحقق/الأستاذ الدكتور: (عضو الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي - جامعة الدول العربية)، محاضر في الدورة التكوينية «تحقيق المخطوطات» بمركز البحث والعلوم والحضارة الإسلامية بالأغواط / الجزائر / ٢٠٢٠/٠٧/٢٨م

الرابط: https://youtu.be/PsuSkV25ekg

- عمر حميد مراد ،مظان المخطوط وكيفية الحصول عليه، محاضرة في الدورة التكوينية «تحقيق المخطوطات « مركز البحث و العلوم و الحضارة الإسلامية بالأغواط : الجزائر ، ٢٠٢٠/٢٦:٠٧م الرابط: https://youtu.be/YcTq3Kx2krU.
- . ماحي قندوز الندرومي ، مفهوم التراث (المخطوط وقيمته الحضارية) - جامعة تلمسان (الجزائر)،محاضرة في دورة تكوينية بعنوان "تحقيق المخطوطات " ، الجزائر ، يوم : ٢٠٢٠/٢٥:٠٧ https://www.youtube.com/channel/UC0sDuuFC8BtDcMh6KEIivEg

مو اقع الإنترنيت

ـ د.عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، المستشرقون وخدمة التراث العربي، مقال موجود بشبكة الألوكة ،سنة٢٠١٧، أطلع على الرابط :يوم ٢٠٢٠/٠٩/٠٤، http://www.m-a-arabia.com/vb/ showthread.php?p=٤٢٢٤٨

التعلـــيم عـــن بـــعـد إيجابياته وسلبياته

مريم حسين السادة
باحثة دكتوراه- جامعة محمد الخامس- مملكة المغرب

المقدمة

كشفت أزمة كورونا دور التعليم عن بعد؛ حيث في ظل الظروف الراهنة تبين أهمية التكنولوجيا وضرورة توظيف الأجهزة الإلكترونية في خدمتها في الوقت الذي اضطرت فيه الحكومات أن تلزم كل شخص في منزله وتتوقف الأعمال وتتعطل الدراسة حفاظاً على صحة الشعوب؛ فعاشت المؤسسات التعليمية في ظل هذه الظروف في تحدي كبير لا سيما المؤسسات التعليمية التي يقل فيها الاهتمام بالتعليم الإلكتروني وتعاني من قصور في الخبرة وتهيئة الظروف؛ فحاولت بذلك معالجة الموضوع وكيفية استمرار التعليم وعدم الانقطاع عنه، وفق بيئة تعليمية تساعد المعلم والطالب في إنجاح العملية التعليمية وذلك من خلال الخضوع إلى التعليم عن بعد، ومن مبدأ أن لكل شيء إيجابياته وسلبياته فيعتبر التعليم عن بعد أيضاً من تلك الأمور التي لها إيجابياتها وسلبياتها والتي سنتطرق إليها في هذه الدراسة.

المحور الأول: تعريف التعليم عن بعد

«مصطلح التعليم عن بعد قد حقق عموما شهرة واسعة؛ خاصة بداية أواخر الستينيات من القرن العشرين عندما بدأت اليونسكو في الاهتمام بتبني صيغ جديدة

في ميدان تعليم الكبار والتربية المستمرة[1]». "وتعريف التعليم عن بعد يلاقي الخلاف بين الباحثين في تحديده مثله مثل أي مفهوم آخر في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، فلا يوجد اتفاق حول تعريف واحد ومحدد لمفهومه[2]».

ومن وجهة نظرنا ممكن تعريف التعليم عن بعد أنه: مجموعة من الأنظمة الحديثة التي تعتمد على وسائل الاتصال الإلكترونية والتي تستعين إليها المؤسسات التعليمية عندما يكون هناك عائق يحول بين الطالب ومدرسته سواء كان العائق صحياً كأزمة كورونا والوضع الراهن، أم سياسياً كالحروب والمنازعات. ويساعد التعليم الإلكتروني على تعزيز التعلم الذاتي لدى الطالب ويلقي على عاتقه المسؤولية الأكبر تجاه نفسه ومحاولة تطويرها وإكسابها الخبرات الإلكترونية التي تعتبر مهمة في عصرنا الراهن والتي يجب أن تكون محور اهتمام كل فرد.

«وإذا كان عصرنا الراهن هو عصر المعلومات فإن التعليم عن بعد بما يحققه من إتاحة المعلومات وفرص التدريب لكل من يتطلع إليهما دون التقيد بزمان أو مكان يخلق من مواطن هذا العصر المواطن الفعال القادر على صقل مهاراته وتنمية قدرته المعرفية على نحو متواصل، ولقد أصبح بالإمكان أن يتفاعل الطالب والمعلم عن طريق ما يسمى بمؤتمرات الوسائط المتعددة تفاعلاً إيجابياً يحقق للطالب الفهم التام ويحقق للمعلم وعياً باحتياجات الطلاب ونقاط الضعف والقوة والتقييم المستمر لمستواهم العلمي بما يضمن توجيههم التوجيه الذي يحقق الهدف من العملية التعليمية بأعلى كفاءة ممكنة[3]".

المحور الثاني: إيجابيات وسلبيات التعليم عن بعد

نبدأ بالإيجابيات لأن مما لا شك فيه أن للتعليم عن بعد الدور البارز خصوصاً في ظل الظروف الراهنة التي أدت إلى انقطاع تعليم الطالب بشكل منتظم، والتي تحتاجها المؤسسات التعليمية من أجل استكمال العملية الدراسية وعدم انقطاعها أبداً مهما كانت الظروف.

1 (1) Shery, L., Issues in Distance Learning, International Journal of EducationalTelecommunications, 1(2001): 337-365.

2 (2) MA. W. Tony Bates, Routledge Flamer Studies in Distance Education Series,(London:RoutledgeFalmer Softcover, 2005), 246.

٣ سوهام، بادي، سياسيات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم-ماجستير(الجزائر: جامعة منتوري،٢٠٠٤م)، ص٥٧.

أولاً: إيجابيات التعليم عن بعد.

- مرونة عملية التعليم، وسهولة التواصل بين الطالب ومعلمه في أوقات مختلفة.
- توفير جهد المعلم وأيضاً وقته الذي قد يهدر أثناء إعداده للوحات والوسائل التعليمية الورقية.
- تيسير العملية التعليمية وتبادل المعلومات وحتى الخبرات بين الطلاب.
- القدرة على إعادة مشاهدة الدرس في أي وقت، وذلك من خلال تخزين المادة التعليمية.
- تعزيز مهارات الطالب في تنظيم وقته وجهده .
- إكساب الطالب الخبرة حول التكنولوجيا الحديثة.
- اعتماد الطالب على نفسه مما يكسبه تحمل المسؤولية؛ وهذا لا شك يدفعه إلى البحث والاستكشاف من أجل تطوير ذاته.
- زيادة الوعي والاهتمام بالتقنيات الرقمية الحديثة.
- السهولة واليسر في تلقي المعلومات دون الحاجة إلى مواصلات.
- زيادة فرص الإبداع والابتكار، وزيادة في الوعي حول المهارات التكنولوجية.
- زيادة في عدد الطلاب دون الحاجة لزيادة في المنشآت من أجل استيعاب العدد الكبير في الفصل.
- زيادة إحساس الطالب المسؤولية الفردية؛ مما يؤدي إلى إكساب الطالب الأخلاق العالية من أمانة وصدق وصبر وغيرها من القيم الأخلاقية العالية.
- اكتساب الطالب سرعة البديهة وسرعة حل المشكلات من خلال الرجوع إلى المصادر المختلفة التي تنمي القدرات الفكرية لديه.

ثانياً: سلبيات التعليم عن بعد

- صعوبة توفير أجهزة الحاسوب لكل فرد وصعوبة صيانتها.
- قصور في الوعي المجتمعي حول التعليم الإلكتروني.
- صعوبة استيعاب الطالب ودافعيته باستخدام الأجهزة الإلكترونية في التعليم واقتصاره على التسلية من ألعاب وأفلام وغيرها.
- ضعف قدرة بعض المعلمين في استخدام التقنية الإلكترونية باحترافية.
- ضعف الجانب التعاوني بين الطلبة الذي يكون في القاعة الصفية من تفاعل وحماس

وتنافس.

- التركيز على ظاهر الأمور من مرئيات وتنظيمات إلكترونية، وإغفال الغرض الرئيسي من التعليم وهو إيصال المعلومة على أكمل وجه باستخدام الأمثلة التطبيقية.
- الاعتماد الكلي على الطالب، وعدم إشراكه المعلومة مع أقرانه من نفس المستوى العقلي، بعيداً عن نظام المجموعات الصفية التي يشعر الطالب فيها بإشباع حاجته الفكرية والمهارية.
- تعود الطلاب وحتى المعلمين على المحاضرات التقليدية؛ مما يعيقهم في استمرار عملية التعليم عن بعد.
- قد يواجه البعض ضغوط نفسية في البيئة المنزلية وعدم توفير مكان مناسب لتلقي العلم.
- صعوبة سيطرة الآباء على بعض أبنائهم أثناء العملية التعليمية المباشرة.
- زيادة المسؤولية على عاتق الآباء.
- ضمان وجود شبكة إنترنت قوية أثناء العملية التعليمية.
- مواجهة الطلاب لبعض الصعوبات التي قد تعيق العملية التعليمية.

خاتمة

في هذا المقال تم إبراز أهم إيجابيات وسلبيات التعليم عن بعد، ونرى أن نقدم بعض التوصيات:

- وضع خطط واستراتيجيات تعزز دور التعليم عن بعد.
- الاهتمام بالمعلمين وتدريبهم على البرامج ووسائل التعليم عن بعد ومحاولة إكسابهم المهارات التعليمية والتدريس الإلكتروني الفعال، وتوضيح خصائص التعليم عن بعد وأهدافه والغرض منه.
- توفير منصات إلكترونية سهلة ميسرة تناسب قدرات وإمكانيات الجميع.
- تدريب أكبر عدد ممكن من شرائح المجتمع المختلفة حول البرامج والتقنيات الرقمية.
- زيادة الاهتمام ببرامج التعليم عن بعد، ومحاولة تطويرها باستمرار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

- سوهام، بادي، سياسيات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم-ماجستير(الجزائر: جامعة منتوري،٢٠٠٤م).
- المراجع الأجنبية:
- Shery, L., Issues in Distance Learning, International Journal of Educational Telecommunications, ١(٢٠٠١).
- MA. W. Tony Bates, Routledge Flamer Studies in Distance Education Series,(London:RoutledgeFalmer Softcover, ٢٠٠٥).

كيرالا في رحلات العرب الحديثة: دراسة تحليلية عن «الاعتبار في السفر إلى مليبار» لمحمد بن ناصر العبودي

عبد اللطيف. وي
باحث الدكتوراه، في قسم الماجستير والبحوث في كلية تونجان الحكومية، تيرور، كيرالا، الهند

الشيخ محمد بن ناصر العبودي: حياته و آثاره

الشيخ محمد بن ناصر العبودي من أبرز الرحالة العرب في عصر الحديث في العالم. اشتهر بلقبه عميد الرحالين. ولد في أسرة مشهورة بالأدب والعلم التي تعرف بالعُبود في أسرة آل سالم في بريدة من القصيم في المنطقة المتوسطة في المملكة العربية السعودية في اليوم الأخير من شهر ربيع الآخر عام ١٣٤٥ للهجرة. فقد بدأ دراسته من سنه المبكر. حفظ القرآن الكريم كعادة أطفال العرب. ولما افتتحت مدرسة جديدة حكومية ببريدة سنة ١٣٥٧هـ انتقل العبودي إلى هذه المدرسة التي كانت أول مدرسة في تلك المنطقة، وقرأ الكتب الإسلامية والأدب العربي على العلماء المرموقين[١].

وفي سنة ١٣٦٣هـ عين الشيخ العبودي مدرسا في نفس المدرسة في بريدة، ثم ترك الوظيفة واستمرت حياته في طلب العلم، ثم رجع إلى الوظيفة مدرسا في المدرسة وعين في منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في ١٣٨٠هـ. ثم أصبح وكيلا للجامعة، وفي خلال تلك الأيام اختير أمينا عاما للدعوة الإسلامية وأمينا عاما للهيئة

١ ١٤٣٧هـ. ص:٧-١٢.

العليا. وبعد تسع سنوات شغل منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي. واستمر في هذه الوظيفة حتى تقاعد منها سنة ١٤٣٣هـ[٢]. وكان هذا حظا عظيما في حياته والذي جعله مشهورا في أدب الرحلة. وكان من أهم أهداف الرحلة الإطلاع على أحوال المسلمين في العالم "ولقد قررت حكومة الملك فهد والسفارة السعودية بإرسال وفد إلى بلدان غير عربية لكي تطلع المملكة على أحوال المسلمين الاجتماعية والدينية فيها. فعلى رأس هذا الوفد، قام الشيخ محمد بن ناصر العبودي برحلاته إلى معظم أنحاء العالم"[٣].

وقد أُتيح للعبودي السفر عدة مرات من عالَم إلى عالم آخر، واتصل بشخصيات مختلفة وشعوب شتى، لا شك أن رحلاته وتجاربه ساعدته على الكتابة وتدوين الكتب في مختلف الفنون. ولم يزل الشيخ في الكتابة حيث أصبح شخصا موهوبا في مهارة الكتابة الأدبية في تاريخ المملكة، كما لمع في المحاضرات، وشارك أيضا في المؤتمرات والندوات الدولية التي عقدت جامعات مختلفة في العالم العربي. وشارك في عدة مناقشات مع الأمراء والحكام في البلدان المنتشرة في القارات السبعة. وحاز العبودي على جوائز كثيرة مثل جائزة وزارة الثقافة بالمملكة. وأخيرا عقدت جامعة القاهرة مؤتمرا خاصا عن إنجازاته في أدب الرحلة وفي إعداد المعاجم حيث قام كثير من الباحثين في الجامعات الخارجية بتقديم الورقة عن أدبه في الرحلة. ولا يزال يجري البحث عنه في الجامعات الهندية أيضا.

آثاره الخالدة:

ولقد استطاع العبودي خلال مسؤولياته الوظيفية المتراكمة أن يصدر كتبا كثيرة في فن المعاجم وفي أدب الرحلة وفي الإسلاميات، وساهم مساهمة كبيرة في فن أدب الرحلات، وترك لنا ثروة طائلة قيمة في تراثنا الأدبي العربي، وبلغ عدد كتبه أكثر من مائة وخمسين كتابا في أدب الرحلات بين المخطوطات والمطبوعات[٤]. كما كتب مقالات كثيرة في عدة مجلات. لها دورعظيم في تطويرأدب الرحلة.

تنقسم كتبه إلى ثلاثة أقسام وهي:

ا- المعاجم

٢ المرجع نفسه، ص:١٢.

٣ الدكتورعبد الوهاب. ك، «دراسات نقدية عن رحلات محمد بن ناصر العبودي»، الإبداعات العربية في كيرالا الماضي والمحاضر(مجموعة المقالات)، جامعة الهند الإسلامية ، ٢٠١٧ م، ص:٢٨٥.

٤ العويد، عبد العزيزبن سعود، لطائف من رحلات الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي، ط١. رياض: دار الثلوثية للنشر، ٢٠١٤ ، ص:٢٢ .

ب- أدب الرحلة

ج- إسلاميات: في الدعوة وفي أخبار الرجال وكتب في مختلف الأفكار.

ألف مؤلفات عديدة في فن أدب الرحلة. حتى وصف بلادنا الهند في سبعة عشر كتابا ومن بعض الكتب المطبوعة عن وصف الهند نفسها هي :

١ - سياحة في كشمير (وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم)

٢- في غرب الهند

٣- نظرات في شمال الهند- الجزء الأول

٤- نظرات في شمال الهند- الجزء الثاني

٥- في أقصى شرق الهند

٦- في وسط الهند

٧- راجستان بلاد الملوك

٨- الاعتبار في السفر إلى مليبار

٩ - الشمال الغربي من الهند

١٠- في شرق النهد

١١- بلاد الهند والسند: باكستان

١٢-على أعتاب الهماليا

١٣- في جنوب الهند: رحلات في ولايات تملنادو وكرناتك

١٤- جول في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي

١٥- في شمال شرق آسيا

١٦- الشمال الشرقي من الهند

١٧- سياحة فى كشمير الصادرعن رابطة العالم الإسلامى٥.

دراسة تحليلية عن كتاب "الاعتبارفي السفرإلى مليبار»

يعتبر كتاب «الاعتبار في السفر إلى مليبار»من أبرز رحلات محمد بن ناصر العبودي

٥ الدكتور محمد المشوح. دراسات ومقالات عن معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ط١. الرياض: دار الثلوثية للنشر، ٢٠١٣ م، ص:٢٣.

الهندية، ويشتمل هذا الكتاب على١٦٤ صفحة. وهذا تصوير صادق وتعبيررائع عن أحوال كيرلا(بلاد المليبار) وحضارتها بعد منتصف القرن العشرين. يتناول هذا الكتاب تجاربه أثناء تجوله في جنوب الهند في أواخرالقرن العشرين. وفيه تفاصيل عن رحلتيه إلى كيرلا.

أسلوب الكتاب

يتناول العبودي هذا الكتاب في أسلوب التقرير والبيان الرّائع بلغة سهلة جيّدة، لا بأسلوب الجمال الأدبي والخيال العميق. ويسرد لنا بعض عجائب الأمور عن أهل مليبار لم يسمعها من قبل في كتب الرحلات ويلاحظ الأمورفي الرحلة برؤية دينية. ولا يترك شيئا في سرده وتصويره مما يشاهده في رحلته من مناظر طبيعة كيرالا وطقسها وسكانها ومعاملة الناس وغيرها إلا صورها تصويرا خالصا و صادقا.

صورة كيرالا في الكتاب

يصف الكاتب في هذا الكتاب الأماكن والمراكز التي زارها أثناء رحلتيه إلى مليبار. ويخط فيه طبيعة كيرالا الجذابة وحضارتها وسكانها وعاداتها وتقاليدها وأحوال المسلمين اجتماعية ودينية. ويتحدث عن علاقات المسلمين مع الهندوكيين في شأن عظيم، ويعجب من ممارسة المسلمين وتجاربهم في اللغة العربية وتداولها في حياتهم اليومية وتطورهم في الأدب العربي. ويعرّف في كتابه علماء العربية في كيرالا وأدباءها. ويقدم فيها إنتاجاتهم المختارة في الشعر العربي. وفي كتابه هذا يقارن كيرالا بالبلاد العربية ويقدم أمام العرب المشاكل التي تواجهها الأمة المسلمة في كيرالا. وفي الجزء الثاني يشاطر الكاتب تجاربه أثناء رحلته الثانية إلى مليبار.وفي بداية الكتاب يرسم لنا صورة موجزة عن أحوال كيرالا الجغرافية وعدد المسلمين ونسبتهم بين سكانها. يجدهم أغلبية في الجهة الشمالية لساحل مليبار. زارالكاتب هذه الأماكن مباشرًا ليعرف أحوالهم وصوّرها في هذا الكتاب تصويرا دقيقا. يعرّف الكاتب كيرالا على أنها ولاية تقوم في مكانة الخامسة في ولايات الهند من ناحية عدد المسلمين. يأتي الشيخ العبودي في الكتاب بملاحظات المؤرخين القدماء وأراءهم حول تسمية كيرالا حيث يتكلم عنها مع الدلائل أنه كان من كلمة»خير الله»[٦] بما فيها من كثرة الخير ونعم الله تعالى لهذا البلد الطيب. وأضيف فيها أبيات للشاعر الشيخ أحمد بن كونجي أحمد المليباري- عالم اللغة العربية والشاعر المشهور في مليبار.

٦ العبودي، محمد بن ناصر، الإعتبار في السفر إلى مليبار، ص:١٩.

"سمّاك من سمّاك(خيرالله)إذ لا خيرإلاّ وهو فيك تكحّلا
لكن بتحريفات من نطقوابه من بعد صار لدى التلفط(كيرالا)"[٧]

دخول الإسلام إلى كيرالا

يقدم العبودي ملاحظتين عن دخول الإسلام إلى كيرالا، الأولى الأخبار الشفهية التي يتناقل جيلا بعد جيل وذلك أنّ دخول الإسلام قد حدث في عهد الملك «جيرمان برمال»، كان أول من أسلم من أهل مليبار، ولكن هذه القصة عن دخول الإسلام لم يؤرخ تاريخاً رسميا محددًا، والثانية هي المعروفة المؤكدة لدى المؤرخين وذلك أن الإسلام دخل إلى مليبارعن طريق التجاروالدعاة[٨]. يذكر الكاتب في الكتاب أقوال المحدث والعالم الكبير الهندي السيد سليمان الندوي عن دخول الإسلام إلى بلاد الهند ويقول»ولما شملت الفتوحات الإسلامية معظم البلاد في قارتي آسيا وإفريقيا فكر العرب أول مرة في أمرالهند»[٩].

يأتي الكاتب في هذا الكتاب بتصوير ابن بطوطة رحالة العرب عن تجاربه في رحلته إلى مليبار والأماكن التي زارها في مليبار. وذلك ليعرّف القراء عن أحوال كيرالا القديمة في أوائل القرن الرابع عشر الميلادية ويقارن العبودي أسماء هذه الأماكن التي ذكرها ابن بطوطة في كتابه الرحلة.

طبيعة كيرالا

يصوّرالعبودي بلد مليبار تصويرا جذابا ويصف كيرلا وطبيعتها الممتازة عند ما يقدم إليها بالقطار، يقول عنها «أشجار النارجيل رافعة رؤوسها كأنها أغراس الخيال»[١٠]، ويرى جوها معتدلا ويصف مناظر ساحل كيرالا عندما يسكن في الفنادق في كاليكوت ومدينة كوشن. ويتمتع بالطبيعة أثناء تجوله بالسيارة إلى الأماكن المختلفة، وصور في كتابه مناظر أشجار النارجيل والخضرة المتواصلة. ويصف مزارع القهوة والهيل والشاي الخضراء تقع بجانب الشوارع حينما وصل في مقاطعة ويناد، يقول عنها إنه تناول القهوة والهيل معا في بلده في الأطعمة ولكن هذه هي أول مرة يراها مباشرة في المزرعة. ويعبر عجبه

٧ المرجع نفسه، ص:٢٠.
٨ المرجع نفسه، ص:٢١.
٩ المرجع نفسه، ص:٢١.
١٠ المرجع نفسه، ص٢١:.

عندما يرى المزارع الخضراء[١١] في كيرالا . ويسرد عن مدينة كوشن أن فيها كثرة الأمطار ووفرة المياه وكثرة الزراعة في أرضها. ويصف نهر بهارتا على أنه واسع المجرى ضحل المياه يصل في البحر الذي هو بحر العرب، و هذا النهر مقدس للهنادكة، يحرقون موتاهم ويرمون رمادها في مياهها ويعتقدون أن الاغتسال فيها يطهر الذنوب .

عندما كان الكاتب في مليبار شاهد الغيث المدرار ويسرد عنها «ونحن في مليبار في موسم غير موسم الأمطاروهذا المطر الذي انهمر هذه الليلة لو نزل في بلدنا نصفه لعدّه الناس تاريخاً»[١٢] ويصف كيرالا أنها بلد فيها كثيرة السيول والأمطار بنعم الله تعالى.

سكان كيرالا

يقارن الكاتب أهل كيرالا مع بقية سكانها من شمال الهند ويقول إنّ معظم السكان في مليبار ينتسبون إلى الجنس الهندي الجنوبي أكثرهم الدرافديون، وهم يختلفون عن أهل شمال الهند. واللون الغالب على سكان مليبار هو السمرة القاتمة تخالطها صفرة خفيفة وأجسامهم حسنة التركيب. البدانة المفرطة والنحافة المتطرفة لا يوجدان هنا كما يوجد في شمال الهند، وغالبهم اعتدال الجسم. ويلاحظ الكاتب أن بعض المسلمين يتميزون عن بقية السكان بأنهم أكثر بياضاً لأن بعضهم من أصل عربي جاء إلى هذه البلاد منذ عصور قديمة. ويصف النساء - أمّا النساء من تلك البلاد يتميّزن بالشعور الطويلة. قال بعضهم عنه إنها بسبب استخدام زيت النارجيل في الإدّهان[١٣]. أغلبية سكان كيرلا هم «الهنادك»[١٤] الذين يعظمون البقرة ويقدسونها ويلاحظ الكاتب بعجب أن الهندوكيين يهينون الثورالذي هو ابن البقرة- أبوها وأخوها. ولكن الأمر المهم في هذه الولاية أنهم لا يمنعون ذبح البقرة بل يتركون للمسلمين والمسيحيين أن يذبحوها ويبيعوا لحمها، وليس هناك اضطرابات طائفية بسبب البقر كما تجري في سائر الولايات الهندية.

كيرالا أرض البهار

يعبر الكاتب بعض امتيازات كيرالا ويقول عنها "عرف أسلافنا العرب بلاد المليبار بأنها بلاد الأفاوية والبهار"[١٥]. الفلفل له مكانة عالية من الأفاهية التي توجد في مليبار

١١ المرجع نفسه، ص:٨٥.

١٢ المرجع نفسه، ص:٨٠.

١٣ المرجع نفسه، ص:٧٨.

١٤ الهنادك يعني الهندوس.

١٥ العبودي ،محمد بن ناصر، الاعتبار في السفر إلى مليبار. ص:٣١.

ويقتبس من كتاب معجم البلدان للياقوت «إنها أرض الفلفل»[١٦] وكلمة فلفل استخدامها شائعة في تأليفات العرب. ويؤكد الكاتب أن أسماء كثير من الأفاوية والبهارات التي تعرفها في العربية مأخوذة من اللغة السنسكريتية التي هي الهندية القديمة مثل كلمة الفلفل والزنجبيل والصندل والمسك والقرنفل والزهرة والكافور والأرز مأخوذة مع التغيرات من لغات جنوب الهند ويضيف إليها بعض أسماء الحيوانات والفواكه مثل الفيل والنارنج وغيرها. ويصور الكاتب القهوة والهيل الشاي عندما يسافر إلى بنقلور بواسطة السيارة. هدفا للحصول على هذه البهارات والثروات غزا الأوربيون الهند ولكن العرب كانوا يستوردونها من جنوب الهند وخاصة الفلفل الأسود والهيل.

يصف العبودي عن أطعمة كيرالا عندما تناول الطعام من بيت الدكتور عبد الغفور، وكان الطعام يتألف من الأرز المطبوخ أنه مليئ بالبهارات والزيت. ويتكلم عن الخبز الهندي المسمى (نان) وهوخبزصغير يطبخ بالسمن، ويرى حليب النارجيل يشبه اللبن[١٧]. ويذكر أنّ أهل كيرالا يكثر الفلفل والبهار في الأطعمة.

كيرالا بلاد اللغة العربية

يعبر الكاتب العبودي أمرا عجيبا أن ولاية كيرالا تكاد تعتبر بلاد اللغة العربية في الهند، وعدد من يعرف اللغة العربية في كيرالا أكثر من أية ولاية هندية أخرى. إن الذين يعملون في دول الخليج العربية من أهل كيرالا نسبتهم تفوق من أية مناطق هندية. وجدير بالذكر أن حكومة كيرالا مع أنها حكومة علمانية والقائمين عليها ليسوا بأكثريتهم من المسلمين تعتبر اللغة العربية كلغة ثانية في مدارسها العامة. وظفت الحكومة مزيدا من عشرة آلاف مدرساً عربيا في المدارس العامة في كيرالا. ويقول أن هذه الأمور تعجب من يزور كيرلا من بلاد العرب ، لأن نسبة عدد مدرسي العربية في كيرلا ثقيلة غير مألوفة لأبصاره وأسماعه. وأهل العرب يعجب بكثرة ما يجده في مليبار من المدارس والمعاهد وديار الأيتام التي تدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. ويشاطر الكاتب معنا في الكتاب أنه قابل عددا من المتبحرين باللغة العربية من أبناء هذا البلاد أثناء تجوله في مليبار. وفيهم الزعماء والأدباء والشعراء. وقابل أحمد علي المدني أحد رؤساء اتحاد معلمي العربية بولاية كيرالا، تصدر هذه المنظمة مجلة عربية «البشرى». يتحدث الكاتب عن علماء كيرالا

١٦ المرجع نفسه ،ص:٣١.

١٧ المرجع نفسه ،ص:٦٦.

المتبحرين بالعربية أنهم يحفظون الأشعار العربية ويتتبعون المؤلفات التي تنشر فيها أكثر مما يفعله العرب، ولذالك يطارحوننا تلك الأشعار ويذاكروننا في كتب التراث العربي»،[١٨]. ويدهش الكاتب أن فيهم شعراء بالعربية وصل بعضهم في إجادة نظم الشعر على مستوى الشعراء العرب وطرقوا أبوابا عديدة من أبواب الشعر وأغراضه المتنوعة. وجد الكاتب ديوانا مطبوعا فيه بعض القصائد العربية الفصيحة للأديب أحمد بن كونجي من أهل مليبار، ويقتبس في الكتاب كثيرا من الأشعار التي ألفت في مختلف البحور والأغراض والمناسبات- في المرثية والمدح والوصف وغيرها لشعراء كيرلا.

تأثير اللغة العربية في لغة مليالم

يذكر العبودي أن العلاقات بين أهل كيرالاوتجارالعرب كانت وثيقة منذ قديم الزمان، وعند إنتشار نورالإسلام في آفاق كيرالا صيرت هذه الصلات دينية وثقافية واقتصادية. وكان الاحتكاك بين الشعبين مباشرا، لأنّ التجار ودعاة الدين خرجوا من بلادهم العربية يقصدون كيرالا لاغير، ما كان هناك شيء يحول بينهم. وكانت هذه العلاقات مباشرة، ونتيجة عن هذا أنّ اللغة العربية وتراثها الثقافي لامست كيرالا ملامسة صريحة، وهكذا انتشرت اللغة العربية وثقافتها في أرض كيرالا. وهذه العوامل التالية أدت إلى انتشار اللغة في لغة مليبار.

١) إن اللغة العربية التي كانت لغة التجار العرب لعبت دورا هاماً في كلّ المعاملات المالية، وبهذا الطريق أثرت اللغة العربية في حياة كيرالا تأثيرا عميقاً.

٢) واللغة العربية بسبب كونها لغة أمة مسلمة أثرت أيضا في حياة الأمم الأخرى في كيرالا.

٣) كان المسلمون في كيرالا يهتمون بنشر العلوم الدينية اهتماماً شديدا، ولتحقيق هذه الغاية عقدوا المجالس الدينية والمواعظ في المساجد وغيرها ،هذه الخطوات ساعدت في نشر اللغة العربية.

٤) كان هناك الكثير من الأسر العربية حلت بمواضيع مختلفة بساحل كيرالا، واستوطنت هذه الأرض واختارتها مواطن لها وساعد ذلك اللغة العربية على أن تتوغل إلى حياة كل طبقة من طبقات سكان كيرالا[١٩].

وهذه المؤثرات كلها صارت جزء من حياتهم اليومية وجعلت أثرها محسوسا في مجالات حياة الأمة كلها، وكما نعرف أنّ الأدب هو تصوير الحياة نفسها وهذا ما حدث

١٨ المرجع نفسه، ص:٣٤.

١٩ 2 المرجع نفسه، ص:.٤٥ .

بالنسبة للغة العربية في كيرالا ودخل هذا التأثير إلى آداب اللغة الميالمية في أوائل تطورها، وهذا التأثير ظاهر في كل فنّ من فنون الأدب نثرا وشعرا لفظا وتركيبا. الشعر الميالمي المشهور باسم «الأغنية المافلية» مظهر ظاهر لتأثير اللغة العربية في شعر ميالم.

والكتب الدينية لها دور هام في تأثير اللغة العربة في لغة ميالم لأنّها لغة الإسلام والقرآن. والذين ألفوا الكتب الدينية اعتمدوا على المصادر العربية. وترجمت آلاف من الكتب العربية إلى ميالم من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتاريخ والفقه وغيرها، وتأثرت هذه الترجمات العربية في الألفاظ والمعاني والأسلوب والتعبير.

ومن أبرز آثار اللغة العربية في ميالم «خط عربي ميالم» وذلك كتابة لغة ميالم بالحروف العربية، نشأ هذا الفنّ في اللغة مع ظهور الإسلام في كيرلا. وسببت لنشأة أدب عربي ميالم. نشركثير من المقالات والقصص والكتب الإسلامية والمجلات أيضا في هذه اللغة.

وأما الكلمات العربية في لغة ميالم وفي معاملات أهلها لا يحصى عددها. وسكان كيرالا يستخدمون في حياتهم اليومية مئات من الكلمات العربية، وبالإستخدام المستمر أصبح معظمها ألفاظاً ميالميةً مثل نصيب، بركة، مصيبة، كتاب، هلاك، شيطان، حمق، إبليس، مسكين، فقير، حلال، سلام، حرام، دنيا، قبر وغيرها، وهذه الألفاظ والكلمات صارت استخدامها سائرة في القصص والروايات والمقالات والأشعار والجرائد والمجلات الميالمية.

يشاطر عبودي عن تجاربه عندما وصل إلى مدينة مالابرم وجد فيها فندقا مكتوبا عليه بالعربية (فندق السائحين) ويقول أن أغلبية سكانها هم المسلمون، يعبرالشيخ العبودي عجبه عن الحركات الإسلامية والنشاطات العجيبة في اللغة العربية في كيرالا وامتيازاتها من ولايات أخرى في الهند. ويرى كيرالا كأنها جزء من بلاد العرب.

العلاقات المحمودة بين المسلمين والهنادك في كيرالا

يلاحظ الكاتب العبودي بشأن عجيب العلاقات بين المسلمين والهنادك في كيرالا في المودة والأخوة ويصف بأنه «لا توجد في الهند ولاية أخرى تقل فيها الاضطرابات الطائفية بين المسلمين والهنادك مثلما تقل في كيرلا، وذلك بخلاف ولايات الهند الوسطى الشمالية والشرقية مثل غوجرات، والبنغال الغربي، وبهار، وأترابرديش التي تزداد فيها الاضطرابات والتعذيب بسبب البقرات»[٢٠]. وجدير بالذكرهنا أنّ هذا تصوير صادق للكاتب العبودي

٢٠ المرجع نفسه، ص.٧٩:

حينما نرى أخبارًا مؤلمة عن قتل الأبرياء المسلمين والاضطرابات الطائفية الشديدة في هذه الولايات. ويلاحظ أن هذه الاضطرابات تؤدي إلى احتراق المتاجر والممتلكات. ويتكلم عنها «وكانت الاضطرابات بسبب البقرالذي يقدسه الهنادك إلى درجة العبادة يذبحه المسلمون في أيام عيد الأضحى وكما يذبحونه للأكل في الأيام الأخرى. ولذلك حرمت أكثر الولايات الهند إيذاء البقرة فضلا عن ذبحها وبيع لحومها وذلك بخلاف ولاية كيرلا فإنها أباحت ذبح البقرة وبيع لحمها في السوق»[٢١]. ويؤكد أن العلاقة بين المسلمين والهنادك في كيرالا تسودها الصّداقة والانسجام في كثير من الأوقات وتستمر حتى الآن. ويصف عن أهلها «أن أكثر الهندوكية تحترم مشاعر الأقلية العديدة المسلمة وتشاركهم المناسبات الإسلامية كالأعياد وغيرها»[٢٢]، وقد سجل العلماء المسلمون وأدباءهم هذه العلاقات المحمودة في أشعارهم وتأليفاتهم ويأتي بسطرين من أبيات ين كى أحمد المولوي

«كم مسجد وكنيسة قد عانقا يا كيرالا الحسناء فيك الهيكلا

فيعيش فيك الساكنون وإن تكن أديانهم شتى ذوي الصدق الولا»[٢٣]

يعجب الكاتب في هذه العلاقات العميقة والمودة والأخوة بين أهالي الأديان المختلفة في كيرالا يمدحهم ويفتخر بهم.

الأماكن التي زارها العبودي في كيرلا

زار العبودي كثيرا من الأماكن والمدن أثناء رحلتيه في كيرالا ومنها مدينة كالكوت تقع على ساحل بحر العرب يقول عن تسميتها أن ابن بطوطة سمّاها «قالقوط» في قديم الزمان[٢٤]. ثم زار الشيخ مدينة كوشن هي أكبر مدينة في كيرلا ويصف مدينة كوشن ريفها وأشجارها طقسها وكثرة الأمطارالتي توجد فيها. وزار مدينة ملابرم ويذكر عنها أنها بلدة أغلبية أهاليها من المسلمين المشهورين بالشجاعة وقرية شاندبرم يصف أنها أرض السلام والطمأنينة وقرية إسلامية صغيرة

ومدينة»أنكمالي» و»ألوي» و»وينادو» و»أدوارم» و»سلطان بطاري» و»ترورنغادي» ومدينة «كوتي بورم»[٢٥]، كان قصده إليها في رحلته الثانية الحضورفي مؤتمر المنظمات

٢١ المرجع نفسه، ص:.٧٩

٢٢ المرجع نفسه، ص:٧٩.

٢٣ المرجع نفسه، ص:٧٩.

٢٤ المرجع نفسه، ص:٢٢.

٢٥ أسماء الأماكن والمدن في كيرلا.

السلفية. ولا يترك شيئا عند تجولها في هذه الأماكن من المناظر الطبيعية ومشاهدات البحر والنهر والمزارع والشوارع وغيرها إلا يتمتع بها ويصف عنها.

المعاهد الإسلامية والتربوية التي زارها العبودي

وكان من أهم أهدافه في الرحلة إلى مليبار أن يزور المقرات ومراكز الإسلام والمسلمين في البلدان التي يزورها لمعرفة أحوال المسلمين الإجتماعية والتربوية وغيرها. وزار كثيرا من المعاهد الإسلامية والتربوية والمساجد والمدارس مع الزعماء والعلماء في كيرالا ومنها الكلّية الإسلامية بشاندبرم وكلّية البنات المسلمات ودارالأيتام في كالكوت ودارالأيتام في ترورنغادي ومعاهدها حوله ومقر الجماعة الإسلامية بكالكوت ومدرسة المعوقين والمدرسة الإلهية وجامع الخليفة في كالكوت ومسجد مكة في كوتي برم وغيرها ويذكر عن المعاهد الإسلامية وديار الأيتام والكليات والمدارس والمساجد في كيرالا وتنظيمها وتوليتها تحت المنظمات الإسلامية والتربوية، وبهذه الحركات والمنظمات تجري في كيرالا نهضة دينية إسلامية أكثر من ولايات أخرى في الهند. وناقش الشيخ شؤون المسلمين وأحوالهم مع الزعماء والعلماء والسادات في كيرالا في هذه الزيارات، ووعدهم المساعدات من جانب الحكومة وقدم التهنئات والدعاء لجهودهم المحمودة في هذا المجال.

الحضور في مؤتمر المنظمات السلفيية في كيرالا

وكان الهدف المهم في الزيارة الثانية للشيخ العبودي في كيرالا الحضور في مؤتمر المنظمات السلفية الذي عقد في مدينة كوتيبرم. وكان هوضيف شرف في المؤتمر، وهو الذي افتتح المؤتمر وألقى فيها خطبة بليغة، وذكّرالمحاضرين عن أهمية التوحيد والدعوة الإسلامية في هذا البلد. ثم ذكرهم عن العلاقات الثقافية القديمة ما بين الهند والبلدان العربية وحرضهم على التمسك بها والإحسان إلى أهلها. ويرى العبودي تنظيم هذا المؤتمر بعجب، و يعبر عنها أنها أمر عجيب اجتماع هذه الحفلة الكبرى التي وصل إليها المسلمون من مختلف أنحاء الهند حيث أن هناك قسم للنساء وليس هناك إختلاط مع الرجال. هناك محاضرات دينية علمية في مختلف لغات الهند ويعجب بما فيها من الاستعداد للجميع من يشارك فيها، يعتز ويفتخر بنشاطاتهم الإسلامية في مجال الدعوة وجهودهم لرفع مستوى المسلمين في كل مجال.

ويختم العبودي رحلته مع السرور والعجب عن كيرلا بما فيها من الحركات والنشاطات في مجال الإسلام واللغة العربية وعلاقات المسلمين مع الأديان والأمم المختلفة وما فيها

من خير ونعم وافرة من الله تعالى.

الخاتمة

يتميز العبودي بدقة ملاحظاته عن المناظر التي شاهدها في أنحاء كيرالا، ولا يترك شيئا مما شاهده في كيرالا من المناظر الطبيعية وسكانها وحضارة أهلها وثقافتها إلا وصف عنها وسجلها في هذا الكتاب ببيان وافر بدون كثرة الخيال. كما أنه يحتفل بتفاصيل عن هذه المشاهدات. وتمتاز رحلة العبودي بأسلوب أدبي رشيق. نرى أنه اتخذ الكتابة متعة وراحة أثناء الرحلة. هذا الكتاب مفيد جدا ليطلع العالم العربي الحديث على المناظر الجميلة والثقافة العظيمة لولاية كيرالا. تمكن للعبودي بهذا الكتاب أن يقدم التراث العظيم لولاية كيرالا باللغة العربية وإسهامات كيرالا في مجال دراسات اللغة العربية وآدابها إلى العالم العربي. ويعتبرهذا الكتاب مصدرا ثرا ومرجعا مهما في فهم أحوال كيرالا الحديثة. لا شك أنّ هذا الكتاب ثروة عظيمة في رحلات العرب إلى الهند حيث يساعد في تعزيز العلاقات بين الدول العربية والهند.

المصادروالمراجع

١ التازي، د.عبد الهادي .ابن بطوطة أمير الرحالة. .ط١. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م.

٢ الدكتور عبد الوهاب ب. ك، «دراسات نقدية عن رحلات محمد بن ناصر العبودي»، الإبداعات العربية في كيرالا الماضي والمحاضر(مجموعة المقالات)، جامعة الهند الإسلامية ، ٢٠١٧ م.

٣ الصلاحي، عبد الوهاب. «كيرلا في الرحلات العربية في القرن العشرين» العالم الجديد . (مجموعة المقالات ٢٠١٧ م).

٤ عبد الله بن أحمد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية.رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٧ م.

٥ العبودي، محمد بن ناصر. الاعتبار في السفر إلى مليبار، ط١. رياض: دار الثلوثية للنشر، ٢٠١٦ م.

٦ العبودي، محمد بن ناصر، نظرات في شمال الهند ، ط ١. مطبعة النرجس التجارية ، ٢٠٠٣ م.

٧ عمران بن محمد، أدبية الرحلة عند العبودي. رسالة الماجستير،جامعة القصيم ، ١٤٣٧هـ.

٧ العويد، عبد العزيزبن سعود، لطائف من رحلات الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي .ط١ رياض: دار الثلوثية للنشر،٢٠١٤ م.

٩ المشوح، محمد بن عبد الله، دراسات ومقالات عن معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار الثلوثية، ١٤٣٤هـ.

١٠ المشوح، محمد بن عبد الله ،عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي. ط ٢. الرياض: دار الثلوثية ،١٤٣٥هـ

١١ منصور، أنيس. العالم في ٢٠٠ يوما .ط٩ . مصر: مكتبة الأسرة، ١٩٦٢ م.

12 kodiyathoor,abdu rahiman.“keralam sandarshicha arebian sanjarikal“.al ithihad magazine(Malayalam), October 2005.

13 Panikkashery, velayudan. sanjarikal kanda keralam, (Malayalam) edition3. Kottayam:current books kottayam,2001.

M A J A L L A

AL-SHUROOQ AL-HINDI

AN ANNUAL PEER REVIEWED RESEARCH JOURNAL "
IN ARABIC LANGUAGE & LITERATURE

ISSN 2320-4451

ISSUE 1 VOLUME 3 DECEMBER 2020

Chief Editor: **Prof. Abdul Razak Tharayil**

Executive Editor: **Prof. Mohammed Basheer K**

Associate Editor: **Dr. Sabir Navas C M**

Punished by:

Department of Arabic,

Assam University, Silchar